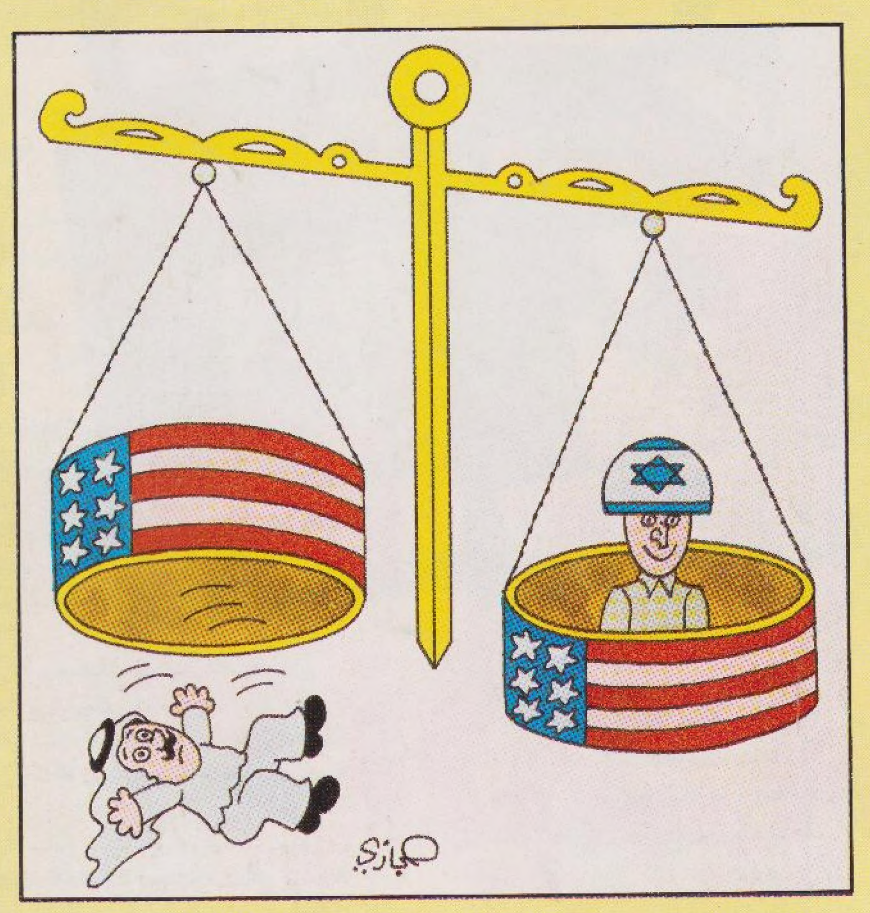


■ العدد الثامن والثلاثون / ابريل ١٩٩٣م / شوال ١٤١٣ هـ / الثمن ١٥٠ قرشاً مصرى ■



الحملة على الديمقراطية نصف انتصار نصف هزيمة

أفكار يوسف والى الشرق او سطية

يلتسين والبرلمان حقيقة الصراع فى موسكو

دموع صاحبة الجلالة بين الفن والحسابات الشخصية

أكبر صفقة فى التاريخ: القطاع العام فى المزاد!

سياسة الأرض المحروقة .. تصعيد جديد للعنف



فى هذا العدد

لليسار دور

السواد..
وبدايات الضوء

منذ أيام قليلة احتفلنا جميعا بنهاية شهر الصوم وعيد الفطر المبارك. ولقد كان طعم هذا العيد بالنسبة لنا فى مصر مختلفا عن أى عيد آخر. كان طعم المرارة فى حلوقنا يكاد يخنقنا ويفقدنا أى إحساس بالبهجة.

فكيف نشعر بالسعادة وهذا الارهاب الأسود يخنق الحياة فوق أرض مصر «المحروسة» ، ويغتال كل يوم شبابا فى عمر الزهور، سواء من رجال الشرطة، أو المواطنين عامة.

وكيف نشعر بالسعادة وحكامنا يظنون أنهم قد ورثوا الأرض وماعليها، وأن الحكم دائم لهم إلى الأبد.. فإذ بهم يبيعون ثروة شعب مصر التى تتجاوز ٣٠٠ مليار جنيه للأجانب برخص التراب، مقابل مكاسب شخصية وعمولات تزكم رائحتها الأنوف.. ويعيشون فى الأرض فسادا.. ويغتالون حلم الديمقراطية.. ويرتبون بليل لفرض سيطرة اسرائيل الصهيونية على مقدراتنا..

وكيف نفرح وأمتنا العربية من المحيط الى الخليج تسير بإصرار إلى الهاوية وحكامنا يفرحون للقاء رابين- كلينتون وحلفهما الاستراتيجى الجديد.. وكيف نبتهج بالعيد وحملة العداء فى الولايات المتحدة تتصاعد ضدنا.. وحليفنا السابق الاتحاد السوفييتى.. يغرق ويغرق..

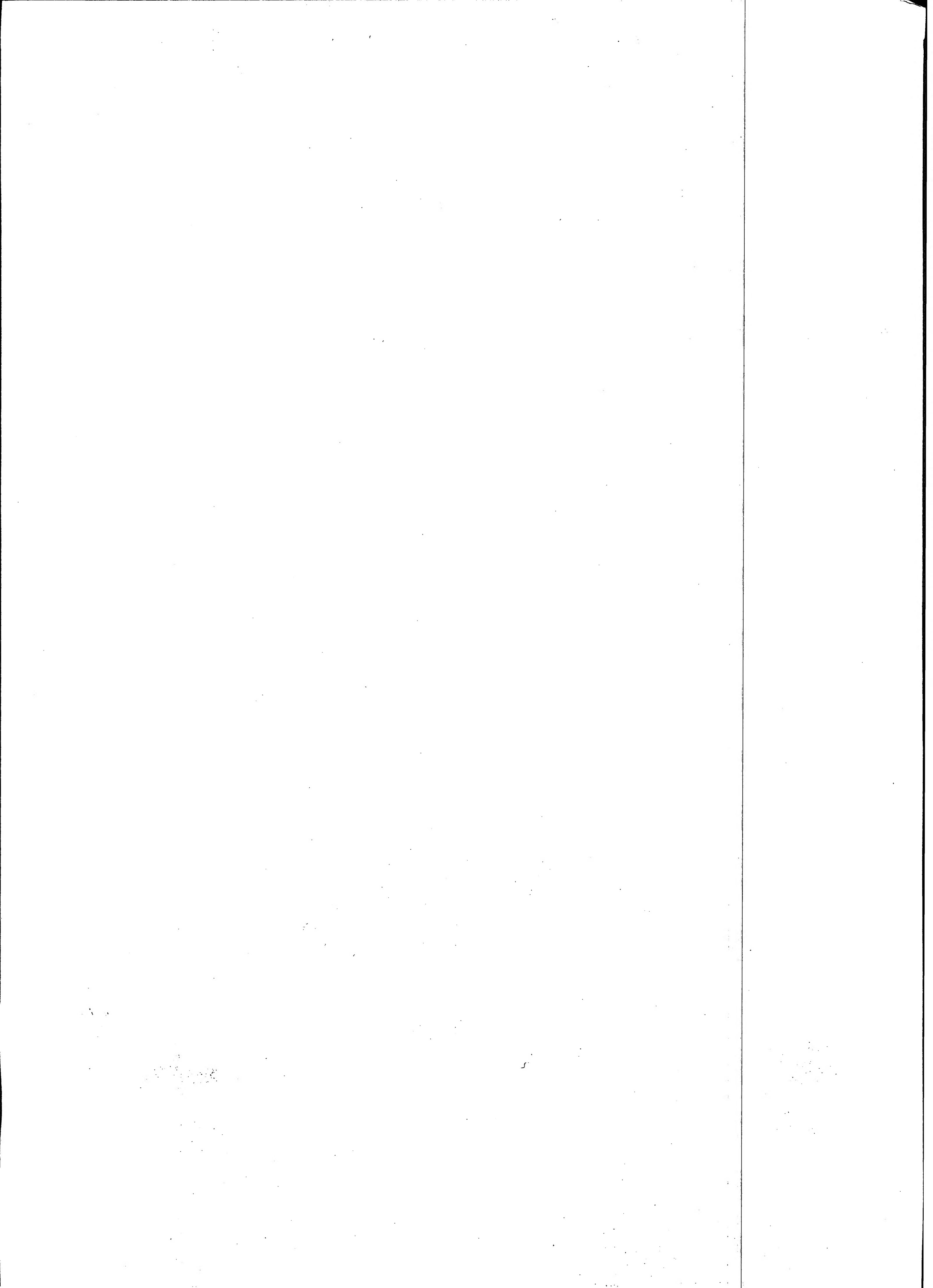
ولم نكن نستطيع أن نخفى كل هذا السواد عن القراء، حتى ولو كنا نحتفل بالعيد. وهكذا فإن صفحات هذا العدد مكرسة كلها لتوضح وتشرح وتحلل للقارئ هذه الصورة.

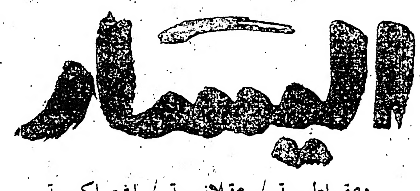
وليست هذه دعوة لليأس. فاليسار هو الاصرار والأمل والتغلب على الظلام وقهره. ولكنها دعوة للحركة قبل فوات الأوان. صرخة لليسار والقوى الوطنية للتحرك قبل أن يقتلع الطوفان كل شئ.

ولن نيأس من تكرار هذه الدعوة والصرخة.. فبدايات الضوء تلوح من بعيد.. من جيوب للمقاومة هنا وهناك.. لابد وأن تتحول الى ضوء باهر عما قريب

وكل عام وأنتم بخير..

اليسار





ديمقراطية / عقلانية / اشتراكية

في هذا العدد

اليسار

السواد.. وبدايات الضوء

منذ أيام قليلة احتفلنا جميعا بنهاية شهر الصوم وعيد الفطر المبارك. ولقد كان طعم هذا العيد بالنسبة لنا فى مصر مختلفا عن أى عيد آخر. كان طعم المرارة فى حلوقنا يكاد يخنقنا ويفقدنا أى إحساس بالبهجة.

فكيف نشعر بالسعادة وهذا الارهاب الأسود يخنق الحياة فوق أرض مصر «المحروسة» ، ويغتال كل يوم شبابا فى عمر الزهور، سواء من رجال الشرطة، أو المواطنين عامة.

وكيف نشعر بالسعادة وحكامنا يظنون أنهم قد ورثوا الأرض وماعليها، وأن الحكم دائم لهم إلى الأبد.. فإذ بهم يبيعون ثروة شعب مصر التى تتجاوز ٣٠٠ مليار جنيه للأجانب برخص التراب، مقابل مكاسب شخصية وعمولات تزكم رائحتها الأنوف.. ويعيثون فى الأرض فسادا.. ويغتالون حلم الديمقراطية.. ويرتبون بليل لفرض سيطرة اسرائيل الصهيونية على مقدراتنا..

وكيف نفرح وأمتنا العربية من المحيط الى الخليج تسير بإصرار إلى الهاوية وحكامنا يفرحون للقاء رابين- كلينتون وحلفهما الاستراتيجى الجديد.. وكيف نبتهج بالعيد وحملة العداء فى الولايات المتحدة تتصاعد ضدنا.. وحليفنا السابق الاتحاد السوفييتى.. يفرق ويغرق..

ولم نكن نستطيع أن نخفى كل هذا السواد عن القراء، حتى ولو كنا نحتفل بالعيد. وهكذا فإن صفحات هذا العدد مكرسة كلها لتوضح وتشرح وتحلل للقارئ هذه الصورة.

وليست هذه دعوة لليأس. فاليسار هو الاصرار والأمل والتغلب على الظلام وقهره. ولكنها دعوة للحركة قبل فوات الأوان. صرخة لليسار والقوى الوطنية للتحرك قبل أن يقتلع الطوفان كل شئ..

ولن نيأس من تكرار هذه الدعوة والصرخة.. فبدايات الضوء تلوح من بعيد.. من جيوب للمقاومة هنا وهناك.. لابد وأن تتحول الى ضوء باهر عما قريب

وكل عام وأنتم بخير..

اليسار

رئيس التحرير:
حسين عبد الرازق
المشرف الفني:
محمود الهندي
المستشارون:
ابراهيم بدراوى
د. رفعت السعيد
صلاح عيسى
د. عبد العظيم أنيس
عبد الغفار شكر
عبد الغنى ابو العينين
محمود أمين العالم
شارك فى التأسيس:
د. فؤاد مرسى

اليسار: منبر ديمقراطى يصدر عن حزب التجمع الوطنى التقدمى الوحدوى فى اليوم الأول من كل شهر.

AL YASSAR 126 AL SUDAN st.
IMBABA GIZA A.R.E

الاشتراكات: لمدة سنة واحدة
مصر:
١٨ جنيها للأفراد ٤٥ جنيها للهيئات.
الوطن العربى: ٥٠ دولارا أمريكيا أو مايعادلها.
العالم: ١٠٠ دولار أمريكى أو مايعادلها.

ترسل القيمة بشيك مصرفى أو حوالة بريدية إلى إدارة المجلة.

الادارة والتحرير: ١٢٦ شارع السودان - إمبابة- جيزة
رقم البريدى ١٢٤١١
ت: ٣٤٦٥٤١٦ فاكس: ٣٤٤٢٠١٣
FAX. 3442013 TEL 3465416

موقفنا

توحيد الجهود ضد الإرهاب

حسين عبدالرازق

لم يعد هناك أحد أيا كان موقفه السياسى أو موقعه فى المجتمع ،يستطيع تجاهل هذا الطوفان الذى يوشك أن يقتل الأخضر واليابس فى مصر ،وأعنى به **الإرهاب المتسعر بالدين**.فأحداث الأسابيع الأخيرة،تقول أن موجة الإرهاب تزداد عنفا وتخبطا ،وتضرب فى اتجاهات أربعة..اغتيال وقتل ضابط وجنود الشرطة- إلقاء القنابل وإطلاق النار على السياح الأجانب- الإعداد لاغتيال عدد من الشخصيات من بينها طبقا لمصادر الأمن« **نجيب محفوظ- أحمد عبد المعطى حجازي- أنيس منصور- عبد العظيم رمضان- محمد عبد المنعم مراد- ابراهيم نافع- محمود التهامى - غالى شكرى- رفعت السعيد-مرسى عطا الله- عادل حموده..»**- ثم القتل للقتل لإرهاب الكافة كما حدث فى جريمة قهوة «وادى النيل» بميدان التحرير.

وتؤكد هذه الأحداث ماسبق أن أعلنه وزير الداخلية فى ٧ ديسمبر الماضى من أن أهداف هذه الجماعات الإرهابية تتركز فى ٣ أهداف:

- ضرب المصالح الإقتصادية للدولة.
- خلق حالة من التوتر الطائفى لإحداث فتنة طائفية وتمزيق الوحدة الوطنية.
- إرهاب رجال الشرطة وتعويق أدائهم ،وإهدار ثقة الجماهير فى قدرة الدولة على حماية الأمن والاستقرار.

وهى أهداف تصب جميعا فى هدف أساسى ،وهو استيلاء هذه الجماعات على السلطة فى النهاية لتقيم دولة العنف والإرهاب المطلق تحت ستار الدولة الدينية (الإسلامية).

وقد أبرزت سلسلة العمليات الإرهابية الأخيرة،والمواجهات الأمنية بين هذه الجهات والشرطة،عاملين هامين فى فهم هذه الظاهرة والتعامل معها.

فإذا كان صحيحا أن أسباب تصاعد الإرهاب المتستر بالدين تنبع من الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والثقافية التى سادت المجتمع فى ظل سلطة مايو وسياسات الانفتاح والتبعية والفساد ، ،فليس معنى هذا عدم وجود أسباب وعوامل خارجية.

فطبقا لما نشر وأذيع فى الأيام الأخيرة ،فإن قوات الأمن التى ألقت القبض على « **عبد المنعم جمال الدين**» واتهمته بأنه الناطق الرسمى باسم تنظيم الجهاد ،عثرت فى مكان اختفائه بالجيزة على جهاز كمبيوتر ومعه ١٥ ملف تحتوى أسماء «دول عربية وأجنبية تمد التنظيم بالمال والسلاح»

كما عثرت مع ٢٠ من المتهمين على «محررات خطية عبارة عن تلكيفات صادرة من قيادة التنظيمات المتطرفة فى بيشاور وأفغانستان إلى كوادرها فى الداخل للبدء فورا فى عمليات تصفية قيادات الأمن والشخصيات العامة لإثارة الفتن فى البلاد..» وتشير التحقيقات والمضبوطات إلى أن« **إيران-والسودان وباكستان**

وأفغانستان» تقوم بدعم هذه الجماعات، بعد أن كان الدور الرئيسي في السابق من نصيب السعودية. وتقول مصادر الأمن المصرية أن إيران رصدت ٥٠ مليون دولار لتمويل وتدريب الجماعات الإرهابية المتسترة بالدين.

أما العامل الثاني فهو ظاهرة «العائدون من أفغانستان» ودورهم الأساسي في تفشي ظاهرة الإرهاب في مصر. فكما هو معروف فقد سافر حوالي ٨٠٠٠ شاب مصري من الجماعات الإسلامية للمشاركة في الحرب التي كانت تمولها المخابرات الأمريكية والسعودية وباكستان ضد نظام كابول في أفغانستان. وقد سافر هؤلاء بمعرفة الحكومة وتشجيعها وإشرافها.

وهناك - في بيشاور بباكستان - تلقوا تدريبا عسكريا على يد خبراء من المخابرات المركزية، وشاركوا في عمليات قتل واغتيال إرهابية ضد سكان «كابول والمدن التي كانت تحت سيطرة النظام القائم آنذاك. وكانوا أيضا يتلقون مرتبات مجزية بالعملة الصعبة.

وبعد سقوط نظام كابول واستيلاء جماعات (المجاهدين) على السلطة وانفجار صراع دموي بينهم، عاد هؤلاء بطرق مختلفة إلى مصر، متأثرين بالدعوات الدينية الخاطئة التي كانت سائدة بين جماعات المجاهدين، وليواجهوا البطالة والعجز عن كسب عيشهم، وليصبحوا بعد ذلك عنصرا أساسيا في ظاهرة الإرهاب.

ولايمكن فصل تصاعد ظاهرة الإرهاب عن ظاهرة التطرف الديني، وبعبارة أصح ظاهرة التفسير الخاطىء والإرهابي للدين والذي تمارسه جماعات سياسية تتستر بالدين، وأجهزة رسمية في الدولة، ترفع شعار الدولة الدينية (الإسلامية)، فهذا الموقف هو الوجه الآخر للعملة، الذي يمهد الأرض للإرهاب الفعلي، ويغذي هذه الجماعات بهذا الجيش من الإرهابيين. فالذين يكفرون المخالفين لهم في الرأي، ويرفضون الديمقراطية وحق البشر في التشريع، ويقفون ضد العلمانية مطالبين بدولة إسلامية (دينية) ويروجون لمقولة جماعة المسلمين، ويعادون المرأة، ويطابقون بين جماعتهم والإسلام، فمن يخرج عليهم أو يعارضهم، خارج عن الإسلام، ومن يقسمون الوطن إلى مسلمين وأقباط ويثيرون الفتنة الطائفية (كما حدث في مدرسة البنات بقليوب)، إنما في واقع الأمر يحرثون الأرض للإرهاب والإرهابيين.


نجيب محفوظ

أنيس منصور

إن المدى الذي وصلت إليه ظاهرة هذا الإرهاب الأسود تفرض على كل القوى والأحزاب والنقابات ضرورة المواجهة والتصدي لحصار هذه الظاهرة واجتثاث مسبباتها. فالأمر لم يعد يحتمل أنصاف الحلول أو المواقف المائعة.

لقد تكررت مرات عديدة دعوات هنا وهناك لتنسيق الجهود بين كل الأحزاب والقوى الرافضة لهذا الإرهاب المتستر بالدين وهناك بالفعل قوى عديدة تسعى بكل قوة للتصدي لهذا الخطر الجامح. ولكن الحكم - والذي يواجه خطر هذا الإرهاب ربما أكثر من غيره - مازال مصرا على الاستمرار في سياساته الاقتصادية والاجتماعية وممارساته القمعية التي تساعد على إنتشار ظاهرة الإرهاب وفي الأسابيع الأخيرة، وفي ذروة تصاعد الإرهاب، وتصاعد الدعوة لمواجهته بين الأحزاب والقوى السياسية أقدم الحكم بغباء شديد على سلسلة من الإجراءات تؤدي - شئنا أم أبينا - إلى جذب الأنظار بعيدا عن ظاهرة الإرهاب، والانشغال عن مواجهتها بقضايا أخرى تمس حياة الناس مباشرة.

* فقرر بيع ١٧ شركة من شركات القطاع العام قبل نهاية شهر يونيه القادم وبأسعار لاتتجاوز ٢٥٪ من القيمة الحقيقية للشركات المعروضة للبيع، وصاحب هذه العملية من تصرفات مريبة تثير الشك في وجود صفقات وعمولات ورشاوى لبيعها لجهات بعينها - أجنبية في الغالب - ومايترتب على ذلك من طرد آلاف العاملين إلى الشارع.. دفع بالأحزاب والقوى السياسية لتركيز جهودها لمحاولة وقف هذه الجريمة. بل أن البعض فسر طرح الحكومة لعشر مشروعات سياحية للبيع ضمن ١٧ مشروعا معروضة حتى يونيه القادم، بأن الحكومة وقتت البيع مع ضرب الجماعات الإرهابية للسياحة لتبرر بيعها لهذه الفنادق والشركات السياسية بأسعار بخسة بحجة ضعف السياحة، كغطاء للصفقات المريبة والعمولات والفساد في عملية البيع.

* وقدمت الحكومة بما تكشف من تورط عدد من قيادات الشرطة وواحد من كبار المسئولين في مؤسسة الرئاسة، وعدد من القضاة في قضية فساد وانحراف خلقية، مع إمرأة يقال أن هناك شكا في وجود علاقة لها بأجهزة مخابرات أجنبية، قدمت دليلا جديدا على فساد الحكم وإنحلاله، تستطيع الجماعات الإرهابية استغلاله في الترويج لجرائمها.

* وشنت الحكومة حملة ضد الديمقراطية بقانونها الجديد الموحد للنقابات، وتخوض الآن جموع المهنيين - في كل النقابات - معركة ضارية ضد هذا القانون المعادي للديمقراطية واستقلال النقابات.

ويتصدر تيار الإسلام السياسي في بعض النقابات المقاومة لهذا القانون ليكسبوا لهم - وللتطرف الديني - أرضية جديدة في المجتمع.

* ثم يعلن أمين الحزب الوطني ونائب رئيس الوزراء عن سوق شرق أوسطية مع إسرائيل.. متحديا بذلك المشاعر الوطنية للشعب المصري، والمصالح الوطنية والقومية.

* وتواصل الحكومة تدخلاتها في الأحزاب السياسية ومؤامراتها لشق صفوفها والتلاعب بها وبصحفها عبر لجنة الأحزاب.

وهنا يقفز السؤال.. الكبير كيف توحد الأحزاب والقوى السياسية والنقابية جهودها لمواجهة الإرهاب وظاهر التفسير المتطرف والإرهابي للدين.. في ظل هذه الهجمة الحكومية المستمرة والمتصاعدة على مصالح الناس والوطن وعلى الأحزاب والنقابات.

إن توحيد الجهود ضد الإرهاب يتطلب أن توقف الدولة هذه السياسات وتعتمد سياسات أخرى تقوم على حماية الاقتصاد الوطني وفتح الباب أمام إصلاح ديمقراطي، ومواجهة حقيقية للأزمة الاقتصادية وتدني مستوى المعيشة.. ووقف حرب الاستنزاف ضد الأحزاب والنقابات.

يهمسون

عاطف صدقي



* وصل الخلاف بين د. عاطف صدقي ود. يوسف والي حد أن الأول لم يشاهد في سرادق عزاء شقيق الثاني، ولم يشاطره الأحزان نعيا في الصحف، بل وتعمد تعزية وزير الداخلية في شهداء الشرطة، في نفس يوم نشر «المشاطرات» للدكتور والي في الصحف.

* من جهة أخرى انعكس خلاف الدكتورين على بنك الإئتمان الزراعي، إذ رفض د. صدقي التوقيع على مذكرة تقدمها د. والي لتجديد رئاسة عادل عزي للبنك. عادل عزي كان قد لجأ إلى وزير المالية، صديق رئيس الوزراء للإستنجاد به، وللخروج من مأزق حسبانه على وزير الزراعة، غير أن المحاولة لم تسفر عن نتائج إيجابية.

د. عادل عز

* مصادر مطلعة ألمحت إلى أن تركيز الإعلام الخارجي، في بعض الدول الغربية، وبالذات في بريطانيا، على قضايا الإرهاب، يعود إلى أسباب اقتصادية، أساسها زيادة ارتباط مصر ثقافيا واقتصاديا بفرنسا دون انجلترا. يذكر أن السفير البريطاني تدخل أكثر من مرة لدى الخارجية المصرية من أجل ضمان حصول الشركات البريطانية على بعض العقود الاقتصادية الكبرى في مصر.

* وزير التعليم كان قد هدد بتقديم استقالته، في حالة عدم وقوف المسئولين معه في مواجهة دعاة الفتنة في المدارس.

وزير التعليم قال أن محافظ القليوبية والجهاز التنفيذي، كان ضده في الموقف من المدرسة التي كانت تشيع روح الفتنة الطائفية في احدى المدارس بقليوب. الوزير قال إن لديه أدلة دامغة على إدانة المدرسة وأنه لم يتراجع عن موقفه. وكذب مانشرته إحدى صحف المعارضة.

* قريبا سيتمكن تلاميذ وطلاب وزارة التربية والتعليم من قراءة كتاب النيل للدكتور رشدي سعيد. الوزارة قررت شراء عدد من نسخ الكتاب ووضعها في مكتبات المدارس.

* وزير سيادي عنف رئيس حزب معارض على عمود كتبه محام ليبرالي شهير، في صحيفة الحزب، المحامي خصص عموده منذ سنوات لنقد ظواهر الليبرالية، وهيمنة العسكر على شئون الحكم الصحيفة أوقفت عمود الكاتب في اليوم التالي مما أثار غضبه، ولم يعاود الكتابة إلا في ظل شروط خاصة!

* كاتب كبير كاد يتعرض لمؤامرة حاكها ضد مسئول للإيقاع به في جناية «تخابر» بعد أن دأب على الهجوم على المسئول وأعمال وزارته. الكاتب، وهو مسئول بأحد الوزارات السيادية نجا من «المقلب» بأعجوبة، وبنصيحة من مخلص في الرئاسة، ترك موقعه.

* ذكر أحد رؤساء وزراء مصر السابقين، أن عربة الجيب السوفيتية كانت تجيء إلى مصر بسعر ٨٠ جنيها وإن تكلفة مد خط سكة حديد من حلوان إلى المناجم بالواحات بطول ٣٢٥ كيلو مترا بلغت ١٢ مليون دولار وقدر رئيس الوزراء، وكان يتحدث مع مسئول تعديني كبير سابق، أن التكلفة الحالية لمثل هذا الخط تبلغ ٥. ١مليون دولار. وذكر رئيس الوزراء أن المصانع جاءت إلى مصر برخص التراب على حد قوله، وأكد لمسئول التعدين أن صدفة وجود خرتشوف في سدة الحكم كانت قد جعلت فرص مصر والعالم الثالث في الحصول على أسرار الكتنولوجيا وافرة. وقال الإثنان في معرض التحسر على أوضاعنا اليوم أن مثل هذه الفرص والأسعار لن تأتي أبدا.

* رئيس شركة قابضة قال لممثل التنظيم النقابي في مجلس إدارة شركته عندما احتج على اتجاه الشركة لبيع العديد من فروع الشركات التابعة «اعذرونا فنحن مستأجرين لتنفيذ هذه السياسة».

* ماهر أباظة وزير الكهرباء ومحمد راغب دويدار وزير الصحة ضغطا لعدم نقل أي الشركات التابعة لوزارتيهما في عملية الدمج الأخيرة التي حدثت بين الشركات القابضة، وهما الوحيدان اللذان نجحا في ذلك.

ماهر أباظة



* برلماني بارز جدا بالحزب الوطني يرأس شركة تابعة للشركة القابضة للتجارة الدولية، تدخل بعد الإعلان عن نقل تبعية شركته للشركة القابضة للنقل البري.. فأعيدت للتجارة الدولية مرة أخرى.

* إنتخابات نقابة الصحفيين كلفت الموازنة العامة أكثر من ١٢ مليون جنيه. نتيجة لرفع مرتبات وبدلات الصحفين ٥ر٦٧ جنيها في الشهر، ثم رفع مرتبات العاملين والاداريين بالمؤسسات الصحيفة ٥ر٤٢ جنيه بعد تهديدهم بالاضراب. واعتمادات أخرى لصندوق المعاشات والعلاج للصحفيين وأسرهم وصندوق التكافل.

قدمت الحكومة كل هذه الاعتمادات للاستاذ ابراهيم نافع رئيس مجلس ادارة مؤسسة الأهرام بصفته مرشح الحزب الوطني في انتخابات النقابة دعما له.

ابراهيم نافع

ومن المعروف أنه منذ انتخابات مارس ١٩٨١ ولست مرات متتالية دأبت الحكومة على الاستجابة لبعض مطالب وحقوق الصحفيين خلال الانتخابات النقابية وأن تعلن هذه القرارات قبل الانتخابات وعن طريق مرشح الحكومة لموقع نقيب الصحفيين!

تنازلات بالجملة لصندوق النقد الدولى

القصة الكاملة للخطة العاجلة لبيع القطاع العام

محمود الخضرى

تبدأ الحكومة سلسلة اتصالات جديدة مع صندوق النقد والبنك الدوليين خلال الأيام القادمة تمهيدا للاتفاق على برنامج الإصلاح للتحرير الاقتصادى للمرحلة الثانية. تبدأ تلك الإتصالات بعد حصول الحكومة على موافقة الصندوق على طلب الحكومة مد الاتفاق القديم «إتفاق عام ١٩٩١» لمدة ٣ شهور أخرى تنتهى فى مايو القادم. لتصل بذلك فترة الاتفاق إلى عامين كاملين.

وكان صندوق النقد الدولى قد رفض مد الاتفاق فى فبراير الماضى، إلابعد الحصول على موافقة البنك الدولى الذى اتهم الحكومة فى مذكرة أول فبراير بأنها غير جادة فى برنامج الخصخصة وأن البرنامج المعلن من جانب الحكومة المصرية لايمثل الاتفاق الأساسى المبرم فى عام ١٩٩١. وذكر البنك فى مذكرته لمحافظ البنك المركزى المصرى د. صلاح حامد، ولوزير التعاون الدولى د. موريس مكرم الله أنه مضطر لإلغاء الاتفاق تماما وتجميد كل القروض المستحقه لمصر، خاصة مبلغ الـ ١٥٠ مليون دولار الذى يمثل الشريحة الثانية لقرض التكيف الهيكلى

ضغوط

وبدأت المعركة تبشتعل أكثر فأكثر وتزداد الضغوط على الحكومة بإتفاق معلن أحيانا وغير معلن أحيانا أخرى بين صندوق النقد والبنك الدولى. ففى ٥ فبراير الماضى رفض البنك بدء جولة من المباحثات كان متفقا عليها من قبل وإشترط البنك لبدء المفاوضات أن تتقدم الحكومة المصرية بخطوات جدية لاعلان البيع والسير فى برنامج الخصخصة ونقل الملكية العامة إلى القطاع الخاص، واليه وبخطوات عملية فى هذا الإتجاه يقتنع بها خبراء البنك الدولى.

أمام تلك الضغوط المستمرة عقد مجلس الوزراء «المجموعة الاقتصادية» أكثر من ٢٠ اجتماعا خاصا إستهدفت البحث عن مخرج عاجل. خاصة أن الحكومة خشيت من أن إعلان البنك الدولى فشل إتفاقه مع مصر يعنى تراجعا عن برنامج الاصلاح للتحرير الاقتصادى، ووقف الاتفاق بالتالى مع صندوق النقد الدولى.

وطرح د. عاطف صدقى رئيس الوزراء ود. عاطف عبيد وزير الدولة للشئون الادارية مذكرة تقضى بالتحرك الفورى والعاجل لاختيار ١٥٠ شركه عامه لطرحها للبيع خلال الفترة من ١٩٩٣ حتى ١٩٩٧، ويتم البدء فى إتخاذ خطوات أكثر عملية بطرح ٥٠ شركة بشكل عاجل للبيع..

صندوق النقد الدولى رفض مد الاتفاق أو التوقيع على اتفاق جديد إلا بعد موافقة البنك الدولى

**

البنك الدولى يطالب بتعديلات قانونية لحماية حقوق مشترى القطاع العام

رفض من البعض

وكشف مسئول اقتصادى أنه مع طرح هذا التصور العاجل رفض عدد من المسئولين السرعة فى اتخاذ تلك الخطوات فى إتجاه البيع، حتى لاتخسر البلاد فى تلك العملية استثمارات تتجاوز مليارى جنيه. كما حذرت وزارة التخطيط وبنك الاستثمار القومى فى مذكرة مشتركة مقدمة من د. كمال الجنزورى وزير التخطيط من وقوع خسائر لاتقل عن ٥٠٠ مليون جنيه فى عملية طرح ١٥٠ شركة دفعة واحدة دون تقييم حقيقى لهذه الشركات

ووصل الأمر إلى أن بعض الوزراء قاطعوا اجتماعات المجموعة الوزراية التى ناقشت قضية بيع القطاع العام ليس رفضا للبيع فى حد ذاته وإنما لعدم تحمل المسئولية التاريخية، وربما للاحتجاج على طريقة البيع والجدول الزمنى المطروح للخصخصة، وضرورة مراعاة الوقت فقط. ولكن المعترضين وافقوا فى النهاية على الخطة، وطلبوا أن تقتصر المباحثات المباشرة على وزراء التعاون الدولى والاقتصاد ومحافظ البنك المركزى. وأن يمثل مصر فى اجتماعات البنك الدولى وزير الاقتصاد د. يسرى مصطفى بدلا من د. كمال الجنزورى.

مفاجأة

وكانت المفاجأة الأكبر أن البنك الدولى عندما طرحت الحكومة عليه الشركات

المطروحه ضمن برنامج الخصخصة، فقد رفض قائمة الشركات. وطلب قصر البيع فى المرحلة الأولى على الشركات الرابحة فقط. واعادة إصلاح أوضاع هياكل الشركات الخاسرة والتى تعانى من خلل فى هياكلها التمويلية، وتحويلها إلى شركات رابحة قبل بدء طرحها للبيع. ويشرط أن يتم البيع لتلك الشركات بعد أن تحقق أرباحا لعامين متتالين على الأقل.

انتهى الأمر لاختيار ٩٢ شركة رابحة بالاتفاق بين البنك والحكومة لطرحها للبيع خلال الفترة من فبراير ١٩٩٣ حتى يناير ١٩٩٧ على أن تخصص الحكومة قرض التكييف الهيكلى «الشريحة الثانية ١٥٠ مليون دولار» لاصلاح باقى الشركات خلال ذات الفترة، لبدء مرحلة بيعها للقطاع الخاص ابتداء من ١٩٩٧ ولمدة ٥ سنوات كحد أقصى.

وتم استبعاد ٧ شركات من قائمة الشركات الـ ٩٢ لأسباب غير معلومة، ولكن قبل أن طرحها للبيع سيتم بقرار خاص من رئيس الوزراء، وسيتولى المكتب الفنى لقطاع الأعمال العام إعادة دراسة وبحث تقييم أصولها.

وقبل أيام من وصول بعثة البنك الدولى للقاهرة أواخر فبراير وأوائل مارس الماضى إعتمد رئيس الوزراء بشكل فردى قرارا بطرح ٣٥ شركة للبيع والبدء فى إجراءات الاعلان عنها، وبالفعل تم طرح أسماء ١٧ شركة فى أول دفعة ثم شركتين فى الدفعة الثانية كخطوة من جانب الحكومة لإثبات حسن نيتها وجديتها فى الإصلاح الإقتصادى ، ولكن تم التراجع فى الإعلان عن باقى الشركات فيما بعد.

وطرح د. عاطف صدقى على بعثة البنك برنامج البيع الكامل وخطة الحكومة للترويج فى بيع تلك الشركات، والإطار العام الذى سيحكم العملية خلال سنوات البيع.

طلبات جديدة

مع هذا التراجع الحكومى ازدادت طلبات البنك الدولى، حيث طلب تعهدا موقعا بين ممثلى البنك والحكومة المصرية لضمان تنفيذ خطة الخصخصة ، وعدم التراجع عنها، وإجراء تعديلات قانونية فى نظم الملكية والتفريق بين الملكية العامة والملكية الخاصة، حتى لاتصادر أو تؤمم الشركات المباعة، وفى نفس الوقت يضمن مشترو الشركات حقوقهم وتعويضاتهم فى حالة الاستيلاء عليها، وأن يكون التعويض فى تلك الحالة ثلاثة أضعاف السعر السائد وقت طلب التعويض.

كما طلب البنك تعيين وزير متفرغ للقطاع العام فى المرحله المقبلة ليمثل جهة إتصال واحدة مع المؤسسات المالية الدولية فى المرحلة المقبلة.

وعود حكومية

وتعهدت الحكومة للبنك الدولى بتشكيل لجنة قانونية تبحث الشكل القانونى المناسب لاتخاذ هذا الإجراء، وإما يكون باستصدار تشريع يحقق الحماية لمشترى القطاع العام والملكية الخاصة بشكل عام. أو بالبحث عن شكل آخر قد يصل إلى تعديل الدستور ولكن هذا سيحتاج لوقت أطول. إلا أن البنك أصر على الاجراء العاجل وهو ماتبحثه الحكومة حاليا.

وانتهى الأمر بتوقيع مذكرة نوايا تلتزم بمقتضاها الحكومة ببيع القطاع العام المصرى بالكامل، ويقتصر دور الدولة على بعض المجالات ذات الاستثمارات الضخمة وألا يمثل ذلك غلق الباب أمام أى محاولات أو استثمارات فى صد جانب القطاع الخاص فى تلك المجالات.

طلب التأجيل

وطلبت الحكومة بعد توقيع مذكرة التفاهم مد اتفاق عام ١٩٩١ لمدة ٣ شهور أخرى تنتهى فى مايو القادم، لتوفير فرصة مناسبة لاتخاذ الإجراءات المرحلية قبل البدء فى خطوات الخصخصة والاصلاح الهيكلى للشركات المتعثرة، وتشكيل الجمعيات العمومية للشركات القابضة بتشكيلها الجديد، ومجالس ادارات تلك الشركات والشركات التابعة لها.

وطلبت الحكومة من البنك دعم هذا المطلب لدى صندوق النقد الدولى قبل بدء جولة شهر أبريل الحالى والتى ستمتد لنحو ٤ أسابيع

الصندوق يطلب

وتلقت الحكومة أوائل شهر مارس الماضى مذكرة من نائب رئيس صندوق النقد ذكر فيها أن الصندوق على قناعة تامة بإتباع مصر سياسة إصلاحية جادة بعد موافقة الحكومة على خطة الإصلاح الهيكلى والخصخصة للقطاع العام مع البنك الدولى.

وتضمنت مذكرة صندوق النقد الدولى مجموعة من الاجراءات الاقتصادية للموافقة النهائية على مد الاتفاق الحالى إلى مايو المقبل.. أهمها اعتماد النظام الجمركى الجديد الذى يسمح فتح باب الاستيراد وتحرير التجارة الخارجية وهو ماالعزمت به الحكومة فعلا. واشترط الصندوق فى اتخاذ أى اجراءات للحماية الجمركية لبعض المنتجات المحلية أن تكون تلك الاجراءات مؤقته ولاتزيد عن ٣ سنوات كحد أقصى.

وكان المطلب الثانى للصندوق ووافقت الحكومة عليه هو اجراء تعديلات عاجلة على قانون البنوك والائتمان الذى لم يمض على صدوره سوى ٩ شهور فقط. بحيث تعطى التعديلات الجديدة إنطلاقة أوسع للبنوك الأجنبية فى مصر، وحرية تعاملها فى النقد المحلى والأجنبى، وأن تخفف الرقابة عن الجهاز المصرفى الحكومى «البنك المركزى» على نظام عمل البنوك اليومى، ومنحها حرية نقل العملات الى الخارج بأى كميات وتوالت موافقات الحكومة على مطالب الصندوق باستصدار تشريع عاجل يرفع الاعفاء الضريبى إلى عشر سنوات للمشروعات الاستثمارية بالمناطق النائية والمدن الجديدة. كما تعهدت الحكومة بحل المشاكل التى تواجه شركات الصرافة- حسبما يقول الصندوق- ومنها إلغاء شرط إيداع ١٠٠ ألف جنيه لافتتاح فروع جديدة للشركة الأصليه، وتخفيض نسبة الخصم اليومية من ايرادات الشركه، ومنح شركات الصرافة حرية التعامل مع فروع البنوك فى أى مرقع دون الالتزام ببنك محدد.

ومن تنازلات الحكومة العودة مرة أخرى لتخفيض سعر الفائدة لتصل إلى ١١٪ عام ١٩٩٥ وأن تشمل التخفيضات كافة أنواع الضرائب بدعوى دفع وحث المدخرين لاستثمار أموالهم فى مشروعات بدلا من الإيداع بالبنوك.

ورغم كل هذه التنازلات رفض الصندوق إقرار خفض الديون بواقع ٢٠٪ إلا بعد توقيع الاتفاق الجديد الذى يبدأ من مايو القادم، وتقديم الحكومة برنامجا تفصيليا للمرحلة القادمة للاصلاح.

الحكومة

تثبت شطارتها للصندوق

فتطرح ٨٥ شركة في المزاد

«وفى حالات أخرى حدث فساد وانحرافات فى القطاع العام من قبل الطبقة الحاكمة وأصدقائها. وفى هذه الحالات يمكن أن تكون الخصخصة وسيلة أيضا لخصخصة ممارسات الفساد وتقنين المزايا بدلا من التخلص منها».

نشرت «اليسار» أول مارس الماضى هذه الفقرة ضمن تقرير الاتحاد الدولى الحر لعمال البناء.. ولم تكن رائحة الفساد للقائمين على بيع القطاع العام فى مصر قد فاحت بعد.. وإن كان فساد الطبقة الحاكمة وأصدقائها وانحرافاتهم فى هذا القطاع قد تداولتها منذ بدايات الانفتاح الساداتى محاكم الجنايات ومحاكم أمن الدولة أحيانا، وتقارير الرقابة الادارية التى ألغاها السادات حتى وفاته تستر أعلى هذه الانحرافات وتصدرت أخبارها صفحات الصحف، ومنها الحكومية أحيانا..

فجأة.. ومنذ أسابيع هرولت الحكومة تعلن عن بيع ٨٥ شركة أى ثلث شركات القطاع العام على مجموعات خلال السنوات الأربع القادمة.. وانفتح الباب على مصراعيه للفساد والمفسدين.. وتراجعت قضية السياسة فى موضوع «الخصخصة» بالنسبة للأحزاب ونقابات العمال ولم يصبح السؤال، لماذا تتراجع الحكومة عن اصلاح القطاع العام، وهو الهدف الذى أعلنته عندما وقعت الاتفاق السابق مع صندوق النقد الدولى فى أبريل ١٩٩١.. بل

حسن بدوى

صار السؤال الذى يفرض نفسه الآن.. لماذا الهرولة فى بيع القطاع العام؟ وفى سوق يتسم بالكساد؟ وبلا ضوابط أو شروط أوقيود؟ وبثمن يقل كثيرا عن القيمة الحقيقية؟ ومن المستفيد من ذلك كله؟..


د. محمد مرسى


فؤاد سلطان

اعلانات مفاجئة عن بيع ١٩ مشروعا خلال أسبوع واحد

* * *

استنفار

أثار ذلك حماس حزب التجمع فبدأ خلال الشهر الماضى اتصالاته مع الحزب الناصرى والشيوعيين والنقابات العمالية والمنظمات الديمقراطية والقوى السياسية والأحزاب الحريصة على أموال الشعب المصرى والاستقلال الاقتصادى والتنمية، ضمن خطة أقرتها أمانته المركزية لوقف بيع القطاع العام بهذا الأسلوب المثير للشبهات..

وقدم خالد محيى الدين و٣٢ نائبا من حزب التجمع والحزب الوطنى والمستقلين طلب مناقشة عاجل فى مجلس الشعب حول هذه القضية.

وحذر رؤساء الشركات القابضة العشر المدمجة فى شركات أخرى ، فى مذكرة وجهوها الى رئيس الوزراء د. عاطف صدقى ، من مخاطر عدم اشراكهم فى بحث ومناقشة خطة التطوير والاعتماد على خبراء أجانب ومكاتب إستشارية أجنبية مما سيؤدى إلى احداث فوضى وانهيارات بالشركات وبيعها بأسعار غير حقيقية ، بعد ثبوت ازدواج فى عمل المكاتب الفنية، بين كونها تتولى تقييم الشركات والوساطة فى عمليات البيع فى نفس الوقت.

وكان التجمع قد أصدر بيانا حذر فيه من المخاطر المترتبة على طرح هذه المشروعات للبيع مرة واحدة، وطريقة تقييم الأصول بأقل من القيمة الحقيقية، وأسلوب للبيع بالمزايدة

التنافسية وغياب أى ضوابط تمنع استيلاء الأجانب على هذه المشروعات واحتمالات طرد العاملين بهذه المشروعات الى سوق البطالة، والاتجاه الى استخدام حصيلة البيع لسد عجز الموازنة العامة للدولة.

أما الاتحاد العام لنقابات العمال فقد قرر طرح هذه القضية على المؤتمر الذى سينظمه خلال مايو القادم، لانشغاله خلال الشهر الحالى بالمشاركة فى مؤتمر منظمة العمل العربية فى عمان ثم مؤتمر منظمة الوحدة النقابية الأفريقية بالقاهرة، **كما يقول محمد مرسى الأمين العام للاتحاد.**

لماذا الهوجة؟!

أرادت الحكومة أن تثبت شطارتها أمام صندوق النقد والبنك الدوليين قبل زيارة بعثتيها للقاهرة لتوقيع الاتفاق الثانى والذى يتضمن اسقاط ١٥٪ من الديون فأصدرت خلال أسبوع واحد (١٧-٢٣ فبراير الماضى) أوامرها للشركات القابضة التى أعلنت بدورها عن بيع ست شركات وخمسة فنادق و٤ فنادق عائمة وأربعة مصانع، من بينها شركة مصر للأسواق الحرة التى تم تقييم أصولها بمبلغ ٧٥ مليون جنيه، فنشر ممثلو العمال فى النقابة ومجلس الادارة فى اليوم التالى إعلانا فى الصحف اعترضوا فيه على التقييم بهذا الثمن بدلا من ٢٢٠ مليون جنيه «قيمتها الحقيقية»، وعلى عدم تخصيص حصة للعاملين فى أصول الشركة لشراء أسهمها.

كما أعلنت عن ٨٥ مشروعا عاما سيتم بيعها حتى عام ٩٦-١٩٩٧.

روائح فساد

وبينما أعلن عاصم عبد الحق وزير القوى العاملة فى لقائه الشهر الماضى بقيادات الاتحاد العام لنقابات العمال والنقابات العامة: إن الحكومة لن تبيع أملاكها بثمن بخس، وأن الشركات التى تقرر بيعها ستباع بقيمتها الحقيقية، وأن الجهاز المركزى للمحاسبات هو الذى سيتولى عملية التقييم النهائى وأنه جهاز وطنى على أعلى مستوى من الكفاءة والاستقلالية..

فقد رفض المكتب الفنى لوزارة قطاع الأعمال العام طلبا من الشركة القابضة للسياحة بمنحها مهلة لاعداد تقييم جديد لأحد عشر فندقا قبل طرحها للبيع، بعد ماتبين أن التقييم الذى أعده أحد المكاتب الاستشارية لتلك الفنادق لايمثل سوى ٢٥٪ من قيمتها الحقيقية.. وفى مواجهة ذلك طلبت شركات السياحة عقد جمعياتها العمومية غير العادية لاعتماد تقييمات اللجان المشكلة بمعرفتها لتقييم أصول المشروعات المقرر بيعها، وطلبت فى مذكرات تالية توجيه حصيلة البيع لاصلاح هياكلها التمويلية وسداد أقساط القروض وفوائدها التى اقترضتها لأغراض استثمارية فى أوقات سابقة، بدلا من توجيهها للانفاق الحكومى والاستثمار فى البنية الأساسية وتحرير عقود جديدة للعمال مع المالك الجديد وضمان كلفة حقوق العمال.

وكانت الجمعية العمومية غير العادية لشركة الفنادق المصرية التى عقدت فى فبراير الماضى، قد اعترضت على تقييم مكتب «كويد أند ليبرند» الاستشارى لقيمة فندق شبرد، وعلى توجيه حصيلة بيعه للانفاق الحكومى، وشكلت لجنة لإعادة تقييم الفندق.

استسهال البيع

واذا كانت الحكومة تضع قوائم الشركات المقرر بيعها فى مطبخها المعروف بالمكتب الفنى التابع لرئيس الوزراء شخصيا، فان رؤساء الشركات القابضة والتابعة يطلق قانون قطاع الأعمال العام الصادر فى يونية ١٩٩١ أيضا أيديهم لتبيع ماتطوله دون انتظار لتوجيهات من أعلى..

مصطفى منجى نائب رئيس اتحاد نقابات العمال وأحد الذين وقعوا مع خالد محيى الدين على طلب عاجل لمناقشة الموضوع فى مجلس الشعب، يقول:

- هناك شكوك كثيرة حول القواعد الخاصة بالبيع، وأسهل شئ بالنسبة للشركات القابضة أن تبيع، والأصعب هو العمل على اصلاح أوضاع شركاتها، هذه وحداتنا وستنسلخ من كياننا لتذهب الى ملاك جدد، وهى مقامة بأموال وجهد الشعب المصرى، ويجب أن تباع بقيمتها الحقيقية، وأن تعود حصيلة البيع لاصلاح أوضاع الشركات المتعثرة، والا فإن الشركات جميعا ستنهار ويصبح عمالها فى الشارع.

ويؤكد محمد مرسى الأمين العام للاتحاد أن العديد من رؤساء الشركات القابضة والتابعة يعلمون أنهم سيتم تقييمهم بعد ٣ سنوات من تعيينهم طبقا للقانون، ومضى عام تقريبا من السنوات الثلاث، ولهذا فهم يتعجلون تحقيق الأرباح بطرق سهلة وعلى حساب التخطيط لتنمية الانتاج وزيادة الاستثمار وبالتالى زيادة فرص العمل، ولهذا فهم يتجهون لتخفيض العمالة أو تخفيض أجور ومكتسبات العمال أو بيع أصول وأراضى ومبانى وفروع للشركات، ليحصلوا على دخل من البيع- لامن الانتاج- يظهر تحسنا وهميا فى أوضاع الشركات حتى يضمنوا استمرارهم على رأسها.

الخواجات قادمون

ومع الهرولة الحكومية المفتقدة لأية ضوابط باتجاه بيع الشركات، بدأت هرولة المستثمرين متعددى الجنسيات نحو الشراء.

خلال الشهر الماضى زار وفد بريطانى شركة اسكندرية للأدوية، وهى أنجح شركة فى قطاعها، وزار وفد ايطالى الشركة العامة للخزف الصينى، وأرسلت شركات مالية أمريكية وسعودية وخليجية مندوبيها لمتابعة بورصة الأوراق المالية والوقوف على حركة تداول الأسهم. وبحث وفد من منظمات الأعمال اليهودية مع مسئولين بالمكتب الفنى لوزارة قطاع الأعمال العام شراء عدد من شركات القطاع العام المعروضة للبيع، ناقش معه د. محمود سالم مستشار رئيس الوزراء والخبير بالمكتب عرض بيع بعض الفنادق، ورحب الوفد بشراء شركات فى قطاع السياحة، وأعلن استعداده لشراء فندق شبرد بالسعر التقديرى الذى يبلغ ٢٣-٢٨ مليون دولار، وشراء فندق فلسطين!! فى مرحلة تالية.

وبحث فؤاد سلطان وزير السياحة مع رجال الأعمال الألمان خلال زيارته لألمانيا أوائل مارس الماضى عرض بيع ٥ فنادق وقرى سياحية، وسيعرض الوزير على مستثمرين خليجيين خلال أبريل الحالى مشروعات وفنادق أخرى للبيع، عند زيارته لكل من قطر ودبى.

وغادر القاهرة منذ أيام وفد من رجال الأعمال الأعضاء بالغرفة التجارية الأمريكية الى واشنطن لبحث تأسيس شركات تقوم بشراء


مصطفى منجى


عاصم عبد الحق

المشروعات العامة المصرية بالاتفاق المباشر.

وتقدم لشراء شيراتون القاهرة ١٤ مستثمرا سعوديا و٣ مجموعات مالية سعودية مقابل مستثمر مصرى واحد.

وتقدمت شركات ميريل لينسن، وبين ويبر، وموروجان ستانلى، وبنك باركليز الانجليزى ممثلا لمجموعة بنوك وبيوت مال انجليزية، وبنك كيريدي لومبرس ممثلا لشركات مال وبيوت فرنسية وبنك أمريكان اكسبريس ممثلا لشركات وبنوك أمريكية لدخول سباق الشراء. ولحقهم البنك الوطنى الكويتى والبنك الأهلى المصرى وبنك مصر ايران.

وتقدم لشراء صيدناوى الخازندار شركة لافاييت الفرنسية وآل فايد أصحاب هارودز لندن بعرضين يتراوحان بين ٢٠-٢٥ مليون دولار. وتدخل المفاوضة بين شركات فرنسية والحكومة لشراء شركة الكروم مراحلها النهائية.

ويجرى الآن تأسيس شركة مصرية لدخول المنافسة برأسمال ٥٠٠ مليون جنيه يساهم فيها البنك الأهلى وبنك مصر وبنك تشيس الأهلى وبنوك خاصة أخرى.

كل هذا قد جرى خلال الشهر الماضى، ومازالت اللجنة العليا التابعة لمؤسسة الرئاسة والمشكلة من ممثلى الحكومة ورجال الأعمال ومستثمرى العاشر من رمضان وغيرهم عاكفة على إعداد الضوابط لعملية البيع. أحد المصادر داخل هذه اللجنة قال انها لجنة استشارية وفقط، وأنه لايوجد تنسيق بينها وبين الجهات المشرفة على قيادة أو بيع القطاع العام.. وأكد وجود مافيا مستفيدة من البيع فى غيبة الضوابط، لكنه رفض الخوض فى تفاصيل مؤجلا ذلك الى وقت لاحق!!

ويذكر أن جميع اعلانات البيع لاتتضمن أى ضوابط أو قيود على البيع للأجانب، باستثناء حظر شرائهم للمشروعات الواقعة فى سيناء، وكلها مشروعات سياحية، كما لايوجد مايلزم المالك الجديد بأى شئ سواء من حيث نشاط المشروع أو حقوق العمال!

البيع فى الكساد!

تسبب العرض المفاجئ لبيع أعداد ومساحات كبيرة من المبانى والأراضى الفضاء المملوكة للعديد من الشركات فى خفض سعرها بنحو ٣٠-٥٠٪ من قيمتها الأصلية.. كما يتسبب العرض المفاجئ لكل هذه المشروعات مع حالة الكساد المسيطرة على السوق المصرى منذ منتصف الثمانينات تقريبا الى انخفاض قيمتها كثيرا- ولعل فشل المدعى الاشتراكى فى بيع أصول شركات توظيف الأموال سدادا لمستحقات دائنيها خير دليل على هذا الكساد، وكذلك عدم الانتهاء حتى الآن من بيع مشروعات المحليات، وهى العملية التى بدأت منذ ثلاث سنوات تقريبا، ورغم أنها مشروعات صغيرة.

وكانت الحكومة قد اتفقت مع رجال الأعمال فى لقاءات سابقة على طرح أسهم الشركات بعد تقييمها فى سوق الأوراق المالية، وترك تحديد قيمة الأسهم لآليات السوق، إلا أن الحكومة طرحت الشركات للبيع بأسلوب المزايدة التنافسية، وبهذا يبتعد جمهور العاملين وصغار المدخرين عن المشاركة فى شراء أسهم وتشغيل مدخراتهم ليحتكر كبار الرأسماليين هذه الشركات.. وتضييق قاعدة الملكية الخاصة لتتعقد عليهم شيئا فشيئا، مع التدمير المتوالى للصناعات الصغيرة وللزراعة أيضا!!

المكتب الفنى من جهته يحظر الشراء نهائيا على البنوك والشركات القابضة والهيئات الحكومية المصرية، أما بالنسبة للأجانب فلا يحظرها الا فى المشروعات الموجودة بسيناء فقط!!

التصفية هى الهدف

والغريب أن بعض الفنادق المعروضة للبيع يديرها الآن ادارات أجنبية مثل فندق شبرد الذى تديره «هلنان للفنادق» وتملكه شركة الفنادق المصرية، والفنادق العائمة الأربعة التى تملكها الشركة المصرية العامة للسياحة والفنادق (ايجوث) تديرها شركة شيراتون العالمية التى تدير أيضا شيراتون القاهرة وأوبروى أسوان. أى أن هناك حاليا بالفعل فصل بين الادارة والملكية كما قالوا فى مبرراتهم الأولى لسياسة هدم الاقتصاد الوطنى باسم اصلاحه!! أما الآن فالهدف واضح تصفية الملكية العامة.. احكام السيطرة الأجنبية على مقدرات الاقتصاد الوطنى.

عائد البيع

فى لقائه مع القيادات النقابية للعمال قال الوزير عاصم عبد الحق إن الحوار مازال دائرا حول حصيلة بيع الشركات وأين توجه؟ ولم يحسم بعد.. وأن كان هناك ٣ اتجاهات

الأول. توجهها للخزانة العامة للدولة للانفاق على الخدمات والبنية الأساسية، **والثانى** توجيهها للشركات القابضة لتعويم الشركات المتعثرة واصلاح أوضاعها. **والثالث** لسداد ديون هذه الشركات لدى البنوك.

وواضح من كلام الوزير أن الاتجاهات الثلاثة يقف وراءها على التوالى الحكومة ورؤساء الشركات القابضة ورجال البنوك..

إجراءات عاجلة

فى بيانه إلى الأحزاب والقوى والجماعات الوطنية الحريصة على ثروة الشعب المصرى (قطاع عام وخاص) دعا حزب التجمع أوائل مارس الماضى الى وقف بيع شركات القطاع العام بهذا الأسلوب المثير للشبهات- مع تمسكه من حيث المبدأ برفض تصفية وبيع القطاع العام- ودعا للاتفاق على الأسس التالية..

* أن يصدر قرار بيع الأصول التى يمتلكها الشعب من مستوى سياسى مسئول- لامن الشركات القابضة أو المكتب الفنى- وأن يكون الهدف من البيع هو زيادة القدرة الانتاجية ورفع معدلات النمو وليس مجرد تغيير طبيعة الملكية.

* أن تتم عملية تقييم الشركات المطروحة للبيع من خلال مؤسسات معلنة ذات خبرة كافية وبمشاركة مجالس ادارات هذه الشركات مع توفير ضمانات كافية تبعد شبهة الفساد والتواطوء واهدار المال العام وتبديده.

* أن يتم البيع فى إطار برنامج زمنى طويل يراعى طبيعة السوق ويحقق أفضل شروط ممكنة.

* وضع ضوابط وقيود واضحة على ملكية الأجانب لأى من هذه الأصول أسوة بما يحدث فى كل بلاد العالم بما فيها انجلترا وفرنسا وألمانيا وأمريكا، وفرض قيود مانعة لشراء رأس المال الاسرائيلى لأى من هذه الأصول.

* جذب المدخرات الواسعة للقطاع العائلى للاستثمار فى مشروعات منتجة وتخصيص نسبة من أسهم هذه المشروعات للعاملين فيها وتوفير القروض والتيسيرات التى تسهل لهم الشراء، ووضع حد أعلى لملكية الأسهم لأى شخص حقيقى أو معنوى.

* **وضع حصيلة البيع فى حساب خاص يستخدم فى استثمارات بديلة (اقامة مشروعات جديدة أو التوسع فى مشروعات قائمة) لرفع مستوى المعيشة وخلق فرص عمل للأجيال الجديدة.**



حول بيع مشروعات القطاع العام

اصلاح للاقتصاد..

أم أكبر صفقة فى التاريخ؟

محمود المراغى

بدأ مهرجان البيع والشراء لوحدات القطاع العام.. اعلانات للمستثمرين فى صمت مصرية وأجنبية»..الا دونا.. ألاتريه».. من يشترى وحدات رابحة، ناجحة، لاغبار عليها.

فى نفس الوقت بدأ موسم الاتهامات المعلنة وغير المعلنة. فتقييم الثمن الأساسى للوحدات قامت به بيوت خبرة أجنبية فى معظمها.. صحيح أنها قد استأجرت بيوتا مصرية من الباطن لتقوم بالمهمة، لكن اسم البيت الأجنبى ظل يحمل المسؤولية... والمسؤولية تشير- كما يقول مسؤولون فى الشركات - إلى أن **اجحافا** يحدث، لبيع الوحدات بأرخص الأثمان.

قبلها، كان الدكتور **عبد العزيز حجازى** رئيس الوزراء الأسبق وكبير المحاسبين العرب قد أشار فى تصريح له لنفس الظاهرة: ظاهرة استئجار بيوت أجنبية ذات هوى، تقلل من قيمة الوحدات.

ويثير ذلك سؤالا هاما: **ماهو الهدف من البيع؟.. وهل يكون- كما يقولون- وسيلة لاصلاح الاقتصاد المصرى.. أم يكون أكبر صفقة بعد قناة السويس فى القرن التاسع عشر؟**

والصفقة هنا ذات حجم ضخم، إذ أنها تضم معظم مابنيناه خلال ثلاثين عاما من الثورة، والثورة المضادة.. والأخطر أنها **«مصانعنا ومشروعاتنا الأخيرة»** فالدولة قد قررت التوقف عن الاستثمار فى المشروعات الانتاجية والاكتفاء بالدور التقليدى: بناء المرافق التى تخدم المستثمرين.

أقول :ذات حجم ضخم» لأننا لانعرف بالضبط ماينتهى إليه تقييم الخواجات، ومزاد المستثمرين، عربا وأجانب ومصريين، ولكن طبقا لأرقام تقديرية سابقة فإن **حجم القطاع العام يزيد عن ثلاثمائة مليار جنيه**.. وبطبيعة الحال فإن القيمة تتغير وفقا لحالة المنشأة وأرباحها وموقف أسهمها- إذا كانت تتداول فى البورصة كذلك فإن لجان بعض الشركات تملك من الأصول أكثر مما تملك من سمعة أو مركز مالى فثمن متر الأرض على كورنيش النيل أو حى المهندسين تتجاوز السبعة آلاف جنيه، ومن يملك عقارا فى هذين الموقعين أصبحت لديه فرصة نادرة للبيع بأعلى سعر.

نعود للسؤال الرئيسي: ماهو الهدف من بيع وحدات القطاع العام؟

لم تقل الحكومة أنها تريد أموالا سائلة لتسد الا ديونها والتى بلغت فوائدها- كما قال النائب **عبد الوهاب قوطة**- فى مجلس الشعب آخيرا- ١٥ مليار جنيه سنويا..!

ولم تقل الحكومة أن فكرة «بيع الديون» المستحقة للخارج، والتى تجرى حاليا يمكن أن تصب فى نفس الخانة، فيتم السماح للدائنين بالحصول على ديونهم- أو جزء منها- بالعملة المحلية كما يُسمح لهم بشراء أصول. من القطاع العام .. أى أنهم يستبدلون الدين بأصل مملوك للحكومة.

أيضا ، لم تقل الحكومة إن «هذه هى تعليمات صندوق النقد الدولى»، وأن السمع والطاعة واجبان حتى تستمر رحلة اسقاط نصف ديون مصر، فإنه دون السمع والطاعة يصبح على مصر أن تبحث عن طريق آخر لانقاذ اقتصادها بخلاف الاعتماد على الخارج.

لم تقل الحكومة شيئا عن ذلك وكله صحيح. لكنها قالت التخصيص أو الخصخصة كما يسميها البعض بهدف تحسين إدارة هذه المنشآت وتعظيم الانتاج والربح، وهما أمران لازمان لإنعاش الاقتصاد، وتوفير السلع وتشغيل اليد العاملة.

أيضا تقول الحكومة: أن الهدف هو تشجيع القطاع الخاص، والمستثمرين.. فالمستثمر يريد مشروعا جاهزا.. بضاعة حاضرة.. تغريه، وتختصر له رحلة ومشقة بناء مشروع جديد.

وكانت المقولة الحكومية فى البداية: **نريد التخلص من الوحدات الخاسرة.. أصبحت المقولة: نريد التخلص عن الوحدات الناجحة**.. فالخاسر لايجذب

أحــدا، ومن ثم لابد من اصـــلاح مـــالى واقتصادى للوحدات.. حتى يمكن تسويقها.

هكذا أصبح الموقف: نحن نبيع وحدات ناجحــة ، تكسب وتدر دخــلا.. ويمايطرح السؤال السابق: مالهدف؟

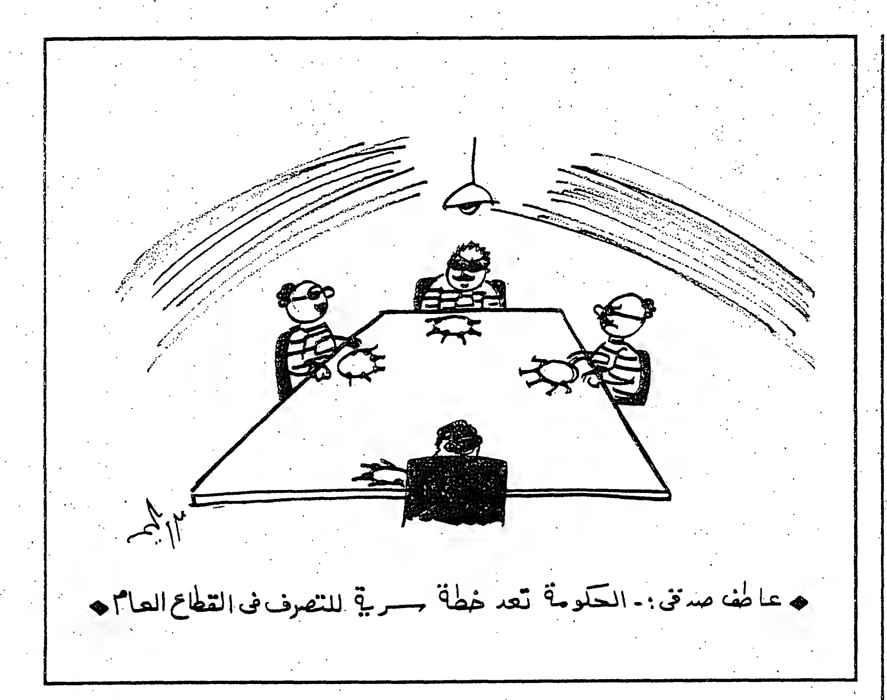
يمكن أن نتـفق جـدلا على أن مـعـدل الربحية منخفض.. وأن هذه الاستثمارات الضخمة لا تأتى بعائد مناسب ، وأن عائد الضرائب- فى حالة تشغيلها بكفاءة- يمكن أن يكون أكبر مما يتم تحويله للخزانة العامة حاليا..

يمكن أن نتـــفق على ذلك.. **ولكن ماالقول فى وحدات لن تتغير ادارتها ، ولن تتعهد بتوسع ما، ولن تعطى إنتاجا أكثر؟..** ماالقول فى الفنادق التى تدار إدارة أجنبية سوف تستمر عقودها- وعلى المالك الجديد أن يلتزم بنفس الادارة، أى يحصل على نفس ماكان يحصل عليه القطاع العام المصرى؟

والأمثلة هنا كثيرة إبتداء من شهرد ، **إلى شيراتون وغيرها..**

أيضا: **ماهو القول فى بيع حصة القطاع العام فى شركات الحراريات.. حيث بلغ سعر سهم اراسكو ضعف قيمته الاسمية نتيجة الارباح المتزايدة؟..هل هى قضية إدارة أيضا؟**

الواضح أن فكرة تحسين الادارة ليست الأساس، والا كان نموذج «تخصيص الادارة أو تغييرها أو تطويرها» نموذجا كافيا..



◆ عاطف صدقى:- الحكومة تعد خطة سرية للتصرف فى القطاع العام◆

والواضح أن زيادة رقعة الأرباح ليست الهدف فى كل الأحوال.. فما تفعله الحكومة هو تدوير الملكية ونقل المشروعات من (س).. الى (ص).. لكنها لاتفتح مجالا لانشاء جديد أو اضافة تقدمها رؤوس الأموال الخاصة.

وهنا نصل إلى بيت القصيد، فالهدف هو تغيير شكل الاقتصاد، وتراجع ملكية المجتمع.. بصرف النظر عن التفاصيل.. والتى قد تتحدد حالة بحالة. **الهدف هو السمع والطاعة للمؤسسات الدولية،** دون **تكبد مشقة البحث عن طريق آخر.** صحيح أن العلاقات مع هذه المؤسسات ليست دائما «سمنا على عسل»، لكن **المحصلة النهائية أننا نطيع.. وننفذ**

الهدف خطير، ولسنا ضد تشجيع القطاع الخاص.. ولكن شرط أن يضيف ويبنى، وهو مايمكن أن يتم بوسائل كثيرة.

والهدف خطير، اذا تحولت أموال القطاع العام الى انفاق جار يمول الميزانية العامة للدولة.. فكأننا نبيع أصولنا لنملأ جيوبنا وامعاءنا ونعش يوما سهلا، غير عابئين بالغد.

أعلم أن تمويل الميزانية يتم بإقراض محلى ضخم، وقد تسهم أموال القطاع العام فى علاج ذلك.. لكنها فى النهاية تكون كمن باع الدجاجة التى تبيض ذهبا.. ليقدم وليمة للغذاء.

أقترح إنقاذ مايمكن إنقاذه: أعادة النظر فيما تبقى من مشروعات ستعرض للبيع.. وتخصيص حصيلة البيع فى كل الأحوال لاستثمار جديد يقوم به القطاع العام، فسوف تبقى فى النهاية مجالات ذات طابع اجتماعى واستراتيجى لاتحقق ربحا كبيرا، ولايقبل عليها القطاع الخاص.

و..**الاقتراحات قد تتعدد، فقط نتفق: لماذا نبيع؟**



سياسة الأرض المحروقة

تصعيد جديد للعنف

هشام مبارك

شهد الشهر الماضى تصاعدا ملحوظا فى الصراع الدموى الدائر بين تنظيم الجماعة الإسلامية وسلطات الأمن، فقتل خلال يوم واحد (١٠ مارس) ٢٢ شخصا من بينهم (١٧) من أعضاء الجماعة و (٥) من الشرطة فى مجابهات مسلحة فى أسوان والجيزة والقاهرة. ويزيد هذا العدد عن أعداد القتلى فى شهرى يناير وفبراير الماضين حيث سقط فيهما (٢٠) قتيلا.. وأذا ماستمرت معدلات العنف على هذا النحو فإن أعداد القتلى خلال العام الحالى ستتجاوز قرينتها فى الأعوام السابقة والتى بلغت ١١و٥٢و٨٣ خلال اعوام ٩٠ و٩١و١٩٩٢ على الترتيب..

ويأتى هذا التصاعد فى أعمال العنف فى سياق تغيرات فى استراتيجية الجماعة الإسلامية والسياسة الأمنية. فوفقا للسياسة الأمنية التى اقرتها وزارة الداخلية فى التعامل مع عناصر الجماعة الإسلامية، فإن خط التصفية الجسدية فيما يبدو هو الأسلوب الوحيد لتعامل أجهزة الأمن مع هذه العناصر خاصة تلك الى تنتمى إلى الجناح العسكرى فى الجماعة. وفيما يبدو فإن بداية تدشين هذا الخط كان فى قرية منقباد بأسيوط حيث قتل ٧ من أعضاء الجماعة وهم نياما. وقد آتى هذا التطور على السياسة الأمنية من ناحية كاستجابة لمشاعر الثأر المتعاظمة داخل جهاز الشرطة عقب مقتل ٩ من افرادها برصاص الجماعة الإسلامية من بينهم ٣ ضباط فى الاسكندرية والفيوم وديروط، وقد عبر وزير الداخلية عن هذه المشاعر فى سياق اجابة على سؤال للصحفيين عقب صدور حكم الاعدام على قاتل الضابط على خاطر قائلا بأنه كان يشفى غليله أن يقتل القاتل فى الحال ليس بحكم الأعدام. ومن ناحية ثانية فإن سياسة التصفية تمليها **ضرورات عدم المخاطرة بحياة رجال الشرطة أثناء توجههم لاعتقال عناصر الجماعة الاسلامية المتحصنين** فى منازلهم ويكون افراد القوة اهدافا سهلة لإطلاق النار عليهم، ومن ثم فإن المبادرة بتصفية من فى الوكر يمنع هذه المخاطرة حسبما تعتقد وزارة الداخلية.

وفيما يتعلق بالتغيرات التى ادخلتها الجماعة الاسلامية على استراتجية العنف التى تنتهجها والتى أملت السياسة الأمنية الجديدة تتمثل أساسا فى اعتداءات الجماعة على السياح..

فى هذا السياق فإن أول أعمال العنف ضد السياحة، التى وقعت فى يونيو الماضى بالقاء عبوات ناسفة على معبد الكرنك، تعد خطا فاصلا بين مرحلتين فى استراتيجية الجماعة الإسلامية وسنسعى فى السطور القادمة لمعرفة الظروف التى أدت إلى تغيير استراتيجية الجماعة. وفى هذا السياق سنتجنب عن عمد مزاعم الجماعة الإسلامية بأن اعتداءها على السياح جاء ردا على نشرهم للإنحلال، لأن هؤلاء السياح ظلوا يرتادون المناطق الأثرية فى جنوب مصر ولم يتعرضوا لأية اعتداءات رغم أن هذه المناطق (الجنوب) تعد معاقل نفوذ الجماعة الإسلامية..

من المعروف ان الوعاء التنظيمى للجماعة الإسلامية يتكون من جناح الدعوة الذى يتولى نشر فكر الجماعة فى المساجد والمناطق السكنيه والقطاعات الطلابية والجناح العسكرى المسئول عن القيام بأعمال العنف ضد أعداء «الإسلام» من وجهة نظر الجماعة الإسلامية.. وقد أنشأ الجناح العسكرى فى عام ١٩٨٩ بعد اشتباكات مطولة مع الأمن فى ظل **زكى بدر وزيرة الداخلية** فى الفترة من (٨٦-١٩٩٠) وكانت وظيفة الجناح العسكرى القيام بأعمال **«عنف منضبط»** كنوع من الردع لجهاز الشرطة لإجباره على التراجع عن مهاجمة معاقل الجماعة الإسلامية، على أن تلتزم الخلايا العنقودية لهذا الجناح والتى جرى توزيعها جغرافيا (انظر شكل (١)) على مناطق نفوذ الجماعة، بالقيام بأعمال الردع فى المنطقة التى يضغط فيها الأمن فقط... وهو ما يفسر اقتصار عمليات العنف التى يقوم بها الجناح العسكرى للجماعة فى مناطق بعينها دون أن تمتد إلى مناطق آخرى من نفوذ الجماعة طالما لم تشهد هذه المناطق آية توترات أمنية.. حتى عمليات الإغتيال التى أستهدفت رجال الشرطة كانت تتم بواسطة خلايا تتبع الجناح العسكرى فى مناطق عمل رجال الشرطة مثل عملية اغتيال مخبر اسنا فى ابرايل الماضى.. ويخرج عن نطاق قاعدة **«التخصص الجغرافى»** عمليتى اغتيال **رفعت المحجوب والدكتور فرج فودة** وكلتاهما وقعت فى القاهرة.. ووفقا للمعلومات فى القضيتين حسبما اعترف المتهمون فقد جرى تخطيطهم وتنفيذهم بواسطة القيادة المركزية للجناح العسكرى والعملية الأولى كانت ردا على اغتيال قيادة مركزية فى الجماعة الاسلامية، وهو **علاء محيى الدين** المتحدث الرسمى للجماعة الاسلامية بينا كانت الثانية «**فرج فودة**» ردا على هجومه على افكار الجماعة الاسلامية حسبما تزعم الجماعة.. والنتيجة التى نستخلصها هى أن عمليات العنف التى تتم ضد مسئولين كبار فى العاصمة تكون من مسئولية القيادة المركزية للجناح فقط، بعد التشاور مع مجلس شورى الجماعة الذى يتولى الاشراف على



تعرش ضحايا الشرطة بعد الصلاة عليهم فى طريقها الى المثوى الاخير

جناح الدعوة (الجناح العلنى).. هذه المقدمة التى طالت ضرورية لفهم تداعيات أعمال العنف التى وقعت فى الفترة من يونيو الماضى وحتى الآن..

ظل الجناح العسكرى للجماعة الإسلامية محل إعجاب وزهو عضوية الجماعة باعتباره **«الذراع الطويلة» «أو «السيف البتار»** على حسب تعبيرات الجماعة، وحالة الاعجاب هذه تجدها تفضح فى وثائق الجماعة السرية وهى حالة مشابهة لما كان يحظى به **«الجهاز السرى» للأخوان المسلمين فى الأربعينات**..لكن هذا الأعجاب تعرض لهزة عنيفة بعد **المذبحة الطائفية ضد الأقباط فى قرية صنبو**، بعد أن عجزت «الذراع الطويلة» عن ردع أجهزة الأمن فى حملاتها المكثفة على معقل الجماعة فى ديروط فتساقطت القيادات سريعا فى يد الأمن واغلقت المساجد، وبدا الجناح العسكرى عاجزا عن الرد بفاعلية كما كانت تتوقع الجماعات **وتكرر عجز هذا الجناح فى عملية أسنا بمحافظة قنا** عقب اغتيال المخبر، فعصف جهاز الأمن بقيادات الجماعة هناك وتمكن بضربة واحدة من اعتقال اعضاء مجلس شورى المحافظة وعلى رأسهم الأمير **بدر مخلوف.. وفى عمليتى ديروط وقنا لم يكن الجناح العسكرى للجماعة قادرا على مديد العون للجماعة..**

ولأن ضربتين فى «الراس توجع» قنا وديروط «فإن الجناح العسكرى وخاصة فى قنا ارتأى أن تنفيذ عمليات انتقامية ضد السياح **تحقق فوائد جمة: فمن ناحية تعيد الصورة الزاهية «للذراع الطويلة» و«السيف البتار»** القادر على الردع.. كما أن هذه العمليات ستمثل ضربة موجهة للدولة فى «عزيز لها» حيث تمثل السياحة مصدرا هاما للدخل القومى لامحيص عنه فى ظل الأزمة الاقتصادية الراهنة.. واخيرا فإن هذه العمليات **ستؤدى إلى تشتيت جهود الأمن بفتح جبهة جديدة فى الصراع يحتاج** تأمينها اعدادا ضخمة من قوات الشرطة، **الأمر الذى سيؤدى إلى خلخلة قبضة الأمن على مناطق قنا** وديروط.

ولم يكن مصادفة أن تبدأ عمليات العنف ضد السياح فى محافظة قنا ثم أسيوط، وعندما يتكرر الوضع فى منطقة أمبابة عقب الحملة الأمنية فى ديسمبر الماضى، نشهد احداث عنف ضد السياحة فى الهرم التى يجمعها وأمبابة محافظة الجيزة.. وفيما يبدو فإن الجناح العسكرى ظل امينا لقاعدة «التخصص الجغرافى» حيث وقعت اعمال العنف ضد السياح فى المحافظات التى شهدت توترا امنيا «انظر جدول الاعتداء على السياحة» **فلم تشهد محافظات المنيا وسوهاج وأسوان أية أعمال عنف تستهدف السياح رغم اكتظاظها بهم بوجود آثار سياحية بهم..** ولكن بعد مقتل ٩ فى أسوان (١٠ مارس) فانها مرشحة لتشهد اعمال عنف ضد السياح هناك.

ولكن موقف الجماعة الإسلامية من أحداث الإعتداء على السياحة كان مثيرا للانتباه.. فوجدنا تصريحات صادرة من الجماعة تؤكد وبعضها ينفى مسئوليته عن هذه الأحداث.. فوفقا لتصريحات المتحدث الرسمى بأسم الجماعة الإسلامية والتى طيرتها وكالات الأنباء ونشرتها جريدة الوفد فى ١٠ ، ٢٣ أكتوبر الماضى، فإنه يقر بمسئولية الجماعة عن أحداث اطلاق النار على باصات السياحة ويضع شروطا لموقف الجماعة لاعتداءتها على السياح وهى: **«الافراج عن قيادات الجماعة المعتقلين.. ووقف التعذيب الذى يتعرضون له فى السجون.. والسماح للجماعة الإسلامية بممارسة نشاطها فى المساجد..»** لكن بيانا آخر نشرته جريدة الشعب فى ٢٣ ديسمبر صادر عن الجماعة الاسلامية **نفت فيه مسئوليتها عن أحداث السياحة وأن المسئولين عنها «مجموعات من الشباب صغير السن فى الجماعة الإسلامية» تتصرف بشكل فردى بعد أن اعتقلت قياداتها، وطالبت الجماعة الدولة بالإفراج عن قيادات الجماعة لتتمكن**

مقتطفات من تصريحات المسئولين

«الشرطة حسمت معركتها مع الإرهابيين منذ فترة طويلة»

وزير الداخلية- الأخبار ٩ فبراير

« إن أجهزة الأمن تمكنت من كشف جميع الحوادث الإرهابية.. وتم ضبط ٩٥٪ من المتهمين فى هذه القضايا..»

وزير الداخلية - الاخبار ٣١ يناير

«إن جميع قيادات وكوادر المتطرفين يوجد بهم حصر لدى اجهزة الأمن وانهم تحت السيطرة»

وزير الداخلية - الاهرام ٣٠ يناير

«حذر رئيس الجمهورية من انتشار ظاهرة الارهاب وأكد أنه يهدد كل جوانب الحياة على أرض مصر..»

وفد ٢٦ يناير

«هناك مايبرر اعتقادنا أن السودان يقوم بتهريب الاسلحة الى مصر..»

مبارك- الجمهورية ٢٥ يناير

«وزير الداخلية ينفى وجود معسكرات الارهاب بالسودان وتمويل ايران كلام جرايد»

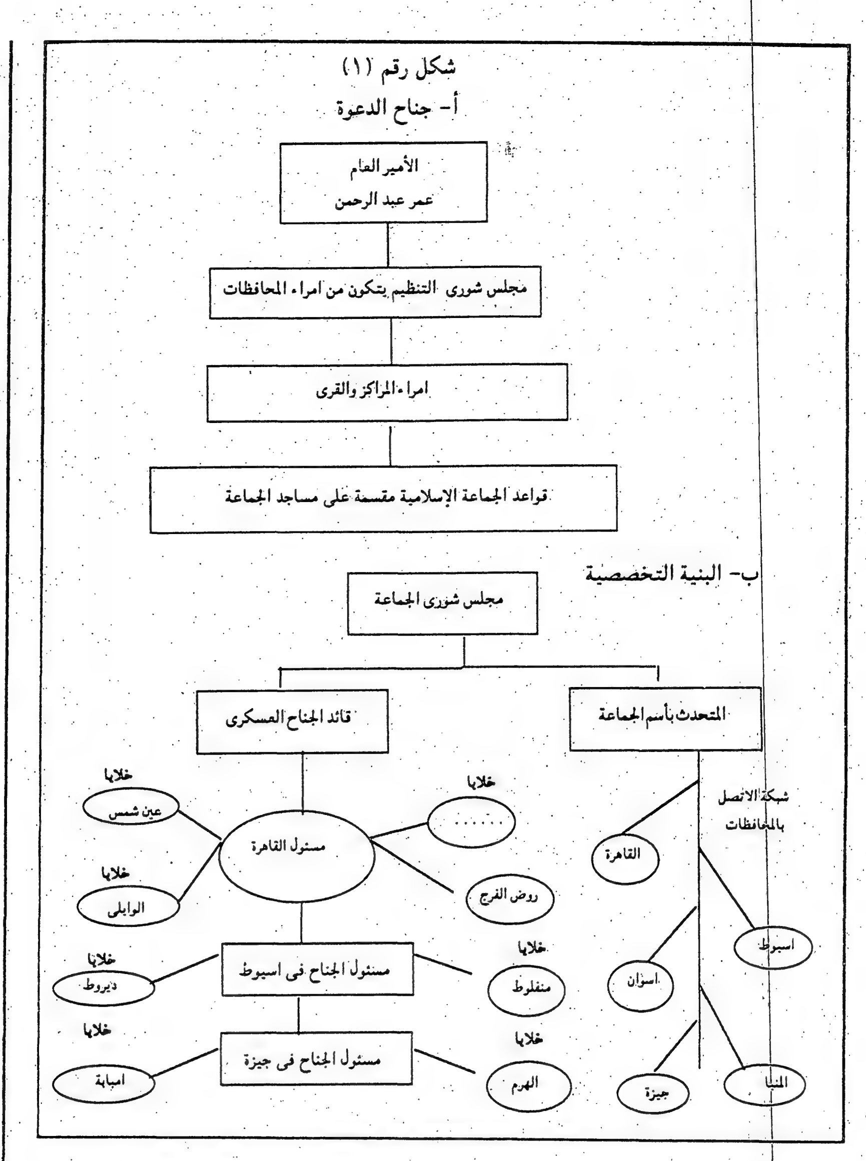
الشعب ٢٥ ديسمبر

«ان معلوماتنا تفيد بأن هناك بعض المعسكرات فى السودان»

مبارك فى مؤتمر صحفى بتاريخ ١٦ ديسمبر

«نفى اللواء حسن الألفى محافظ اسيوط أى علاقة للجماعة الاسلامية بالاعتداء على السياحة.. واكد تورط المخابرات الصهيونية فيها»

الشعب ٢٣ يناير



من إعادة السيطرة على العناصر المسئولة عن أحداث السياحة ، وأن الاعتداء على السياح ليس من سياستها.

وهذه البيانات المتناقضة قد تكون مؤشرا على وجود صراع داخل الجماعة الإسلامية بين جناح الدعوة وبين الجناح العسكرى. ووفقا للمعلومات المتوافرة فإن **قيادة جناح الدعوة والموجودة بمحافظة المنيا هى التى اصدرت البيان الذى نفى مسئولية الجماعة عن احداث السياحة، وهذه القيادات** سعت منذ تصاعد اعمال العنف فى أسيوط بين الشرطة والجماعة الى تهدئة الأوضاع لرؤيتها بأن صراعا شاملا مع الدولة لن يكون فى صالح الجماعة الإسلامية فى هذه اللحظة، وأن اعمال عنف ضد السياح ستعجل بالصراع الشامل..

وربما يفسر هذا التحليل الهدوء الأمنى الذى تتميز به محافظة المنيا عن دون محافظات الجمهورية رغم التراجد الكثيف للجماعة الإسلامية فيها..

إن مثل هذه الصراعات يتوقع حدوثها بين التيارات المتعجلة للعنف (جناح عسكرى) والتيارات الداعية الى تأجيله أو ضبطه وخاصة فى فترات التشدد الأمنى، حيث يكون هذا الضغط- الأمنى- عاملا مؤثرا على ذوبان التماسك التنظيمى.. وقد تكررت هذه الصراعات تاريخيا بين الجناح العلنى للأخوان وجناحها العسكرى (الجهاز الخاص) فى فترتين.. الأولى فى نهاية الأربعينات عقب اغتيال المستشار الخازندار وتفجير محكمة الأستئناف وقد وصف **حسن البنا** القائمين بهذه العمليات بأنهم **«ليسوا اخوانا وليسوا مسلمين»** كما تكرر صراع مشابه اثناء تولى **حسن الهضيبى** منصب المرشد العام خلفا لحسن البنا الذى سعى الى السيطرة على الجهاز السرى بهدف حله أو تلجيمه فى أسوء الظروف. والثابت تاريخيا أن عملية الاغتيال الفاشلة ضد جمال عبد الناصر فى ميدان المنشية والتى نفذها الجناح العسكرى للأخوان لم تكن بموافقة المرشد أو الجناح العلنى للجماعة.

فى هذا السياق- انفلات الجناح العسكرى للجماعة الإسلامية- كان حادث مقهى التحرير، **فبينما اعلنت وكالة الأسوشيتدبرس نقلا عن الجماعة الإسلامية فى أسيوط مسئوليتها عن الحادث، اذاعت B.B.C ووكالة رويتر بيانا تلقته من الجماعة تنفى فيه مسئوليتها عن هذا الحادث-** واياكان صحة تحليلنا عن وجود صراع بين الجناح العسكرى وجناح الدعوة داخل الجماعة الإسلامية الذى ستؤكده الايام القادمة أو تنفيه، فإن حادث التحرير كان منعطفا خطيرا لمنحنى العنف، ويحمل دلالات عديدة؟ أهمها

(١) يعد هذا الحادث الأول من نوعه الذى ينجح فيه الجناة فى أستخدام مادة «تى. إن. تى» شديدة الإنفجار مع جهاز (تايمر) **لضبط انفجارها فى** وقت معين.. وهذا الأسلوب يعد مؤشرا على القدرة التسليحية للجناح العسكرى على عكس ماكان شائعا بأن تسليحه يقتصر على البنادق الآلية وقنابل «المولوتوف» و«الكونكلا» التى يسهل اعدادها حيث يجرى تحضيرها من بارورد «بمب الأطفال» ومسامير وبنزين مع فتيل اشتعال. وهذه القنابل جرى استخدامها على نطاق واسع فى عمليات الهجوم على عربات الشرطة فى امبابة وفى الاعتداء على السياح.. بينما لم تستخدم «ت. ن. ت» سوى فى عمليتين فاشلتين هما محاولة الاغتيال الفاشلة لزكى بدر فى ديسمبر ١٩٨٩، وانفجرت الشاحنة فى سائق السيارة الملغومة المعدة لتفجيرات موكب وزير الداخلية.. والثانية فى قطار الصعيد وانفجرت فى حاملها وقتلته قبل أن يتمكن من القائها على وحدة حراسه قناطر ديروط..

وبعد نجاح الإرهابين فى استخدام «ت. ن. ت» بنجاح وبشكل موقوت، خطرا بالغا إذ يمكن استخدام هذا الأسلوب فى عمليات جديدة.. يزيد من مخاطر هذا الأسلوب حال تمكن الإرهابيين من تطويره باستخدام نظام التفجير عن بعد «بريموت كنترول»

بيان بأحداث السياحة

١- القاء قنبلتين على معبد الكرنك بالأقصر (٢٤ يونيو)
٢- اعتداء على اتوبيسين للسياحة فى اسنا وقنا (اغسطس)
٣- اعتداء بالرصاص على باخرة سياحية قرب المنيا (أكتوبر)
٤- اطلاق الرصاص على اتوبيس سياحى عند ديروط ومقتل سائحة انجليزية (أكتوبر)
٥- إطلاق الرصاص على اتوبيس سياحى فى محافظة قنا أصيب ٦ (نوفمبر)
٦- اطلاق النار على اتوبيس سياحى فى اسيوط (يناير)
٧- القاء عبوة ناسفة على اتوبيس سياحى فى الهرم (يناير)
٨- إلقاء ٣ عبوات ناسفة على اتوبيس سياحى بالهرم (فبراير)
٩- اطلاق النار على اتوبيس سياحى بمنفلوط فى اسيوط (فبراير)

(٢) **يكشف حادث التحرير عن خسة ونذالة مرتكبيه وعدم اكتراثهم بأرواح الأبرياء من المصريين؟** خاصة وأن الجناة يدركون بأن قوة القنبلة (٧٥ جرام) كافية لقتل واصابة عدد كبير من المواطنين.. وهو مايعنى أن أعمال عنف قادمة سيجرى تنفيذها دون الاعتداد بأرواح ابرياء، وقد تكون هذه الأهداف منشآت حكومية.

(٣) **إن تنفيذ عملية المقهى فى وسط القاهرة تهدف للبرهنة على أن أجهزة الأمن غير قادرة على توفير الأمن ليس فحسب فى اقاصى الصعيد انما ايضا فى قلب العاصمة،** كما هدفت العملية لتكون المسمار الأخير فى نعش السياحة

فى هذا السياق أعلنت **شركات التأمين الأوربية امتناعها عن تأمين الأفواج السياحية المتوجهة إلى مصر عقب الحادث،** وهو مايعنى ضرب السياحة لفترات قد تطول فى المستقبل.

(٤) **يكشف الحادث -وإلى حد كبير- عن ضعف فعالية أجهزة الأمن فى مواجهة نشاط الجماعات الإسلامية** رغم السلطات المطلقة الممنوحة لها بمقتضى قانونى الطوارئ والأرهاب فضلا عن ماانتزعته لنفسها بالمخالفة للدستور مثل حملات الاعتقال العشوائى واستخدام التعذيب والقتل خارج القانون.. كما يفضح الحادث تصريحات وزير الداخلية الوردية عن **نجاح أجهزة الأمن فى القضاء على الجماعات الإسلامية..**

وتثير تصريحات المسئولين عن أحداث العنف التباسا لدى الرأى العام، فهناك من يؤكد على قرب القضاء على الجماعات المسئولة عن العنف بينما البعض يحذر من استمرارها «انظر مقتطفات من هذه التصريحات فى هذا التقرير».

وفى تصعيد جديد للعنف، أعلن المكتب الخارجى للجماعة الإسلامية من مدينه **بيشاور** على الحدود الأفغانية الباكستانية فى بيان معنون **«الرصاص بالرصاص قصاص»**، بأن الأهداف القادمة لأعمال العنف هى **الاستثمارات المصرية والعربية والأجنبية..** ودعا البيان «المستثمرين المصريين والعرب والأجانب إلى إنهاء استثماراتهم فى اقرب وقت» **وطالب «الدول العربية والأجنبية أن تطلب من رعاياها فى مصر مغادرتها فورا..»** .. وقد اذاعت هذا البيان الـ B.B.C ووكالة رويتر فى ٥ مارس الماضى.. ويثير البيان عدة قضايا..

(١) اذا صح تحليلنا السابق شرحه عن الصراع بين جناح الدعوة والجناح العسكرى، فأن هذا الصراع قد حسم لصالح الجناح العسكرى بتدخل «الأخوة الكبار» فى بيشاور كما يطلق عليهم.. فمن المعروف أن قيادات الجماعة الموجودة هناك لها اليد العليا فى تدبير شئون الجماعة، فهناك قيادات مثل **محمد شوقى الأسلامبولى وطلعت فؤاد قاسم وعبد الأخر حماد وطلعت ياسين همام.** والأخير هو قائد الجناح العسكرى منذ أنشأه فى عام ١٩٨٩ وحتى الآن ويتجول مابين بيشاور والخرطوم والقاهرة.

(٢) تعد هذه المرة الأولى التى تصدر قيادات بيشاور بيانا علنيا يتعلق بأعمال العنف فى مصر، فهذه المهمة كانت ملقاة على عاتق المتحدث الرسمى للجماعة بمصر. وفى تقديرنا فان **اعلان الاستثمارات كأهداف للعنف من بيشاور، يستتبع بالضرورة إرسال عناصر من الجماعة الإسلامية الموجودين فى بيشاور إلى مصر لتنفيذ هذه العمليات..** وهذه العناصر تختلف من ناحية المهارات فى تنفيذ أعمال العنف نظر لما اكتسبوه من خبرات فى الحرب الأفغانية. وهو مايعنى فى حالة تنفيذ التهديدات المعلنة بأن أعمال العنف المرتقبة ستكون خسائرها جسيمة..

(٣) إن قاعدة **«العنف المنضبط»** بهدف الردع و**«العنف المحدد جغرافيا»** والتى سبق إيضاحها، تصبح من مخلفات فترة ماضية اتسمت بالصراع المحدود بين الدولة والجماعة الإسلامية.. لذلك فان مسرح عمليات العنف سيشمل جميع المحافظات التى تشهد صراعا بين الأمن والجماعة أو التى لم تشهد هذا الصراع.. وعليه فان محافظات المنيا وسوهاج وغيرها مرشحة لأعمال عنف واسعة النطاق منتظر وقوعها فى الأيام القليلة القادمة.. ومكمن الخطورة هنا أن المنيا وسوهاج تتميز أن بتواجد كثيف لأعضاء الجماعة الإسلامية وخاصة المنتسبين منهم للجناح العسكرى..

ومايشعر به المرء هو أن مصر موشكة على دخول مرحلة أشبه **بحرب عصابات المدن بين الأمن وعناصر الجماعة الإسلامية؟** والنموذج الجزائرى هو الأقرب للتكرار، اذا لم نجد حلا مناسبا وسريعا.. وفى تقديرى فان تأثيرات هذا الصراع الدامى ستكون وخيمة محليا وخارجيا.. **فالهامش الديمقراطى ومنظمات المجتمع المدنى ستكون عرضة للعصف بها، ولن يكون هناك حق التعبير عن الرأى الا لهؤلاء المؤيدين والداعين إلى مزيد من الإرهاب والعنف المؤسس..** بينما **سيكون متاحا لحزب العمل وللاخوان الاختيار بين تأييد الدولة بوضوح او الأنزواء..** وفيما يتعلق **ببقية الاحزاب لن يكون مطلوبا منهم أكثر من استمرار نفس الخط الحالى.**

بينما خارجيا فان توترا ملحوظا سيصيب العلاقات المصرية السودانية قد يكون ناجما عن عملية عسكرية محدودة ضد الأماكن التى تزعم المعلومات المتناثرة بأنها تحوى معسكرات للإرهاب..

الاصل والصورة

فى أفكار الدكتور والى الشرق أوسطية

نشرت جريدة الأهرام يوم ٢٧ فبراير ١٩٩٣ حوارا مع الدكتور يوسف والى الأمين العام للحزب الوطنى الديمقراطى ونائب رئيس الوزراء،ووزير الزراعة تحت عنوان «أفكار مصرية لإقامة سوق شرق أوسطية» يتضمن آراء حول حقيقة وأهمية قيام سوق اقتصادية موحدة بالمنطقة تضم مصر والدول العربية واسرائيل. وفى هذا الحوار يقدم الدكتور يوسف والى أفكاره على النحو التالى:

*هناك حاجة لقيام تكتل اقتصادى كبير فى الشرق الأوسط لمواجهة التكتلات الاقتصادية العالمية الأخرى.

* أن المحاور والركائز الاساسية فى هذه السوق تقوم على مصر فى المقام الأول واسرائيل فى المقام التالى كما تقوم على كافة الدول فى الاقليم وكذلك الدول العربية فى شمال أفريقيا وفى الخليج»

* «لو نظرنا فى امكانات الدول فى هذه السوق نجد أنها تشكل تجمعا هائلا يشتمل على التكنولوجيا والموارد الاقتصادية والقوى العاملة

ولو نظرنا إلى السعة السوقية الضخمة نجد أنها تصل الى، مايفوق ٢٠٠ مليون نسمة وهى سعة يمكن أن تتعامل مع السعات السوقية للتكتلات الاقتصادية العالمية».

* لاشك أن قيام هذه السوق سيدعو إلى المزيد من الكفاءة الاقتصادية فى تخصيص الموارد فى ضوء العلاقات التكاملية فى سياسات الانتاج والتجارة الخارجية التى ستنشأ من قيام هذا الكيان»

* «لاشك أن هناك بعدا سياسيا هاما من وراء فكرة انشاء سوق للشرق الأوسط فأساس

عبد الغفار شكر

هذا التكتل الاقتصادى هو توفر اطار سياسى للسلام فى الشرق الأوسط.

«هى سيناريو متكامل للعلاقات الاقتصادية السياسية بين دول الاقليم وبعضها البعض وبين دول الاقليم والعالم الخارجى «هناك تشجيع وتأييد كبير من الادارة الجديدة (فى الولايات المتحدة) لهذا التوجه فى تلك المنطقة لأنه بالاضافة الى البعد الاقتصادى لهذا التوجه من خلق سوق كبيرة متكاملة فى هذا الجزء من العالم تستطيع الولايات المتحدة فيه تغطية جزء كبير من الطلب على الانتاج الزراعى والصناعى والخدمات. فإن لها بعدا سياسيا هاما يتعلق برغبة الولايات المتحدة فى دعم السلام فى هذه المنطقة والمدخل للسلام هو المدخل الاقتصادى والتأكيد على دعم المصالح المتبادلة لدول المنطقة»

* طلبت من المعهد الدولى لبحوث وسياسات الغذاء فى أمريكا عمل دراسة عن آثر انشاء سوق الشرق الأوسط على الأمن الغذائى بالمنطقة.

هكذا فإن الدكتور يوسف والى لايكتفى بعرض أفكاره حول الموضوع بل يسارع الى اتخاذ خطوات عملية نحو وضعها موضع التنفيذ. **فهو أحد اركان التطبيع بين مصر واسرائيل ويبدو أنه يتطلع للقيام بنفس الدور بالنسبة للتطبيع بين اسرائيل والدول العربية.** واذا كان قد نجح فى أن يكون عراب التطبيع المصرى الاسرائيلى **فماذا يمنع أن يكون الأب الروحى للتطبيع العربى الصهيونى الامبريالى فى المنطقة.**

والسؤال الجدير بالمناقشة هنا هو هل مايطرحه الدكتور يوسف والى هو حقا أفكار مصرية؟ أم أنه رجع الصدى لأفكار امريكية اسرائيلية؟ وبالتالى فمن المستفيد الأكبر من قيام سوق شرق أوسطية: مصر والدول العربية أم أمريكا واسرائيل؟ ولماذا يزداد الالحاح فى هذا الوقت بالذات على فكرة السوق الشرق أوسطية؟

حرب الخليج وانهيار النظام العربى

لايخفى على أحد أن الغزو العراقى للكويت وماأعقبة من تداعيات تمثلت فى قيام الولايات المتحدة الأمريكية بشن حرب تدميرية للاقتصاد والقوة العسكرية العراقية قد أدى إلى عدة نتائج خطيرة بالنسبة للحرب، فهى أولا قد احدثت انقساما عميقا فى الصف العربى وأصابت العمل العربى المشترك بالشلل ومؤسساته بالجمود، واندفعت دول الخليج نحو تحقيق أمنها من خلال اتفاقات عسكرية مع أمريكا وبريطانيا وفرنسا بديلا عن اتفاقية الدفاع العربى المشترك، وهى ثانيا حققت مزيدا من الاختلال فى علاقات القوى بالمنطقة لصالح اسرائيل بعد تدمير قدرة العراق الاقتصادية والعسكرية وخروجها عمليا من المواجهة مع اسرائيل بالاضافة الى مصر التى خرجت قبلها من خلال اتفاقيات كامب ديفيد، وهى ثالثا ساعدت على تزايد دور دول الجوار وخاصة تركيا وايران التى تطمع فى القيام بدور أكبر فى منطقة الشرق الأوسط على حساب العمل العربى المشترك.

فى هذه الظروف بالذات يصبح العرب الطرف الأضعف فى معادلة الشرق الأوسط، ويصبح من السهل الضغط عليهم للقبول بإعادة صياغة أوضاع المنطقة والعلاقة بين دولها فى إطار مختلف عن ذلك الاطار الذى تبلور منذ الحرب العالمية الثانية والذى كان يقوم على الرابطة القومية العربية من خلال جامعة الدول العربية والذى كان يتيح للعرب التحرك كقوة واحدة تأمل فى تحقيق مزيد من التطور الاقتصادى الاجتماعى استنادا الى امكانياتها الذاتية، تحركها فى ذلك النزعة القومية العربية وأمل الوصول إلى نوع من الوحدة لشعوب تمتلك الكثير من مقومات هذه الوحدة. وفى ظل حالة الانهيار التى اصابت النظام الاقليمى العربى وافتقاره للاطار المنهجى والمؤسس بما يمكنه من الانطلاق لتجاوز أزمته الراهنة أصبح بالإمكان دفع بعض الاطراف العربية وخاصة دول الخليج نحو المشاركة بدور واضح فى هذه العملية التى **بدأتها أمريكا بعد حرب الخليج مباشرة. بهدف اقامة بنية أمنية شرق** أوسطية جديدة تستند الى إدخال **اطراف غير عربية وخاصة اسرائيل وتركيا وايران.** وهناك ثلاث خطوات تنفيذية هامة فى هذا الصدد هى: اتفاقيات الأمن الموقعه بين امريكا ودول الخليج ومباحثات مدريد التى تتضمن لجانا لدراسة أوجه التعاون الاقليمى فى المنطقة، ومشروع تركيا لتزويد المنطقة بما فيها اسرائيل بالمياه العذبة. وقد تحققت هذه الخطوات العملية الثلاث بتوجيه امريكا وضغوطها. وبذلك نستطيع أن نفهم قول الدكتور يوسف والى عن سوق الشرق الأوسط«هى سيناريو **متكامل للعلاقات الاقتصادية السياسية بين دول الاقليم وبعضها البعض وبين دول الاقليم والعالم الخارجى»** ويحق لنا أن نتساءل من أين يأتى الصوت فى هذه العملية ومن أين يأتى رجع الصدى؟

للولايات المتحدة الأمريكية مصالح أساسية فى منطقة الشرق الأوسط هى ضمان تدفق البترول العربى باستمرار الى اسواقه فى الغرب، وضمان أمن وسلامة اسرائيل باعتبارها جزء لا يتجزأ من المنطقة يتعين قبوله والتعامل معه من كل دول المنطقة باعتبار أن اسرائيل هى الضمان الحقيقى لحماية المصالح الأمريكية والغربية فى المنطقة، وتأمين الهيمنة الأمريكية على المنطقة والحيلولة دون وقوعها فى إطار نفوذ أى قوة أخرى لضمان سيطرتها على هذا الموقع الحيوى وعلى ثرواته الطبيعية. ولما كانت التجربة قد أثبتت أن الحركة القومية العربية تمثل الخطر الأساسى على هذه المصالح فأن الاستراتيجية الأمريكية فى الشرق الأوسط كانت تسعى دائما الى تصفية هذه الحركة والى تفكيك مؤسسات العمل العربى المشترك،كما كانت وماتزال تسعى الى أن تكون اسرائيل اقوى عسكريا من كل الدول العربية مجتمعة. ومن هذا المنطلق وفى **ظل الضعف العربى الحالى كثفت امريكا جهودها ليس فقط لاقامة بنيه أمنية شرق أوسطية بديلا لمعاهدة الدفاع العربى المشترك بل ولاقامة سوق شرق أوسطية تحقق التعاون الاقليمى بين كل دول المنطقة سواء العربية أو اسرائيل أو دول الجوار وخاصة تركيا، وبذلك تضمن** أمريكا إدماج اسرائيل فى المنطقة واضعاف القدرة العربية، وتواصل التزامها بمواصلة دعم اسرائيل. وفى هذا الصدد يكفى أن نراجع البرنامج الانتخابى للرئيس الأمريكى الجديد **بيل كلينتون** «رؤية لتغيير امريكا» حيث يذكر بالنص **«لايعنى انتهاء الحرب الباردة انتهاء مسئولية الولايات المتحدة فى الخارج ولاسيما فى الشرق الأوسط، إذ مازالت شعوب هذه المنطقة محرومة من السلام والديمقراطية. كما أن اسرائيل، صديقة امريكا، لاتزال معرضة للتهديد من قبل جاراتها».**

«للولايات المتحدة مصلحة حيوية ليس فى أمن اسرائيل فقط، بل أيضا فى التعاون الاستراتيجى بين بلدينا فى المنطقة»

«ونحن نتفهم ونؤيد بحزم حاجة اسرائيل إلى الاحتفاظ بتفوق عسكرى نوعى على أى اتحاد محتمل بين خصومها العرب»

«وينبغى لبلدينا أن يقيما معا لجنة امريكية اسرائيلية مشتركة للتكنولوجيا الراقية لتعمل فى مجال البحث والتطوير فى ميدان تكنولوجيات القرن الحادى والعشرين»(١)

هكذا تسعى أمريكا إلى ادماج اسرائيل فى المنطقة من خلال التطبيع مع الدول العربية ومن خلال اقامة نظام اقليمى شرق اوسطى

د. يوسف والى



على حساب النظام العربى وتلتزم فى نفس الوقت بالتعاون الاستراتيجى مع اسرائيل وادخالها القرن الحادى والعشرين مسلحة بارقى تكنولوجيا وضمان تفوقها العسكرى النوعى على كل الدول العربية المجتمعه.

هذا هو الاطار أو بتعبير الدكتور يوسف والى السيناريو الاقتصادى السياسى العسكرى لفكرة سوق الشرق الأوسط كجزء من الاستراتيجية الأمريكية وليست كما يزعم الدكتور والى أفكارا مصرية بل أن ما يطرحه هو تنفيذ للمخطط الأمريكي الذى يلتقى مع الاهداف الصهيونية حول ضمان أمن ومستقبل اسرائيل بضمان سيطرة امريكا سياسيا واقتصاديا وعسكريا على المنطقة وإدماج اسرائيل فى المنطقة.

اسرائيل وسوق الشرق الأوسط

لاسرائيل اسبابها الخاصة فى السعى لقيام نظام اقليمى شرق اوسطى بديلا للنظام الأقليمى العربى، يشمل سوقا اقتصادية ونظاما امنيا وعلاقات سياسية وثقافية كاملة، وقد سعت اسرائيل لهذا الهدف منذ فترة طويلة، وكانت بذلك تعبر عن فهم عميق لمشاكلها ككيان مصطنع فى المنطقة وقصور امكانياتها الذاتية وعجزها عن الاستمرار بدون الاندماج فى محيط أكبر تستمد منه قوتها وقدرتها على الاستمرار.

**** فالاقتصاد الاسرائيلى اقتصاد صغير الحجم، سواء بمعيار حجم السكان (٥ مليون نسمة) أو بمعيار المساحة (٢١ ألف كم)** مما أدى الى ضيق السوق الاسرائيلية وبالتالى فانها لاتتيح قيام المشروعات الاقتصادية بالانتاج عند الحجم الأمثل أو الحجم الاقتصادى (وهو الحجم الذى تبلغ عنده كلفة الانتاج للوحدة أقل مستوى لها، أى أن الانتاج فى مثل هذا المجتمع لايكون اقتصاديا بالمعنى الفنى حسب تعبير الدكتور جودة عبد الخالق استاذ الاقتصاد بكلية الاقتصاد والعلوم السياسية، الأمر الذى يستلزم تخصيص مبالغ كبيرة لدعم واعانة المشروعات، كما أنه يحد من قدرة الاقتصاد الاسرائيلى على اجتذاب الاستثمارات الأجنبية- ومن ذلك يتضح أن الكيان الصهيونى بسبب المعطيات الاقتصادية والبشرية الخاصة به، يحتاج الى قيام تعاملات مباشرة بينه وبين دول الجوار المحيطة وهى الدول العربية، وذلك كمصدر لامداده بالمواد الخام والمواد اللازمة وعلى رأسها المياه والطاقة والقوى البشرية من ناحية وكسوق لتصريف الانتاج من ناحية أخرى. وبدون هذا التفاعل تظل المعادلة الاقتصادية الاسرائيلية صعبة الحل.(٢)

**** تنهض الاستراتيجية الاسرائيلية على تحقيق هدف رئيس وهو الحيلولة دون وجود أى موقف عربى موحد على أى مستوى ولاسيما فى مواجهة اسرائيل،** ومن هنا يأتى اصرار اسرائيل على اسقاط اتفاقية الدفاع العربى المشترك وترحيبها باقامة بنية أمنية شرق اوسطية تكون امريكا والدول الغربية أطرافا أساسية فيها من خلال اتفاقيات ثنائية مع كل دولة عربية على حدة

**** يعتبر التطبيع مع كل الدول العربية هدفا لاسرائيل لأنه يتيح لها** مواصلة تحقيق مخططاتها التوسعية فى ظل أجواء السلام بعد استنفاذها لكافة امكانات التوسع والاستيطان من خلال الحرب والعنف المسلح، الأمر الذى يشكل خطورة حقيقية على الشعوب العربية لأنه يوفر لاسرائيل مناخا مثاليا لتكثيف اختراقها للمجتمعات العربية، واعادة صياغة مجمل الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية فى المنطقة بما يتناسب مع مصالحها ومع حصولها على الدعم الامريكى شبه الكامل لقيامها بتنفيذ هذا المخطط.(٣)

ديفيد ليفى



**** تخدم كل التحركات الإسرائيلية على الفكرة الجوهرية للمشروع الصهيونى فى المنطقة وهو نجاح اسرائيل فى أن تكون القوة العظمى الاقليمية فى المنطقة** وقدرتها على اكتساب مكانة قيادية بارزة فيها تمكنها من ادارة ومعالجة اوضاع المنطقة بما يضمن مصالحها ومصالح الرأسمالية العالمية. ويلعب الاقتصاد دورا أساسيا فى هذا الصدد الأمر الذى أدى الى طرح فكرة خلق سوق مشتركة فى الشرق الأوسط يتحكم فيها الاقتصاد الإسرائيلى ويجرى فيها تقسيم العمل فى ضوء المزايا الانتاجية النسبية ، والفنون الانتاجية السائدة بحيث يقوم التطور المستقبلى على أساس تزاوج الخبرة التكنولوجية الاسرائيلية مع فائض رأس المال العربى والموارد العربية الوفيرة بمافيها العنصر البشرى، وذلك من أجل تحقيق تطور اقتصادى سريع ومكاسب مشتركة للطرفين(٤). وهناك معالجات اسرائيلية متعددة لهذه الفكرة منذ فترة طويلة **تؤكد أن اقتراح انشاء سوق شرق اوسطى هدف اسرائيلى مبكر وليس كما يزعم الدكتور يوسف والى فكرة مصرية بل هى تتعارض تماما مع التراث الوطنى المصرى ومع السياسة الخارجية المصرية منذ نهاية الحرب العالمية الثانية** لأنها تتعارض مع المصالح الاساسية لمصر والدول العربية..

تطور مفهوم الشرق الأوسط عند إسرائيل

بالرغم من أن الادبيات الاسرائيلية حافلة بالاشارات الى فكرة المجال الحيوى والدولة الاقليمية العظمى والتزاوج بين الخبرة الاسرائيلية والثروة العربية واليد العاملة العربية وذلك منذ قيام اسرائيل الا أننا سنكتفى هنا بالاشارة الى المعالجة الاسرائيلية لفكرة قيام سوق شرق اوسطى لنبرهن على أن مايطرحه الدكتور **يوسف والى** هو افكار اسرائيلية ومخطط اسرائيلى يلتقى مع المخطط الامريكى بسبب وحدة مصالحهما ولم يكن قط فكرة مصرية.

* هناك المشروع الذى اعده **ديفيد**

هوروفيتز سنة ١٩٦٥ بتكليف من جولدامائير باسم «مشروع السوق المشتركة فى الشرق الأوسط» ويتضمن مشروعات للتعاون فى مجالات الزراعة والرى والطاقة والخبرة التكنولوجية والسياحة والنقل والخدمات المصرفية

* وهناك مشروع شيمون بيريز للتنمية فى الشرق الأوسط سنة ١٩٨٦ والذى اطلق عليه مشروع مارشال للشرق الاوسط ويقوم على انشاء صندوق للشرق الاوسط يوفر مبلغا يتراوح بين ٢٠-٣٠ مليار دولار لتنفيذ مشروعات تنموية فى المنطقة تربط التطور الاقتصادى مع خطوات السلام. ويلخص شيمون بيريز هذا المشروع بقوله ان بلاده «تواجه خيارا حادا: أن تكون اسرائيل الكبرى اعتمادا على عدد الفلسطينيين الذين تحكمهم ، أو أن تكون اسرائيل الكبرى اعتمادا على حجم واتساع السوق التى تحت تصرفها»(٥)

* ولاتختلف سياسة الليكود عن هذا التوجه فها هو ديفيد ليفى وزير الخارجية السابق يقترح اقامة مجموعة اقتصادية بالشرق الاوسط تساهم فيها اسرائيل بالتكنولوجيا والدول العربية بروؤس الأموال والقوى البشرية

* وهاهو عيزرا وايزمان يكرر نفس الفكرة «أن العرب يملكون المال والنفط واليهود يملكون العقل والعلم، فاذا التقى الطرفان فى علاقة سلام سيحقق كل منهما العجائب لمصلحة الآخر، وماذا تريد اسرائيل أكثر من أن يسيطر اليهود على اقتصاد العالم العربى المتخلف»(٧)

لقد دعا زعماء اسرائيل الى التعاون بين اسرائيل والعرب والمزاوجة بين العبقرية اليهودية والثروة المادية والبشرية العربية قبل أن يقولها الملك الحسن وقبل أن يطرحها الدكتور يوسف والى!! فهى تعبير عن وعى الاسرائيليين بالمخرج الوحيد من المأزق الاسرائيلى، وعجز الكيان الصهيونى عن الاستمرار بدون التفاعل مع المحيط العربى.

ملاحظات ختامية

كانت المقاطعة العربية الشاملة لاسرائيل والشركات العالمية التى تتعامل معها أقوى اسلحة العرب فى مواجهة اسرائيل الأمر الذى اضطرها الى الاعتماد بصفة دائمة على المعونات الخارجية وعلى المساعدة الأمريكية، ويأتى التطبيع المقترح بين العرب واسرائيل لهدم كل ماحققه العرب من انجازات فى هذا المجال. ولهذا فاننا لاندهش عندما نلاحظ أن الولايات المتحدة الأمريكية تستغل الظرف الدولى والاقليمى الراهن للضغط على العرب من أجل التعاون مع اسرائيل للوصول الى إتفاقيات سلام تعكس الضعف العربى بقدر ماتعكس التفوق الاسرائيلى وانفراد امريكا بقيادة العالم حاليا بعد انهيار الاتحاد السوفييتى، وكلما نجح العرب فى تأجيل الوصول الى نتائج كلما كان ذلك فى مصلحتهم على أمل أن تتحسن الظروف الدولية والاقليمية فى اتجاه عودة التوازن الى العلاقات الدولية بإنهاء احتكار امريكا للقيادة، وعودة التوازن الى العلاقات الاقليمية فى المنطقة باستعادة العرب لقدرتهم على ممارسة عمل مشترك. لقد حرصت امريكا على أن يتزامن التفاوض حول الأرض مع التفاوض حول التطبيع والتعاون الاقليمى،


شيمون بيريز

لكن امريكا تعطى الأولوية لمفاوضات التعاون الاقليمى على أساس أن التطبيع انما هو عبارة عن اجراءات لبناء الثقة بين أطراف الصراع ومن ثم فهو خطوة على طريق إزالة مفردات الصراع فى الوقت السابق(٨). أى أنها تريد اقامة علاقات اقتصادية بين العرب واسرائيل قبل الوصول الى اتفاقيات حول انسحاب اسرائيل من الاراضى العربية المحتلة وقبل تنفيذ قرارات الأمم المتحدة بشأن فلسطين.

وعلى العكس من هذا فان مصلحة العرب تحتم عليهم الاصرار على الوصول الى الاتفاق حول الارض والانسحاب وحق الشعب الفلسطينى فى تقرير المصير قبل بحث أى موضوعات أخرى. وعندما يعكس الدكتور يوسف والى الوضع ويروج لفكرة السوق الشرق اوسطى قبل تلبية المطالب العربية المشروعة فانه يشارك فى اعلاء المصالح الأمريكية والاسرائيلية على المصالح العربية والمصرية الأمر الذى يحتم علينا أن نتصدى له ونكشف زيف ادعاءاته ونوضح بجلاء مدى ارتباط الافكار التى يدعو اليها بالاستراتيجية الأمريكية والاستراتيجية الاسرائيلية.

هوامش:

(١) بيل كلينتون، رؤية لتغيير أمريكا ، مركز الاهرام للترجمة والنشر، مؤسسة الاهرام ص ١٣٦، ١٣٧

(٢) د. جودة عبد الخالق ، العرب ومواجهة تحدى المشروع الصهيونى، قضايا فكرية، الكتاب السابع اكتوبر ١٩٨٨- القاهرة ص ٦٢

(٣) أحمد ابراهيم محمود، مفهوم التطبيع فى الاستراتيجية الاسرائيلية، رؤية - نشرة غير دورية صادرة عن مركز الفالوجا للدراسات والنشر القاهرة- العددان السابع والثامن يناير- فبراير ١٩٩٢ ص ١٧

(٤) احمد ابراهيم محمود - المصدر السابق ص ٢٠

(٥) طارق أنور، تطبيع العلاقات فى المنظور الاسرائيلى، المصدر السابق ص ٥٥

(٦) طارق أنور- المصدر السابق ص ٥٥

(٧) طارق أنور- المصدر السابق ص ٥٦

(٨) عماد جاد، التطبيع فى الاستراتيجية الامريكية ، المصدر السابق ص ١٣

أسئلة بلا إجابات في سوق عكاظ آسيا وأفريقيا

أحمد الحصرى

بعد ثلاثة أيام من الجلسات انقضى مشروع **المؤتمر الدولى للفكر والإبداع** بورقة أطلق عليها المنظمون إعلان القاهرة تحتوى على ١٥ سطرا وقرارا بإنشاء أمانة دولية بالقاهرة كلفها المشاركون بمتابعة خطوات مؤتمر القاهرة وضمان الاستمرار للمبادرة التى ضمت كما قال الإعلان مائة فنان وعالم وكاتب وفيلسوف من جميع القارات.

وقد أثار المؤتمر الذى قام بتنظيمه **اتحاد كتاب آسيا وأفريقيا** العديد من ردود الأفعال تباينا بين الإدانة ورفض المشاركة وبين الترحيب به واعتباره طريقا جديدا للتفاهم بين سكان الأرض.

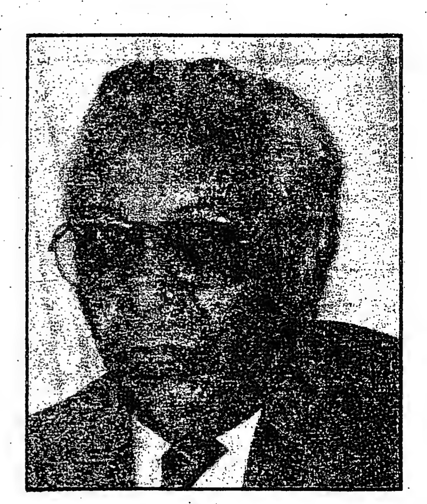
فكرة المؤتمر كما جاء بخطاب الدعوة ولدت أثناء لقاء القمة المصرى السوفيتى مع كتاب وفنانى الاتحاد السوفيتى فى موسكو مايو ١٩٩١ وجدول أعمال المؤتمر تلخص فى الإجابة عن السؤال التالى:**ماهو دور المثقفين والمفكرين والمبدعين وأصحاب الرؤى الإنسانية بعيدة المدى فى تشكيل ميلاد القرن الواحد والعشرين وحتى لايكون ردة إلى أنماط القرن التاسع عشر والنصف الأول من القرن العشرين.**

وأسماء المدعوين للمؤتمر تضم العديد من أصحاب الأسماء اللامعة فى عالم الفكر والفن والسياسة على مستوى العالم ٢٥٪ منهم من مصر وتضم القائمة إثنين من الكتاب -الإسرائيليين- ورغم اعتذار عدد ليس بالقليل من المدعوين فإن الإسرئيليين لم يتخلفا..وهو ما أثار أزمة شديدة كادت تطيح بالمؤتمر - خاصة بعد كلمة أحدهما عن وجود حقين لإسرائيل والفلسطينيين،وإرهابين تقوم بواحد فيهما دولة إسرائيل والآخر يمارسه الفلسطينيون- وتصدى لمقولات الطرف الإسرائيلى **مريد البرغوثى ومحمد سيد أحمد وإلياس خورى وغيرهم.**

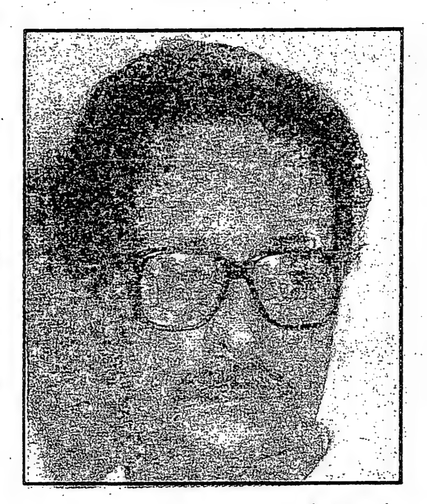
وانتقلت السجالات حول حضور الإسرائيليين خارج قاعات المؤتمر وعلى صفحات الجرائد وكان أكثرها حدة دعوة الكاتب **يوسف القعيد لعزل لطفى الخولى** عن رئاسة اتحاد كتاب آسيا وافريقيا ووزع بعض الناصريين بيانا بالإدانة جمعوا عليه بعض التوقيعات..وكان أبرز ردود الأفعال بيان **لجنة الدفاع عن الثقافة القومية** والذى دعت فيه المثقفين المصريين لإعلان إدانتهم لهذه الخطوة التى تتم فى إطار مشروع التطبيع مع العدو الإسرائيلى..

ورغم وضوح الهدف من عقد المؤتمر فى خطاب الدعوة- لكن التوقيت وأسماء المدعوين والتمويل جعل البعض يقول بأنه مظاهرة لصالح مبارك خاصة مع نية **المنظمين جعل مؤتمر القاهرة القادم فى نهاية هذا العام وهو مايتوافق مع انتخابات الرئاسة المصرية..**

البعض الآخر ذهب إلى أن المؤتمر محاولة جديدة لترويج ثقافة النفط خاصة على ضوء إبراز الأهرام والمنظمين لكلمة أحد السعوديين ووضع أكليشه مفكر عربى أمام اسمه..وكان الاتجاه الغالب بين المعارضين أنه خطوة جديدة



ميلاد حنا..
وأسرائيل أيضا



حلمى شعراوى
لجنة الدفاع عن الثقافة القومية



لطفى الخولى
سوق عكاظ

على طريق التطبيع فى إطار أفكار براقة عن المصير المشترك للكوكب وحوار الإنسان مع الإنسان ويؤكد هؤلاء وجهة نظرهم بتجاهل أفكار الصهيونية وعدم الإشارة إليها أو إدانتها فى البيان الختامى.

وهو نفس الحال بالنسبة لما ذكره المتحدثون عن الهيمنة الأمريكية.

ولم يشفع للمؤتمر قول لطفى الخولى في خطابه الافتتاحى إن أى محاولة متزاكية أو غبية لاستثمار مثل هذا الحوار مناورات تكتيكية أو خدمة لصالح هذه الدولة أو تلك،هذا الزعيم أو ذاك،يجب أن يقاومها بشجاعة كل المفكرين والمبدعين فى هذا المؤتمر وفى العالم كله..وعلينا جميعا نحن الذين نتحمل مسئولية إطلاق هذه الحركة التاريخية للحوار أن لانسمح لسلطة ما كائنة من كانت من الشمال أو الجنوب فى مصر وغير مصر أن تحجر أو تضع قيودا أو تحدد لنا مسارات معينة لحواراتنا الفكرية.

وكانت كلمات لطفى الخولى بمناسبة ماأثير عن خطة مصر وحسنى مبارك من وراء الدعوة لهذا المؤتمر وهو ما أثاره المفكر الفرنسى ريجيس ديبريه قبل انعقاد المؤتمر..

وبعيدا عن نوايا المضمون وآراء المعارضين فإن جلسات الثلاثة أيام لم تستطع التوصل إلى خط مشترك واضح بين المشاركين وقد يرجع ذلك إلى أنه مؤتمر تحضيرى..وهو مادعى لطفى الخولى نفسه إلى إطلاق تعبير «سوق عكاظ» على الجلسات..وقد قدمت أوراق كثيرة وملخصات لأوراق أخرى كان أهمها ورقة مشتركة تقدم بها **اسماعيل صبرى عبد الله وابراهيم سعد الدين وفخرى لبيب ولطفى الخولى وحمدى قنديل** عن أحوال كوكب الأرض فى نهاية القرن العشرين أكدوا فى بدايتها على استحالة استشراف مستقبل شعب أو مجموعة من الشعوب دون الأخذ فى الحسبان مايجرى فى بقية أنحاء الكوكب وقالوا فى نهايتها إن التطور العلمى والتقنى والاقتصادى الذى خلق ظروف مولد عالم واحد على سطح هذا الكوكب سيبقى حلما مادام الناس يضرون بالبيئة ويرفضون تعميم الديموقراطية القائمة على مشاركة المواطنين فى صنع القرارات التى تؤثر فى حياتهم والعدل الاجتماعى الذى بدونه لن ترى شعوب العالم الثالث فى أى حديث عن نظام عالمى جديد إلا محاولة لتأكيد سيطرة الشركات متعددة الجنسية على العالم كله وهو مايجعل تعاون الشعوب رهنا باحترام بعضها البعض والسعى المشترك لإسعاد الناس جميعا.

وكان أهم ماقالته الورقة مصريا دعوة المشتغلين بالعلم والأدب والفن والفلسفة إلى رفض طرفى الاختيار المطروحين بشدة على مجتمعنا وهما المحافظة على ماهو قائم ولوبشئ من التزويق أو ماضوية التوجهات السلفية.

أما أهم الأرقام التى جاءت بالورقة فهى رصيد الاستثمارات الجنوبية فى دول الشمال الصناعية عام ١٩٨٦ وبلغت أكثر من ٨٩١ مليار دولار أى مايساوى إجمالى مديونية العالم الثالث فى تلك السنة...والغريب أن القسط الأكبر من استثمارات الجنوب (٥١١) مليار جاء من بلدان غير مصدرة للبترول..

جمع معظم الأوراق قاسم مشترك هو مأزق بلدان الجنوب واستشراء نزعة الهيمنة الأمريكية وهو ما أعدته أيضا المناقشات واتفقت معظم الأوراق أيضا على أهمية الإيمان بالتعددية فى الفكر والسياسة ولغة الحوار للانتقال نحو رسم ملامح العالم الجديده،..وفيما عدا ذلك فقد تناولت الأوراق كل شئ بدءاً من الهموم الشخصية حتى الهموم الكونية.

وكانت الأوراق السوفيتية معبرة عن أزمة مرحلة الانتقال- بينما تناولت ورقة تشومسكى الأمريكى مسألة الخروج من الطاعة بالمفهوم الأمريكى وآليات التأديب من خلال نموذج العراق وكوريا..

وكانت أكثر الأوراق إثارة للنقاش بين العرب ورقة د.ميلاد حنا التى دعى فيها إلى تشكيل كتلة رابعة فى المنطقة العربية تدعم التوازنات فى العالم **تضم البلدان العربية والإسلامية وأيضا اسرائيل علي ضوء مفاوضات السلام.**

وانتهى المؤتمر أو سوق عكاظ بدون اتفاق ولسان حاله يقول إن الأسئلة والإشكالات التى طرحها مازالت قيد البحث ربما حتى نهاية القرن.



نصف انتصار ونصف هزيمة..
حصاد الحملة الديمقراطية

مدحت الزاهد

ماهو الحصاد الراهن للمواجهة التي دارت، ولازالت دائرة بين القوى الديمقراطية وتيارات الاسلام السياسى وبين الحكم حول قضايا الخلاف الخاصة بتقييد نشاط الاحزاب، ثم تقييد نشاط النقابات، مع ظهور اتجاه لاغلاق بعض الصحف وعسكرة القضاء فيما اطلق عليه ضرورات المعركة ضد الارهاب.

هذا هو السؤال الذى يمكن التقاطه من غبار المواجهات الساخنة التى دارت طيلة الشهر الماضى، وما سبقه، وان كانت الاجابة عليه، تقتضى الاجابة على ثلاثة اسئلة أخرى خاصة بعرقيت الحملة وساعاتها وحدودها.

والسؤال المتعلق بالتوقيت يثير الانتباه بشدة، فالتوقيت، وان

ارتبط، بانتخابات بعض النقابات المهنية، ومخاوف الحكم من ان يضيف الإخوان جديدا إلى رصيدهم، بعد نقابة المحامين، الا انه ارتبط بواقعة

أخرى، اكثر اهمية ، تتعلق بضراوة المواجهة بين اجهزة الامن والجماعة الاسلامية، التى التصق بها اسم "الجهاد" واكتسب حق المواطنة.

ومع ان النظام ، قد حاول الاستفادة من بعض دروس ازمة سبتمبر، فكان هدفه المعلن للهجوم هو تيارات الاسلام السياسى بجناحيها "الاخوانى" والجهادى دون تيارات المعارضة المدنية الأخرى، إلا ان توجيه الضربة للاخوان فى مواقع نفوذهم الجديدة، أى النقابات وبعض مساحات المظلة الشرعية"، اكسب المواجهة طابعا ديمقراطيا عاما، لان القانون الذى صدر مستهدفا تقييد التفوق الاخوانى فى النقابات باجراءات ادارية تفتح الباب لاحتكار حكومى بذريعة تصفية

توقف الهجوم ارتبط بتقدير أمنى بتصفية الإرهاب

مطلوب من حزب العمل وجريدة الشعب التهدئة ورأس عادل حسين.

حسنى مبارك

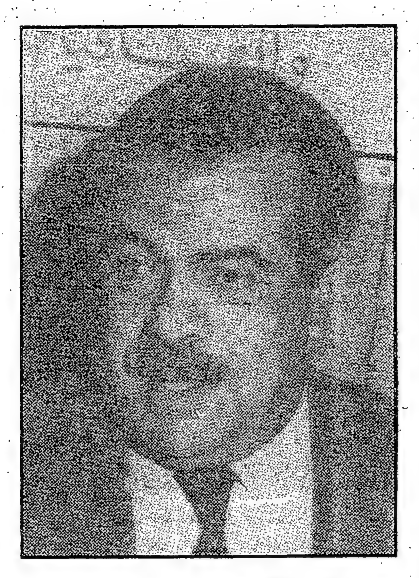


الاحتكار الاخوانى، اثار موجات احتجاج واسعة، خاصة وان الامر لم يعرض على الجمعيات العمومية للنقابات، ولم يرتبط باصلاح سياسى وانتخابى شامل يحرك" الأغلبية الغائبة"المنفضة بسبب ضيق هامش الحريات، لاقلة الاجراءات الادارية!

وكانت النتيجة ان القانون قد اضاف الى مناخ التوتر مادة ملتهبة جديدة، واتسعت دائرة المواجهات كثيرا ولم تعد قاصرة على عمليات العنف المتبادل بين اجهزة الامن والجماعة الاسلامية بعد ان دخلت القوى الديمقراطية المواجهة التى تجرى على الطرف الاخر، عن قناعه بأن التطورات الاخيرة وضعت تجربة التعددية فى مهب الريح، وحملت مخاطر تحجيم مؤسسات المجتمع وميولا لعسكرة الحياة السياسية، ولاطلاق تداول الاحتكار "بدلا من تداول السلطة"

وهكذا ، وفى لحظة واحدة، بدا ان الوضع كله متوترا يقترب من نقطة الغليان.. قنابل ورصاص ومدافع وعبوات ناسفة وانفجارات وقتلى وجرحى فى طرف من ساحة المواجهة.. واعتصامات ومسيرات واضرابات ومؤتمرات وصرخات احتجاج، فى طرف أخر.

من هنا ثار السؤال حول التوقيت، وكان السؤال منطقيا حتى لو صح تقدير الامن بوجود حبل سرى يربط مختلف تيارات الاسلام السياسى، لان الحملة سارت فى اكثر من اتجاه، ومست قضايا الحريات السياسية والنقابية، فبعد التعديلات على قانون الاحزاب، صدرت التعديلات على قانون النقابات بهدف التقييد لا المقرطة.ولا بد ان هذا السؤال الخاص بالتوقيت كان مطروحا على جدول اعمال صانع القرار مما يشير الى ان ترجيح اتجاه انصار" الهجوم الآن" قد ارتبط بتقديرات للوضع الامنى، تتفق مع ما ادلى به اللواء محمد عبد الحليم موسى، وزير الداخلية، من تصريحات أكد أن الإرهاب يلفظ الان انفاسه الاخيرة" وذلك بعد لحظة تراجع قصيرة، إثر سلسلة من



حسب الله الكفراوى

**

سر التحول فى موقف الكتلة الإخوانية بعد إنذارات مبارك
لماذا تصدرت نقابة المهندسين حركة المقاومة؟ ولماذا انتقلت إلى الصحفيين

**

الضربات الامنية طالت بعض عناصر الجماعة الاسلامية.. غير أنه سرعان ما اعقب التصريح حادث انفجار مقهى وادى النيل ثم مصرع مقدم ديروط وطفله وحراس كنيسة الاخوة فى اسوان وتفجير استراحة شرطة الطاقة بالمدينة، والهجوم عن نقطة شرطة فى سوهاج، وحرق كنيسة فى القليوبية، واحداث اخرى فى امبابة، كشفت جميعا عن ان المواجهات بين الامن والجماعة، قد اتسع على العكس، نطاقها.. وان عناصر الجماعة تبدى حيوية، وهى تلفظ انفاسها الاخيرة اكبر بكثير مما كانت تبديه وهى فى عنفوان صحتها! في اشارة واضحة لان هذه المواجهة تأخذ شكل حرب استنزاف لايمكن حسمها بمنطق الضربة القاضية، لان حركة التنظيمات المسلحة لتيارات الاسلام السياسى تجاوزت مرحلة تنظيم التحرير لصالح سرية او التكفير والهجرة لشكرى مصطفى،

والتى كان من الممكن تصفيتها فى ضربه..

واصبحت تنهل الان من رافد اجتماعى لكتلة المحبطين والمهمشين والقابعين تحت خط الفقر، وهذا الرافد يمد الحركة الجهادية بعدد جديد، يعوض اثر ضربات الوقاية والاجهاض.. فهذا الرافد الاجتماعى يفرز الارهاب مثلما تفرز الكبد الصفراء.

فى واقع الامر يبدو ان توقيت واتجاه ومدى الضربة لم يرتبط فقط بتقديرات امنية لامكانية الحسم السريع مع التيارات الجهادية، بل ارتبط ايضا بتقديرات تهون من شأن المقاومة المتدفقة مع توجيه الحملة الى النقابات، وكاد الامر ، مع تعاظم حركة الاحتجاج، ينفلت ، لولا انذارات" وجهها الرئيس مبارك من ثكنة عسكرية بضرورة وقف حركة"العصيان" فى النقابات، وهى انذارات، أعادت الى الاذهان، تصريحاته، فى مناسبة سابقة، عن "البديل المروع" فيما لو استمرت حركة التضامن مع الجندى المصرى سليمان خاطر، الذى اطلق الرصاص على اسرائيليين دخلوا موقعه، فى

راس برقة.

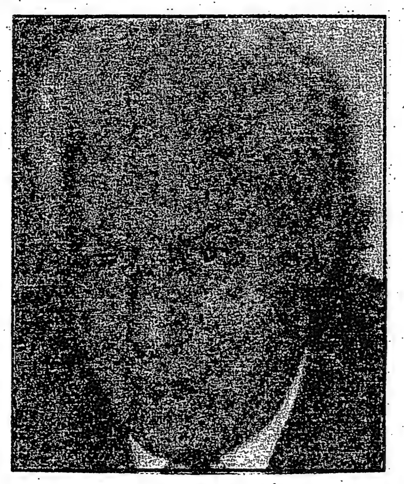
ولان التوقيت ارتبط بتقدير امنى خاطئ، ولان ساحات المواجهة كانت واسعة لم تشمل تيارات الاسلام السياسى فى تنظيماتها الخاصة، بل فى مواقع نفوذها، فإن ذلك انعكس على شكل المواجهة وحدودها فى اكثر من اتجاه، ودفع الاطراف الرئيسية فى الصراع، الى محاولة الالتقاء عند نقطة وسط، مكتفية بنصف انتصار ونصف هزيمة!! فمع تعاظم حركة الاحتجاج، فى وقت جذبت فيه المواجهة ضد الارهاب طاقات جهاز الامن، تواترت الانباء عن اعلان الطوارئ فى المنطقة المركزية، عززها توجيه انذارات الرئيس أثناء زياراته الميدانية للجيش، وبالتالى اصبح شكل الحملة مختلفا فيما لو استمر تصاعد حركة الاحتجاج فى النقابات..

اما الكتلة الاخوانية فى النقابات التى طرحت فى البداية شكلا ساخنا للمواجهة، فقد تراجعت الى خطوط دفاع جديدة، نقلت المواجهة الى ساحات القضاء.. وهذا ماحدث بالضبط فى موقع التمرد الرئيسى اى نقابة المهندسين، التى طرحت شعار اجراء الانتخابات بالقانون القديم وفى التاريخ القديم وعززته باضرابات واعتصامات ومسيرات، ثم عادت لتعلن تأجيل الانتخابات، الى ان يحسم القضاء فى النزاع..

وهذه الصورة نفسها تكررت بظلال وتلاوين أخرى، فى مواقع النفوذ الأخوانى فى باقى النقابات، حيث هدأت حركة الاعتصامات والاضرابات ومؤتمرات التنديد..

ونفس هذا الحل الوسط هو الذى تحقق بالنسبة لحزب العمل وجريدة الشعب، بعد مؤتمر احمد مجاهد، حيث مالت الشعب الى نوع من التهدئة تحاول ان تفلت به من العاصفة، بينما لم تعقد لجنة شئون الاحزاب اجتماعها المترقب لاعتماد نتائج مؤتمر مجاهد، مثلما اعتمدت نتائج مؤتمر اللواء عبد الله رشدى، فى حزب مصر الفتاة، فيما سربت بعض الاجهزة أنباء عن مشروع بتعديلات على قانون الاحزاب، يطلق يد لجنة الاحزاب فى الغاء وتقييد نشاط الاحزاب الحائزة على الرخصة الادارية..

وتشير بعض المصادر الى ان راس"عادل حسين، رئيس تحرير الشعب، قد اصبحت مطلوبة، لتأكيد التحول في وجهه الجريدة.



مكرم محمد أحمد

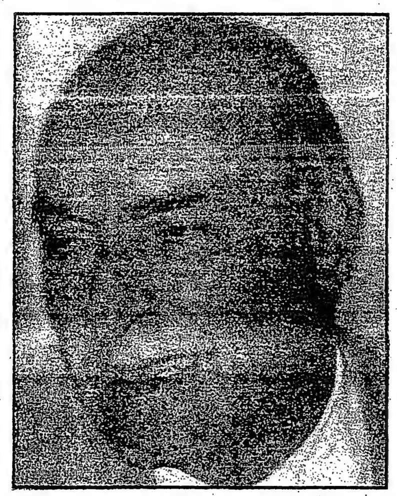
**

أنصار «الهجوم الآن» يتبعون سياسة «حافة الهاوية»

**



محمد عبد الحليم موسى



ضغوط

* ومهما يكن من أمر،بأن هذا الحل الوسط على طريقة نصف انتصار ونصف هزيمة ممكنا بسبب عدة اعتبارات:

* إن القوى الديمقراطية دخلت ساحة المواجهة دفاعا عن الحريات النقابية والسياسية،ووسعت من نطاق المقاومة ضد الهجمة التى استهدفتها ،باعتبار أن الحريات هى سياج المجتمع ضد الإرهاب.

* إن اختيار « البديل المروع» كان اختيارا اضطراريا للنظام،ولم يكن اختيارا سهلا، وبالتالى بدا الاستعداد واضحا للقبول بنصف تراجع،على الأقل فى هذه الجولة.

* إن الكتل الإخوانية التقطت جدية الإنذار واستجابت له بتخفيض حركة الاحتجاج ،فى مواقع نفوذها،وأن واصلت إعلان رفضها للقانون

التحول

والبيان الصادر عن مجلس نقابة المهندسين ،والذى أكد التزام النقابة بالشرعية والقانون،وقرر تأجيل الانتخابات ،كان المؤشر الأكبر على هذا التحول،والبيان نفسه ،اعترف بهذا التحول وفسره ،بالإنذارات ذات الطابع العكسرى،والتهديدات الصادرة من النظام باستخدام القوة المسلحة،بل أشار البيان إلي أن الرغبة فى تفويت الفرصة على المقامرين السياسيين الذين قد يدفعون البلاد إلى دائرة من الفوضى،هى التى دفعت مجلس النقابة الى التراجع عن قراره بإجراء الانتخابات بالقانون القديم،وفى الموعد السابق تحديده.

وكانت الجمعية العمومية التى دعا إليها مجلس النقابة فى ٥ مارس الماضى هى علامة هذا التحول، فى نقل المواجهة من ساحاتها الساخنة إلى دوائر القضاء فالجمعية العمومية لم تتخذ قرارات بمواصلة حركة الإضرابات والاعتصامات حتى يتم التراجع عن القانون،ولم يعرض عليها إجراءات تنفيذ القرار السابق الخاص بشطب اعضاء مجلس الشعب المهندسين المؤيدين للقانون من جداول

القيد فى النقابة،ولم تفتح الباب للترشيح لانتخابات النقيب بعد أن سحبت جمعية سابقة الثقة من المهندس حسب الله الكفراوى،ولم تجد طلب سحب الثقة منه تحوطا من الطعن القضائى الذى تقدم به المهندس عصام راضى ضد قرار الجمعية الطارئة لخروجها عن جدول الأعمال المعلن، ورغم أنها وافقت على قرارات الجمعية الطارئة ،إلا أنها أضافت فى مجلس النقابة دون أن يوضح القرار أن النقيب لم يعد جزءا من كيان المجلس،وحتى عندما أشارت بعض الصحف إلى أن جمعية ٥مارس قد سحبت الثقة من الكفراوى سارع المهندس **أحمد مازن** وكيل النيابة بتكذيب صدور مثل هذا القرار..كما أن المجلس لم يخصص ميكرفونات فى جانب من القائمة للهتافات،مثلما فعل فى الجمعيات السابقة..وكلها علامات على أن جمعية ٥مارس كانت نقطة التحول فى المواجهة.

ومع أن الاتهام قد وجه لنقابة المهندسين بالذات،التى لعبت دور رأس الحربة ،فى مقاومة القانون،بأنها تقود حركة «عصيان مدنى» برفض الامتثال لقوانين صادرة عن السلطة التشريعية،إلا أن كان للمجلس تقدير يبرر موقفه السابق،وهو أن اجراءات الترشيح فى نقابة المهندسين كانت قد انتهت قبل إقرار القانون مماوجب استكمالها على أساس القانون السابق ،مادامت العملية الإنتخابية فى الفقه القانونى والدستورى كل، لايتجزأ.

وتفسر هذه المفارقة الخاصة باستكمال اجراءات الترشيح فى بعض النقابات قبل إقرار القانون الجديد ،سر تصدر نقابة المهندسين بالذات لحركة المقاومة فى الأسابيع السابقة على جمعية ٥ مارس ،وسر استمرار **المقاومة التى تقودها الآن القوى الديمقراطية فى نقابة الصحفيين**،التى استكملت فيها أيضا إجراءات الترشيح قبل إصدار القانون،أما **نقابة المعلمين** فقد أفلتت لأن الانتخابات جرت فيها قبل ساعات من نشر القانون فى الوقائع الرسمية!

هجوم

ولأن الحملة ،لازالت مستمرة ،فإن دوائر الحكم لاتكتفى بما حققته من مكاسب،وهذا سر ضغوطها الكثيفة لإجراء الانتخابات فى نقابة الصحفيين ،ليس فقط وفقا للقانون الجديد،بل أيضا وفقا لأسوأ تفسيراته،بالإصرار على إجراء الانتخابات فى المؤسسات الصحفية،مع أن القانون لم ينص على ذلك،ولم يحظر إجرائها فى دار النقابة،وهو ما صرح به بنفسه د.فتحى سرور رئيس الجهة التشريعية التى أصدرت القانون.. ومع أن مجلس النقابة كان قد أصدر بيانا أكد فيه أن إجراء الانتخابات بهذه الصورة يهدد وحدة واستقلالية النقابة ويؤكد الولاء المؤسساتى على حساب الولاء للمهنة ويزيد من سطوة الإدارة ،ويزرع الحساسيات فى المؤسسة الواحدة وبينها وبين باقى المؤسسات ،فضلا عن أن كل المؤسسات الصحفية،تحيط عن قرب بدار النقابة،فهى أقرب مكان لموقع العمل.

ولاشك فى أن هذا الإلحاح يكشف عن أن الحكم يريد أن يتنقل من «نجاح» إلى «نجاح» **بجعل نقابة الصحفيين بولدوزر تطبيق القانون وأمثولة يحتذى بها** ،فهو باختصار يريد أن يستكمل مايعتبره «انتصارا»،ولايقنع بما تحقق من تراجع

للهجوم بقية

فالحصار الراهن وأن ارتبط بالحلول الوسط،إلا أن آفاقه تشير إلى احتمالات مواصلة الهجوم فالأنباء لازالت تتواتر عن **مشروع قانون جديد للنقابات العمالية** لتأبيد سيطرة العناصر الصفراء فى الحركة العمالية بعد الفراغ الناشىء عن خروج كتلة كبيرة منها بسبب المعاش فى الدورة السابقة،وبعد الانتصارات التى حققها اليسار فى الانتخابات الأخيرة.

القوى الديمقراطية دخلت المواجهة دفاعا عن الحريات السياسية والنقابية

والأنباء لازالت تتواتر عن مشروع قانون يؤكد سلطة القضاء العسكرى ويوسع حدود اختصاصه..وأيضا فإن الأنباء لازالت تتواتر عن نوايا هيبته ضد حزب العمل،وجريدة الشعب مالم يستقر تماما خط التهدئة.

وهذا المنطق يحمل آلياته الخاصة ويصعد برموزه بصورة قد يصعب معها بدقة التكهن باتجاه الريح لأنه فى حمى المواجهة،أحيانا ما يغيب صوت العقل،ويزداد وزن أنصار «الهجوم الآن» بحثا عن غنيمة،ولو على أشلاء الحياة النقابية والسياسية.

كما أن آفاق هذا الحصار تنطوى على خطر تصاعد موجات الإرهاب ،بإغلاق منافذ التعبير الشرعى وتضييق الخناق عليها،فضلا عن دخولها فى دوامة حرب المحاكم والانقسامات التى تطعن فى جدارة أى مجلس نقابى منتخب،وقدرته على الاستمرار والخروج من هذه الدائرة لايبدو بسيطا لأن انصار «الهجوم الآن» لايشاركون احدا .

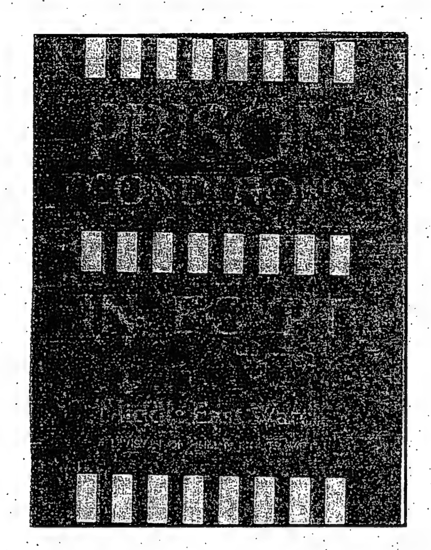
القناعة بأن تحريك الأغلبية «الغائبة»أو «الصامتة» يتطلب إصلاحا ديمقراطيا شاملا،وليس تشديد العقوبات!!

ولأن انصار الهجوم الآن لايؤمنون بمبدأ التعددية النقابية فى مواجهة كل أشكال الاحتكار.

وهم أيضا لايرغبون فى الحل السهل لأزمة ضرب العمل،بمنح أنصار أحمد مجاهد الذى عارض تغير الوجهة،حزبا يعبر عن قناعته ،ويفضلون استمرار حرب الاستنزاف،على أن أحمد مجاهد ليس أقل من أحمد الصباحى.

وأنصار « الهجوم الآن» لاينطلقون من قناعة أن مواجهة الإرهاب ترتبط بقدرة القوى الديمقراطية « المقيدة » على انتزاع زعامة حركات الاحتجاج ويترتب على ذلك القول بأن حصاد الحملة الراهنة ،وأن كان يشير الآن إلى حلول وسط وأنصاف هزائم وأنصاف انتصارات،إلا أن آفاقه تنذر بأن ماجرى كان مجرد جولة كبيرة ،تتلوها جولات،تضعف بلاشك،من وحدة الشعب،فى مواجهة الإرهاب،وتقدم له،كتلة بشرية ،من المحبطين من قنوات الشرعية..ومن علامات الحدود الجديدة لإمكانية المعارضة!

وفى الواقع فإن ما نجحت فيه دوائر الحكم،حتى الآن ليس تحجيم الجهاد أو الإخوان ،بل تحجيم الوضع الذى كان يسمح بمقاومة الإرهاب.



وشــهد شــاهد مــن حــلــفائها:

منظمة أمريكية لحقوق الانسان..

تصدر تقريرا خطيرا عن

المعاملة فى السجون المصرية

أمينة النقاش

كلما صدر تقرير عن منظمة من منظمات حقوق الإنسان ،يدين ممارسات الحكومة فى هذا المجال،صاحت:إن هذه المنظمات تعمل بالسياسة ،وتسعى لتشويه وجه مصر،وأن ماتذكره لاصلة له بالواقع..

ومنذ شهرين، اضطرت الحكومة لكى تسمح لوفد من منظمة أمريكية لحقوق الإنسان ،بزيارة السجون المصرية، وخرج الوفد بتقرير خطير،لأنه يتضمن شهادة شاهد من حلفاء الحكومة ،لايمكن الطعن على شهادته بالقول بأنه يتعاطف مع المعارضة،لأنه من منظمة اسمها «مراقبة حقوق الإنسان في الشرق الأوسط».

ضم الوفد «فرجينيا شيرى» -المدير المساعد للمنظمة- والمحامى «جون فاليرى وايت» وعضو المنظمة «أورفيل شل»،وزار ستة من السجون المصرية تحتوى علي ٩٨٠٠ سجين،يمثلون ٢٧٪ من السجناء فى مصر.جرت الزيارة فى مدى ثمانية أيام من شهر فبراير الماضى وشملت سجون «أبو زعبل» و«سجن النساء بالقناطر» وثلاثة سجون فى منطقة طرة «:الاستقبال وليمان طرة ومزرعة طرة »والسجن العمومى وسجن النساء بطنطا.

أسفرت الزيارة عن تقرير أصدرته المنظمة ،الشهر الماضى ،حول «أحوال السجون المصرية» ،إستند إلى المعلومات التى حصل عليها وفدها من المسجونين ،ومن الزيارة الميدانية التى قام بها الوفد،ومن الرسائل التى بعث بها للمنظمة معتقلون فى السجون المصرية يشرحون لها ظروف اعتقالهم السيئة.

ويتميز التقرير بأنه الأول من نوعه الذى تصدره جهة مستقلة هى «منظمة مراقبة حقوق الإنسان فى الشرق الأوسط» و«مشروع السجون» التابع لها .تأسست «ميدل إيست واتش» عام ١٩٨٩ كمنظمة أهلية أمريكية تتخذ من نيويورك مقرا لها،لكنها أكتسبت بنشاطها صفة «الدولية» وأصبح لها مقر فى لندن وعدد آخر من الولايات الأمريكية و«الميدل إيست واتش» و«مشروع السجون» هما قسمان من «منظمة مراقبة حقوق الإنسان»،التى تشمل أيضا أفريقيا واتش» و«آسيا » واتش» و«صندوق حرية التعبير» وهى جميعها تعنى بالأساس بمراقبة حقوق الإنسان المعترف بها دوليا ولقد سبق «لمشروع السجون»أن أصدر تقارير مماثلة عن أحوال السجون فى عدد من الدول بينها «اسرائيل»و«الولايات المتحدة الأمريكية» و«بريطانيا» و«الاتحاد السوفيتى» السابق.

جهود عسيرة

استعرض التقرير فى بدايته الجهود العسيرة التى بذلتها المنظمة ،للحصول على موافقة السلطات المصرية لقيام وفد منها بالتفتيش على السجون المصرية، وهى جهود بدأت منذ عام ١٩٩٠ ،كان من بينها رسالة شخصية من الرئيس الأمريكى «جيمى كارتر» إلي الرئيس «حسنى مبارك».

ويرصد التقرير العقبات التى وقفت أمام مباشرة الوفد لمهمته،فيشير إلي أن التصريح للوفد بالتفتيش على السجون المصرية،جاء متأخرا فى منتصف الفترة الزمنية التى حددها الوفد لمهمته ولبقائه فى مصر.كما أن السلطات المصرية يسرت للوفد مهمة زيارة بعض السجون بينما تشددت فى دخول الوفد إلى سجن «استقبال طرة حيث يحتجز المعتقلون لأسباب أمنية« » بينهم ٤٠٠ معتقل من الإسلاميين فلم تسمح للوفد بالتفتيش على مبنى واحد من المبنيين الأساسين للسجن، ولم يسمح له بالمكوث فى ذلك المبنى أكثر من ساعة داخل الزنازين .كما

رفض مأمور السجن اللواء «محمد عواد» الاستجابة لطلب الوفد بزيارة «منطقة من السجن يطلق عليها مجازا اسم «المستشفى»،وهى جزء مخصص للتأديب والعقاب ويعم فيه احتجاز المتهمين بأنهم من قادة الجماعات الإسلامية المتطرفة بشكل دائم ويقول التقرير أن أحد هؤلاء قد أمضى فى التأديب فترة تتجاوز الثلاث سنوات».

ومن بين العقبات التى وضعتها الحكومة أمام وفد المنظمة بالتفتيش على السجون المصرية، مصاعب أثارها المسئولون عن السجن،من الضباط الذين اعتادوا أن يصاحبوا وفد المنظمة أثناء جولاته التفتيشية لدي السجناء مما أدى إلى خوف السجناء من التحدث بحرية كاملة.ويؤكد وفد المنظمة فى تقريره أن بعض ضباط وحراس السجن حاولوا أن يحضروا بعض اللقاءات مع المسجونين وسعوا لكى يوجهوا الإجابة على أسئلته.كذلك فإن اللقاءات التى عقدت مع السجناء فى زنازين كبيرة ومكتظة،جعلت من الصعب إدارة أى حوار، ومن العسير التأكد من عدم وجود مخبرين يرصدون السجناء الذين يتحدثون بحرية .ففى بعض السجون حضر الحوار مع السجناء،نزلاء يرتدون الزى الأزرق للسجناء،لكنه زى- كما يقول التقرير- يبدو جديدا ونظيفا ومفرودا بشكل لافت للنظر ،مما يؤكد أنهم موظفون فى إدارة السجن وليسوا سجناء.



بالغة السوء

ويوضح التقرير أنه استقى معلوماته من الأحاديث التى أجراها وفده مع مسئولى السجون الستة،والسجناء السياسيين والجنائيين المحكوم عليهم،بالإضافة إلى أحاديث مع المعتقلين ،وحوار مع اللواء «محمود الفخرانى» مدير إدارة السجون وموظفى إدارته،ومن الأحاديث التى أجريت مع سجناء سابقين، ومحامين،ومراقبين لحقوق الإنسان فى الأسكندرية وأسيوط والقاهرة وأسوان والمنصورة والمنيا.

وأكدت « ميدل إيست واتش» فى تقريرها ،أن المعايير التى اتبعتها لقياس ممارسة الحكومة المصرية حيال السجون ،تستند إلى القواعد التى أقرتها الأمم المتحدة فى معاملة السجناء ،وإلي الإتفاقيات الدولية بشأن حقوق الإنسان التى وقعت عليها الحكومة المصرية،فضلا عن المعايير التى أقرها الدستور المصرى،والضمانات التى تحتويها القوانين المصرية لحماية السجناء ووفقا لكل تلك المعايير،فإن التقرير يثبت بالأدلة والقرائن،أن أحوال السجون المصرية (٣٠سجنا) التى بنى معظمها فى القرن التاسع عشر،بالغة السوء،وأوضاعها المزرية،دليل ساطع علي خرق السلطات المصرية لكل القوانين والأعراف المصرية والدولية.ويشير التقرير إلى أن الحكومة المصرية،دأبت على التذرع بقلة الموارد المالية،فى كل مرة تواجه فيها بالنقد نتيجة سوء أحوال السجون مع أن الكثير من الظروف السيئة والممارسات البشعة في سجون مصر،لايمكن تفسيرها بقلة الموارد ،ويمكن علاجها بواسطة تغيير السياسات فحسب..ومن بينها أن السجون المصرية في حالة قذارة لايمكن تصورها ،وهى مسألة يمكن علاجها ،بتوظيف النزلاء العاطلين عن العمل فى أعمال النظافة.كما يتعرض المعتقلون لأسباب أمنية، عند وفودهم للسجن لظروف تأديبية شديدة ،بما فى ذلك المكوث فى الحبس الإنفرادى لشهور طويلة بدون سبب واضح.سوى أنهم ينتمون فعليا إلي مجموعات مناهضة للحكومة.ومن بينها أيضا أن المعتقلين لأسباب سياسية ينقلون من السجن إلى مباحث أمن الدولة لتعذيبهم ،وإعادتهم مرة أخرى للسجن،دون أن يدون هذا الانتقال فى سجلات السجن نتيجة للتواطؤ بين إدارة السجن ومباحث أمن الدولة.

وبرغم تصديق مصر على إتفاقية الحقوق المدنية والسياسية التى تحرم التعذيب، إلا أنه يجرى دون هوادة داخل السجون المصرية جلد النزلاء وضربهم كإجراء تأديبى معترف به ومقبول.

ويستطرد التقرير فى رصد أشكال التردى فى أحوال السجون،الذي يحتاج لمعالجته إلي تعديل السياسات،لاتوفير الميزانيات ،فيشير إلى أنه يتم عن قصد مفاقمة الزحام الخطير السائد داخل الزنازين ،في الوقت الذى تحوى فيه نفس السجون زنازين خالية تماما ،هذا فضلا عن أن الإضاءة والتهوية،في حالة شديدة من السوء كما أن النوافذ خالية من الزجاج.

ويوضح التقرير أن الغالبية العظمى من السجناء الخاضعين لنظام العقوبات المصرى ،يعانون سوء المعاملة في صمت،فأغلب السجناء لايدركون حقوقهم،بما فى ذلك حقهم فى تقديم الشكاوى لممثلى الفرع القضائى فى الحكومة،الذين يفترض أن يلتقوا بالسجناء شهريا والاستماع لشكواهم وتسجيلها .ولأن هذا النظام المسمى بالمتابعة الخارجية لايعمل بكفاءة..ولأن ممثلي التجمعات المستقلة القضائية والعاملة فى مجال حقوق الإنسان فى مصر،تمنع التفتيش علي السجون ليصبح المنفذ الوحيد للسجناء ،هو الشكوى مباشرة إلى إدارة السجن ذاتها ،التى تمارس بنفسها سوء المعاملة ومن الطبيعى أن تتغاضى عن التحقيق فيها.

الاتصال مع الدستور

ووفقا للشهادات الحية التى أدلى بها عدد من السجناء عن أوضاعهم، وللزيارة الميدانية ولرسائل المسجونين، فقد انتهى وفد منظمة «ميدل إيست واتش» في تقريره إلي عدد من التوصيات للنظر فيها من قبل الرئيس حسنى مبارك، ووزير العدل والنائب العام ووزير الداخلية ومدير إدارة السجون، تتضمن الدعوة إلى:

* اتخاذ الإجراءات الفورية لضمان الإشراف المستقل ذات الكفاءة علي معاملة المسجونين، إذ من غير المقبول أن تخضع السجون لسيطرة وزارة الداخلية، فى الوقت الذى توجه إليها من الكثير الاتهامات بالتعذيب والاعتقال بدون محاكمة. والغالبية العظمى من السجناء، يفتقدون بشكل واضح إلى سبيل الإتصال خارج السجن بجهات مستقلة. وأحد السبل لحل هذه المشكلة هو أن تقوم جماعات حقوق الإنسان المصرية غير الحكومية والمنظمات الحقوقية المستقلة، بالرصد الدائم لأحوال السجناء. كما أن تحسين الدور الإشرافي لوزارة العدل وإصلاح نظام التفتيش من قبل النيابة من شأنه أن يقدم حلولا منصفة لتلك المشكلة، وفى نفس السياق يوصى وفد المنظمة الحكومة المصرية بدعوة وفد من الصليب الأحمر لزيارة السجناء بشكل منتظم، وتقديم معلومات دورية للحكومة المصرية حول أساليب معاملة السجناء المصريين.

* إصدار تعليمات لكل مأمورى السجون بتقديم معلومات مكتوبة لكافة السجناء، حول القواعد التنظيمية وحقوق السجناء، وإرساء نظام للمعلومات يخدم النزلاء الأميين، بتعريفهم بحقوقهم شفاهة وتوفير نسخة من قواعد السجن.

* ووقف الضرب والجلد فورا، وأى شكل من أشكال العقاب الجسدى تمشيا مع نصوص الدستور المصرى، والبحث فى حالات العقاب الذي ينزله ضباط السجن بالنزلاء والتحقيق فيه، ووقف كافة أشكال العقاب غير المصرح به.

* إيقاف النقل المؤقت، غير المسجل للمعتقلين لأسباب أمنية من السجون إلى مباحث أمن الدولة، والتحقيق في هذه الممارسات، والتحقيق فى المعاملة الوحشية، والقائمة على التمييز، التى يعامل بها المعتقلون السياسيون.

* إتخاذ الخطوات الفورية للتحقيق فى نواقص نظام توفير الرعاية الطبية والعلاج المناسب للسجناء وتوفير الأدوية لهم.

ويجب أن تشكل مجموعة عمل على مستوى عال تابعة لوزارة الصحة يكون منوط بها أن تجرى تحقيقا مستقلا ووافيا حول نظام الرعاية الصحية وكافة التسهيلات الطبية المتوفرة في السجون المصرية وأن يتم هذا الأمر بشكل عاجل. كذلك فإنه يجب أن يسمح لفريق مستقل من الأطباء المصريين بالدخول إلي السجون بغرض توثيق مشاكل بعينها (خاصة تلك المرتبطة بالصرف الصحى والنظافة العامة) والتعرف على الخطوات التى يجب اتخاذها لعلاج الوضع وتحسين الظروف التى يحتجز فى إطارها السجناء المرضى.

كذلك يجب على وزارة الصحة أن تحقق فورا فى نوعية المياه بسجون أبو زعبل حيث اشتكي السجناء من تلوث المياه منذ عام ١٩٨٩ على الأقل.

* الحد من الازدحام داخل الزنازين.

بالإضافة إلى إنشاء مساحات جديدة بالسجون يجب علي إدارة السجون أن تقوم فورا توزيع النزلاء توزيعا متساويا على الأماكن المتوفرة فعلا. فمن غير المقبول أن يحتجز النزلاء فى زنازين شديدة الازدحام فى حين تبقى زنازين أخرى فى نفس السجن خالية تماما.

* تخفيض الوقت الذى يغلق فيه على السجناء كل يوم داخل زنازينهم.

ويجب أن يصرح لكل السجناء- بما في ذلك السجناء الأمنيين الذين لم يحكم عليهم بعد- بممارسة الرياضة خارج زنازينهم فى الهواء الطلق لمدة ساعة علي الأقل يوميا.

كذلك يجب أن تبذل الجهود بحيث تترك الزنازين دون إغلاق لعدة ساعات أثناء النهار مما يتيح للسجناء فرصة الحركة بحرية داخل عنبرهم أو المبنى الذى يحتجزون به.

* بذل جهود جادة من أجل توفير العمل للنزلاء.

وهناك حاجة ماسة للتوسع فى مجالات وفرص العمل المجدى بالنسبة للنزلاء، ذلك أنه يمكن بل يجب أن تستخدم السجون فى تلبية احتياجاتها وأعمال الصيانة الخاصة بها.

فالنزلاء الذين يمكثون لعدة سنوات فى حالة من البطالة داخل زنازين سيئة التهوية والإضاءة يمكن توظيفهم فى أعمال النظافة داخل الزنازين والحمامات وعنابر المستشفيات التابعة للسجن. كما إن تكليف النزلاء بهذه المهام كفيل بأن يعطيهم متنفسا يوميا فى البقاء داخل زنازينهم شديدة الازدحام.

* إلغاء فترة «الحجر» التى تستمر لمدة ثلاثين يوما بعد وصول النزيل إلي السجن والتى لايسمح فيها بزيارة العائلة.

إن غياب الزيارات العائلية أثناء الثلاثين يوما الأولى فى السجن لاتخلق معانة نفسية فحسب بالنسبة للنزلاء وإنما يترتب عليها





معاناة جسدية أيضا .فحيث أن الغالبية من النزلاء يعتمدون علي أقاربهم في توفير احتياجاتهم الأساسية مثل الطعام والأردية فإن فترة الثلاثين يوما الأولي تصبح في هى الفترة التى يتحتم عليهم فيها احتمال أقسى معاناة.

*الإطالة من فترة الزيارة العائلية.

فالزيارات التى تتراوح مابين عشر وثلاثين دقيقة هى زيارات قصيرة للغاية.إن هذه السياسة تمثل معناة خاصة بالنسبة لأفراد العائلة الذين يضطرون إلي السفر مسافات طويلة من أجل رؤية أقاربهم.وعليه يجب على السلطات المصرية أن تطبق سياسة تسمح للزيارة العائلية بأن تستمر لمدة ساعة واحدة على الأقل بالنسبة لكل السجناء.

* خلق ظروف ملائمة بالنسبة للأمهات والأطفال، بحيث لايجوز بأي حال أن تحتجز الأمهات والأطفال الرضع فى زنازين مزدحمة تفتقد إلي الأسرة والمياه الجارية المتوفرة والخالية من التلوث.

* السماح للسجينات اللاتى يرغبن في الصلاة في مساجد السجن أو أى دور عبادة أخرى بذلك وبنفس المعدل الذى يسمح به للرجال.

وبعد ..ليس الأمر فى حاجة إلى التأكيد، بأن التقرير يتضمن حقائق مفزعة حول أوضاع السجون المصرية، التى لاتقتصر فظائعها على المسجونين السياسيين، بل تمتد لتشمل المسجونين الجنائيين، لتتحول السجون بهذا الشكل إلى مشتل لتربية المجرمين، وتفريخ العنف والأرهاب، بدلا من أن تصبح وسيلة إجتماعية، تسعى للحيلولة دون عودة الذين يحبسون بها إلى إجرامهم، بعد إنقضاء فترة العقوبة.

والتوصيات التى تطرحها منظمة «ميدل إيست واتش»، تؤكد أن العذر الذى تعتذر به الحكومة المصرية، عن إصلاح أحوال السجون عذرواه وضعيف، فالمسألة لاتحتاج إلى أموال، وإنما تحتاج سياسات عقابية بديلة، تتعامل مع البشر، بإعتبارهم بشرا، ومواطنين يقضون أحكاما بسلب الحرية، فى أحوال محدودة، يمكن خلال قضاؤهم لها الأستفادة من وجودهم، وتعليمهم، وإرشادهم، وتأهيلهم للعودة إلى المجتمع كمواطنين نافعين، كما أن السياسيين من المعتقلين، هم من تسميهم مواثيق حقوق الأنسان الدولية، بأصحاب الضمائر، فلا يجوز تعريض حياتهم للخطر بعمليات التعذيب، وإساءة المعاملة ، خاصة وكثيرون منهم يفرج عنهم، بعد أن ثبت التحقيقات براءتهم.

والتقرير يضع المسئولية عن الجرائم التى تحدث فى حقوق المسجونين والمعتقلين، على عاتق الحكومة، بالذات النيابة العامة، التى ينيط بها القانون التفتيش على السجون، والتأكد من أن كل المحبوسين بها ، مودعون بقرارات قضائية، وأن إدارة السجن تلتزم ، فى معاملتهم بتطبيق اللوائح، وفقا للدستور وللقانون العام وللوائح السجون، وللأتفاقيات الدولية لحقوق الأنسان التى وقعت عليها مصر

لكن النيابة العامة، إما عازفة عن القيام بهذه المهمة، أو أن عراقيل كثيرة، توضع أمام قيامها بهذا الدور، وهى قضية تستحق توضيحا من النائب العام. ومن المصلحة الوطنية أن تستجيب الحكومة لتوصيات التقرير، باتخاذ الإجراءات التى تكفل ضمان الأشراف المستقل على السجون المصرية، الذى من شأنه أن يوضح للحكومة أوجه القصور، وأن يقدم لها العون للتغلب عليها ، وأن يمنع حلفاء الحكومة المصرية الغربيين الثقة، بأنها تتمسك بإحترام حقوق الأنسان، لا بإنتهاكها ، وقبل هذا وذاك أن نغلق تلك المفارخ الوحشية، التى يترعرع فى ظلها العنف وينمو فى أحشائها الأرهاب!

مستقبل الصناعة فى العاشر ومأزق الرأسمالية الصناعية الحديثة

نمو الصناعة المصرية تعطله قرارات الحكومة وشروط الصندوق

مصانع العاشر استوعبت عمالة تساوى غزل المحلة وحدها!!

١٪ من مصانع العاشر تعمل بتكنولوجيا متقدمة والباقى صناعات خفيفة ومتوسطة

حسن بدوى

هل تستطيع الرأسمالية الصناعية الجديدة فى مصر أن تحمى نفسها وتشق طريقا لنموها، وتصمد أمام شراسة الرأسمالية العالمية، وأخطبوط التبعية الذى يخنق مراكز النشاط الاقتصادى والقرار السياسى والدعاية والتفكير..؟

هل تستطيع أن تفعل مثل جيل آبائها رأسمالية العشرينات والثلاثينات؟ أم أن شباك التبعية أكثر احكاما فى أواخر القرن العشرين عنها فى أوائله؟

وهل تمتلك الرأسمالية الصناعية الجديدة فى بنيتها ونشاطها مايدفع نحو تجاوز الضغوط والتحديات الدولية والمحلية؟ أم أنها سهلة **الابتلاع لتتحول فى أمعاء الرأسمال العالمى إلى وكلاء ورأسمالية عقارية وريعية أشبه بأمراء النفط.. تودع فى بنوك الغرب وتستهلك بلا حدود وبلا معقول؟!**

«اليسار» تحاول اقتحام هذه الأسئلة بدءا بأكبر مدينة صناعية جديدة، وأكبر تجمع للرأسمالية الصناعية المصرية الحديثة، **العاشر من رمضان... حيث جمعية مستثمرى العاشر..**

وحيث..

* يوجد بالمدينة ٤٨٨ مصنعا، وهى أكثر من نصف عدد المصانع بالمدن الجديدة كلها والتى تبلغ ٩٤٢ مصنعا فى ١٢ مدينة.

* ويعمل بالعاشر ٣٢٧٦٦ عاملا، وهى أيضا نصف العمالة بالمدن الجديدة التى تبلغ ٦٨٤٥١ عاملا.

* تحت الإنشاء ٢٤١ مصنعا بالعاشر، تستهدف توفير ١٦٣٠٤ فرصة عمل.

وقبل أن نتوغل فى الاجابة على الأسئلة.. لنبحث كم أنفق على تجهيزها للاستثمار الصناعى من أموال الشعب المصرى..

نصف فيل وفيلان

بلغ إجمالى ما أنفق على تجهيز المدينة للاستثمار **٦٤٢ مليون و٥٤ ألف جنيه**، أى أكثر من نصف مليار وبلفة السوق أكثر من نصف فيل.. كانت تكلفة الدراسات فقط منها **٥ مليون. و٨٠٧ ألف جنيه**.. بالاضافة إلى **٥ مليون و٥٤٩ ألف جنيه تحت بند مصاريف أخرى** كما هو وارد فى كتاب وزارة التعمير عن المدن الجديدة الصادر فى أكتوبر الماضى..

أما بقية الانفاق فكان **٢٢٢ مليون جنيه و٩٠٧ ألف جنيه** للبنية الأساسية الرئيسية (طرق رئيسية وكبارى ومشروعات المياه والصرف والكهرباء والاتصالات. أما البنية الأساسية الفرعية فتكلف **١١٣ مليون و٨٢٥ ألف جنيه**. أما الخدمات العامة الأساسية والتعليمية والصحية والتجارية والدينية والثقافية والاجتماعية والادارية وخدمات المناطق الصناعية والزراعية واستصلاح الأراضى والتحميل فبلغت حوالى ١٨١ مليون جنيه، وتكلفة الاسكان **٢٢٦ مليون و٦٦٨ ألف جنية**.

تم تحويل الانفاق على الخدمات والبنية الأساسية من مصادر حكومية (بنك الاستثمار القومى ووزارة المالية) بمبلغ ٢٧٩ مليون و٥١٤ ألف

جنيه، والتمويل الذاتي ١١٥ مليون و١٠٥ ألف جنيه..

وحتى الآن بلغ رأس المال المستثمر في المصانع التي دخلت الانتاج بالفعل في العاشر ٢ مليار و٣٩٣ مليون و١٨ ألف جنيه، أي أكثر من فيلين بلغة - السوق.. في ٤٨٨ مصنعا يعمل بها حوالي ٣٢ ألف عامل، أي مايساوي تقريبا عدد عمال شركة غزل المحلة وحدها!!

مقومات استقلال

يؤكد حجازي الجزار الباحث بمعهد التخطيط القومي، أن رأس المال المستثمر في الصناعة بالعاشر يكاد يكون كله مصريا، وأن **معظم هذه الصناعات لا تعتمد على مكونات أجنبية في انتاجها،** فهي غالبا صناعات للسوق المحلي لا للتصدير والمنافسة الفعالة في الخارج- باستثناء عدد محدود من المصانع- **«كالنساجون الشرقيون»** مثلا- وأن معظم الصناعات صغيرة ومتوسطة وتدخل ضمن الصناعات الخفيفة- وهي بطبيعة الحال قليلة رأس المال كثيفة العمالة وأقل اعتمادا على الخارج. **فالصناعة كبيرة الحجم أو الثقيلة كان مستهدفا أن تصل إلى ٦٪ من مجموع الصناعات في العاشر، لكنها لم تزد عن ١٪** وستصل في المشروعات تحت الانشاء الى ٢٪ بينما تبلغ الصناعات الصغيرة والمتوسطة ٩٩٪ مقسمة الى ٤١٪ متوسطة وكان مستهدفا أن تكون نسبتها ١٦٪ ، و٥٨٪ صغيرة وكان مستهدفا أن تكون ٧٨٪.


حجازي الجزار

***ألا يعكس وجود العلامات التجارية لشركات أجنبية علاقات اعتماد من الصناعات الموجود بالعاشر على الخارج؟**

-يجيب حجازي الجزار: العلامة التجارية مرتبطة بحجم المكونات الأجنبية الداخلة في الصناعة - خاصة الخامات الأساسية كما في صناعة الأدوية مثلا أو ماتسمى المادة الفعالة- مقابل نسبة من الربح، ومن الممكن طبعا تحكم الخارج في مثل هذه الصناعات، الا أنها محدودة جدا في العاشر على أية حال.

صناعة إحلال الواردات

استهدفت الصناعة في العاشر «الاحلال مكان الواردات» وبدأت بانتاج ردئ كالأدوات الكهربائية مثلا، لكنها تطور انتاجها الى الأفضل عاما بعد آخر، وهذه الصناعات- يواصل الجزار- تتناسب مع المجتمع الذي لم يدخل بعد مرحلة الصناعة الواسعة الأمر الذي ترتب عليه وجود طلب هائل على الصناعات الخفيفة خاصة تلك التي تقوم بتحويل المواد الأولية، وبشكل أكثر خصوصية ، المواد الزراعية إلى منتجات استهلاكية تلبي حاجة الطلب، ناهيك عن قرب العاشر من الأسواق الضخمة- لمثل تلك المنتجات، في القاهرة والجيزة ووسط الدلتا والقناة.

وتؤكد أرقام وزارة التعمير ماسبق، **فعدد المصانع العاملة في النسيج والأغذية يبلغ ١٣٣ مصنعا** وهناك ٣١ مشروعا للمنتجات الخشبية والأثاث المعدني و٤٧ مشروعا لصناعة البلاستيك و٢٥ مشروعا للمنتجات الورقية و٤٠ مشروعا لمواد البناء، بينما **الصناعات الكهربائية والهندسية والمعدنية فنجدها في ١٩ مشروعا فقط،** بالاضافة الى ٤٢ مشروعا للكيماويات والأدوية.. و١١٠ مشروعا متنوعة لم توضح بيانات الوزارة تفاصيلها وتشكل حوالي ٢٥٪ من إجمالي المشروعات المنتجة في المدينة.

ويعود **الجزار للحديث ليضيف..** أن هذا الاتجاه في الصناعة رغم افتقاده كثيرا من المزايا الهامة مثل تعميق عملية التصنيع وضعف عوامل الجذب أو الترابط للأمام أو الخلف (أي صناعات خلفية أو أمامية، مغذية أو منشئة لصناعات أخرى) الا أنه يتفق وطبيعة المرحلة التي يمر بها الاقتصاد الصناعي كما يتفق مع سياسة التصنيع القائمة على احلال الانتاج المحلي مكان الواردات، والتي اذا أحسن استخدامها فانها تؤدي الى نتائج ايجابية من حيث توفير النقد الأجنبي وتحسين ميزان المدفوعات وتعميق درجة التصنيع في الاقتصاد القومي.

تقول الأرقام أن الاستثمارات في الصناعات الميكانيكية والمعدنية ٤٪ من جملة الاستثمارات الصناعية بالعاشر وتبلغ في المشروعات تحت الانشاء ٥٪.. بينما النسبة في المنتجات الخشبية ٢٫٥٪ وفي المشروعات تحت الانشاء ٤٪ .وفي الصناعات الغذائية ١١٪ وتحت الانشاء ١٠٪ والنسيج ١٣٫٥٪ وتحت الانشاء ١٢٪ من أجمالي الاستثمارات.

عمالة مغتربة

وتؤكد **د. نهى فهمي الخبيرة والباحثة بالمركز القومي للبحوث الاجتماعية** أن رأس المال المستثمر في العاشر مصري أساسا، وأن العمالة مصرية مائة بالمائة، وأن معظم الصناعات تعتمد على كثافة العمالة، وقليل منها يعتمد على تكنولوجيا عالية، ترى أن مصر تحتاج الى النوع الأول من الصناعات، أي المكثفة للعمالة.

وترصد **د. نهى ظاهرة اقامة معظم العمالة في موطنها الأصلي بعيدا عن العاشر، ويشمل ذلك ٩٠٪ من العاملين** بالمدينة. ويرجع ذلك في رأيها لأن أصحاب الأعمال يفضلون تسيير أتوبيسات لنقل العمال من والى عملهم فذلك أرخص من توفير مساكن لهم بالمدينة، كما أنه يضمن وصول العمال جميعا الى عملهم في وقت واحد، كما يجنب أصحاب الأعمال الدخول في نزاعات مع العمال وأسرهم حول المساكن اذا تركوا العمل لأي سبب، من جهة أخرى فان **فرص السكن بالمدينة أعلى من القدرة المالية للعمال لارتفاع** مقدماتها عن مستوى دخولهم، كما أن **مستوى المعيشة في العاشر أعلى منه في القاهرة والمحافظات الأخرى،** فضلا عن أن هؤلاء العمال لديهم سكن أصلا في المحافظات الآخرى. وأن كانت شركات قليلة مثل **النساجون الشرقيون توفر سكنا** بالمدينة للمهارات الفنية المطلوبة لها. أدى ذلك الى بطء حركة الاستيطان بالمدينة، فالمقيمين بها حاليا


د. نهى فهمي

لايتجاوزون ١٦ ألف نسمة، وكان المستهدف أن يصل عددهم الآن الى ١٧٠ ألف نسمة وأن تستوعب المدينة فى حالة اكتمال مشروعاتها الصناعية مالايقل عن نصف مليون نسمة.

معوقات سيادية

ورغم المقومات الذاتية التى يملكها الاستثمار الصناعى الخاص بالعاشر وغيرها من المدن الصناعية الجديدة، قال د. رمزى زكى الاقتصادى البارز والخبير بالمعهد القومى للتخطيط برصد عوامل مضادة تهدد بزوال الاستثمارات الضخمة التى حققتها الرأسمالية الصناعية المصرية فى السنوات الأخيرة..

يقول د. رمزى: حتى عهد قريب كانت الحكومة جادة فى اعطاء الحوافز والضمانات وكافة أنواع التشجيع لحفز القطاع الخاص المصرى على دخول مجال الاستثمار، وبالذات فى الصناعة، وقد استجابت بعض شرائح الرأسمالية المصرية لهذا ، واستثمرت جانبا لابأس به من ثرواتها ومدخراتها فى اقامة كثير من الصناعات التحويلية (الملابس- الأخشاب وغيرها..) وهو مانراه فى مدن العاشر و٦ أكتوبر والمدن الصناعية الحديثة ، ولاشك أن وجود رأسمالية صناعية تحاول خلق طاقات انتاجية واستخدام عمالة جديدة وتطوير الصناعة المصرية وتزيد الدخل والتصدير، شئ ايجابى، لكن المفارقة التى نواجهها أن **برنامج التثبيت والتكيف الهيكلى (برنامج صندوق النقد الدولى) يهدد بزوال هذه الاستثمارات. فقد تم تحميلها بتكاليف ضخمة فى مقدمتها** ارتفاع سعر الفائدة وأسعار الطاقة والمواد الخام المحلية ، وزيادة تكلفة المدخلات المستوردة الوسيطة والأولية، كل ذلك من جراء تخفيض قيمة الجنية المصرى، بالاضافة الى استحداث ضرائب مثل **ضريبة المبيعات**، وزيادة الرسوم وأسعار الخدمات. هذه الزيادات فى تكاليف الانتاج لا تستطيع تلك الاستثمارات تحميلها على المستهلك المصرى بسبب الكساد والانكماش الذى حدث للقوى الشرائية المحلية. ومن ناحية أخرى لاتستطيع الرأسمالية المحلية تحميل المستهلك فى الأسواق الخارجية عبء هذه الزيادات لأنها يتم تصدير منتجاتها فى أسواق ذات طابع تنافسى وتوجد بها سلع مماثلة لاتتحمل بمثل هذه التكاليف بل ربما تتمتع بدعم مالى من حكوماتها. وهكذا نجد أنه لا توجد امكانية للتصريف المحلى أو الخارجى بما يساعد الرأسمالية المصرية الصناعية على الخروج من هذا المأزق..

اذن فالرأسمالية المصرية الصناعية الحديثة- كما يقول د. رمزى- تتعرض لمأزق حقيقى يتمثل فى أن مواجهة هذه الزيادة فى التكاليف عن طريق ارتفاع مضطرد فى الانتاجية فى الأجل القصير أو المتوسط مسألة تكاد تكون مستبعدة ، **واذا أضفنا الى ذلك قضية تحرير التجارة الخارجية، وبالذات تحرير تجارة الواردات فأن الصورة تزداد سوءا،** فمن المتوقع أن تنهمر على مصر كافة أنواع منتجات الصناعات التحويلية التى لها مثيل فى مصر لتباع بأسعار تقل كثيرا عن المنتجات المصرية، وهو مأزق بدأت تحس به الرأسمالية الصناعية فى مصر، وهو مايظهر فى مطالبتها المستمرة للحكومة بالتراجع عن تحرير التجارة الخارجية.

وبعد..

* * *

فمازال السؤال قائما.. مادام الصراع قائما لتغيير المناخ الحالى والسياسات المفروضة من حلف رأس المال العالمى ووكلائه فى الداخل والمدمرة للصناعة المصرية..

هل تحافظ الرأسمالية المصرية الصناعية الحديثة على حماسها للاستثمار الصناعى، خاصة وأنه لاتوجد مشكلة فى رأس المال والمدخرات اللازمة للاستثمار لديها، ولا فى العمالة بما فيها العمالة -الماهرة- أم تستسلم سريعا وتتحول الى النشاط الربحى ليتم تدمير الاستثمار الصناعى الخاص بالتوازى مع المخطط الجارى تنفيذه لتدمير الاستثمار الصناعى العام؟!!!!

العاشر....بالأرقام

* تبعد العاشر (٥٥) كيلو متراً عن القاهرة فى طريق الاسماعيلية، وتبعد ٣٠ كيلو متر عن بلبيس بالشرقية.

* اجمالى مساحة المدينة ٣٨٨ كيلو متر مربعا، مقسمة الى حزام أخضر مساحته ٣٣٢ كيلو مترا مربعا وكتلة عمرانية مساحتها ٥٦ كيلومترا مربعا مخصص منها للصناعة ١١ كيلو مترا مربعا.

* عدد الوحدات السكنية المستهدف انشاؤها ٢٣٩٤٧ وحدة تم تنفيذ ١٧٦١٧ وحدة منها وتحت التشطيب ٤١٩٤ وحدة وتحت الانشاء ٢١٣٦ وحدة.

* تم حجز ١٢٢٠ مشروع صناعيا بالمدينة، دخل الانتاج منها ٤٨٨ مشروعا حتى أكتوبر الماضى، وتحت الانشاء ٢٤١ مشروعا.

* بلغت قيمة الانتاج الصناعى بالعاشر حتى ٣٠ سبتمبر الماضى ٢ مليار و٥٨٥ مليون جنيه، وهى أكثر من نصف قيمة الانتاج الصناعى بالمدن الجديدة مجتمعة، والتى تبلغ ٤ مليار و٢٨ مليون جنية.

* **أعلى القطاعات الصناعية انتاجا بالعاشر هى قطاع النسيج** الذى بلغت قيمة انتاجة ٤٩٠ مليون جنيه، يليه الصناعات الغذائية ٣١٥ مليون جنيه فالكيماويات والأدوية ٢٧٨ مليون جنيه ومواد البناء ٢٦٣ مليون جنيه، والصناعات الكهربائية ٢٥٧ مليون جنيه، والبلاستيك ١٧٤ مليون، والمنتجات الخشبية ٨٣ مليون والورقية ٨١ مليون والصناعات المعدنية ٧٢ مليون جنيه. أما الصناعات المتنوعة الأخرى والتى يبلغ عددها ١١٠ مشروعا بنسبة ٢٥٪ من المشروعات الصناعية بالمدينة ، فتبلغ قيمة انتاجها مجتمعة ٥٦٦ مليون جنيه.

* يبلغ رأس المال المستثمر فى الصناعة ٢ مليار و٣٩٣ مليون جنيه منها ٤٧٠ مليون جنيه فى النسيج (أكثر من كل الصناعات المتنوعة التى استثمر فيها ٤٥٨ مليون جنيه) يليها رأس المال المستثمر فى الكيماويات والأدوية ويبلغ ٢٨٩ مليون جنيه، ثم الصناعات الغذائية والكهربية ويستثمر فى كل منهما ٢٥٨ مليون جنيه، والبلاستيك ١٨٩ مليون ومواد البناء ١٨٠ مليون والصناعات المعدنية ٩٧ مليون، ثم كل من المنتجات الخشبية والورقية ويستثمر فى كل منهما ٩٥ مليون جنيه.



فاتورة الزلزال

جوده عبد الخالق

ستظل ذكرى يوم الثانى عشر من أكتوبر ١٩٩٢ حية فى عقول المصريين وقلوبهم لفترة طويلة . ورغم أن هذا اليوم قد عرفه الناس حتى الآن بوصفه يوم الاثنين الأسود أو الحزين ، إلا أنه ربما دخل التاريخ على أنه **اليوم الذى اكتشف فيه المجتمع المصرى الحاجة إلى زلزلة الكثير من العادات والأوضاع والعلاقات** . وبذلك ينطبق المثل القائل : رُب ضارة نافعة ! فهل يتحقق الأمل المنشود ؟

على أنه إلى أن يتحقق الأمل المنشود ، بل فى سبيل تحقيق هذا الأمل ، فإن من الضرورى استقصاء الأبعاد المختلفة لهذا الحدث الجلل . ونركز هنا على **الأبعاد الاقتصادية** ، وهي مانطلق عليه اختصاراً **فاتورة الزلزال** . ولكنا نسارع بالقول أن نتائج الزلزال لم تخل من بعض الخير ،رغم أن الأضرار كانت كثيرة . كما أن بعض الآثار السلبية للزلزال لايمكن ترجمتها ماليا عند حساب الفاتورة ، لذلك فإن الحساب يظل ناقصا ، مهما بدا دقيقا .

وطبقا لآخر التقديرات ، فإن إجمالى **الخسائر المادية** للزلزال تصل إلى حوالى٣ر٣ مليار جنيه **حسب تصريح السيد رئيس الجمهورية بهذا الخصوص** . هل مثل هذا الرقم كبير أم صغير؟ طبعا الأمر يتوقف على معطيات المسألة والأبعاد الأخرى ذات العلاقة .

أما فى حد ذاته ، فقد يبدو الرقم كبيراً ، بل كبير جداً . ولكى نعرف الحجم الحقيقى للخسائر المادية للزلزال نؤكد أن هذا تقريراً تقريبياً ، الأغلب أن أساسه هو قيمة بعض المساكن والمدارس والمنشآت التى دمرت ولكن **ليس كلها على الأرجح** . **فهناك خسائر** نشك فى أنه قد تم حصرها حصرا دقيقا وتقييمها . والأرجح أيضاً أن هذا التقدير هو عبارة عن الخسائر من وجهة نظر الحكومة : إعادة بناء وترميم المدارس والمنشآت الحكومية والطرق وتعويض المتضررين ونفقات إعاشة الأسر التى شردها الزلزال . . . إلخ . وهذه العوامل تجعلنا نعتقد أن الرقم المذكور ربما يكون أقل من حجم الخسائر الفعلية التى لابد أن تشمل الأضرار التى لحقت بالمواطنين والتى لم تصل إلى حد يستدعى التعويض عنها . . ولكنها خسائر على كل حال ، لابد أن تدخل فى فاتورة الزلزال . أيضا لانتصور أن الرقم المذكور يشمل الفاقد الاقتصادى نتيجة لتعطل العديد من المرافق والأنشطة أو اضطرابها بسبب الزلزال .

ومن ناحية أخرى ، فقد يرى البعض أن هذا الرقم الذى أعلنته الحكومة قد اتسم بالمبالغة فى حجم الخسائر بقصد الحصول على أكبر قدر من المساعدات من الخارج بمناسبة هذه الكارثة والدليل الذى يمكن الاستناد إليه هو أن رقم الخسائر الإجمالية قد تم إعلانه بالدولار الأمريكى وليس بالجنيه المصرى .

على أى الأحوال إذا افترضنا أن التهوين من حجم الخسائر للأسباب التى ذكرناها يعادل التهويل ، فربما كان الرقم المذكور تقريباً معقولاً للحجم المادى لهذه الكارثة الطبيعية ، ويبقى السؤال هل هو حجم كبير أم صغير ؟ لكى ندرك هذا ، فلننسب الرقم إلى بعض المتغيرات الاقتصادية فى مصر لعام ١٩٩١ / ٩٢ (**مصدر البيانات هو المجلد الأول للخطة الخمسية ٩٢ / ٩٣ - ٩٦ / ٩٧ ، إبريل ١٩٩٢) بالمليارجنيه بالمليون شخص**

(١) الناتج المحلى الإجمالي ٥ر١٢٥

(٢) اجمالى الخسائر المادية للزلزال ٣ر٣

(٣) الزيادة المستهدفة فى الناتج المحلى الاجمالى خلال الخطة الخمسية ٩٢ / ٩٣ - ٩٦ / ٩٧= ٣ر٣٥

(٤) الزيادة المستهدفة فى ناتج قطاع الخدمات الحكومية مشتملاً المرافق العامة والتأمينات الاجتماعية ، ٨ر٢

(٥) الزيادة المستهدفة فى ناتج قطاع الزراعة خلال الخطة الخمسية ٩ر٣

(٦) عدد السكان - ٠ر٥٨

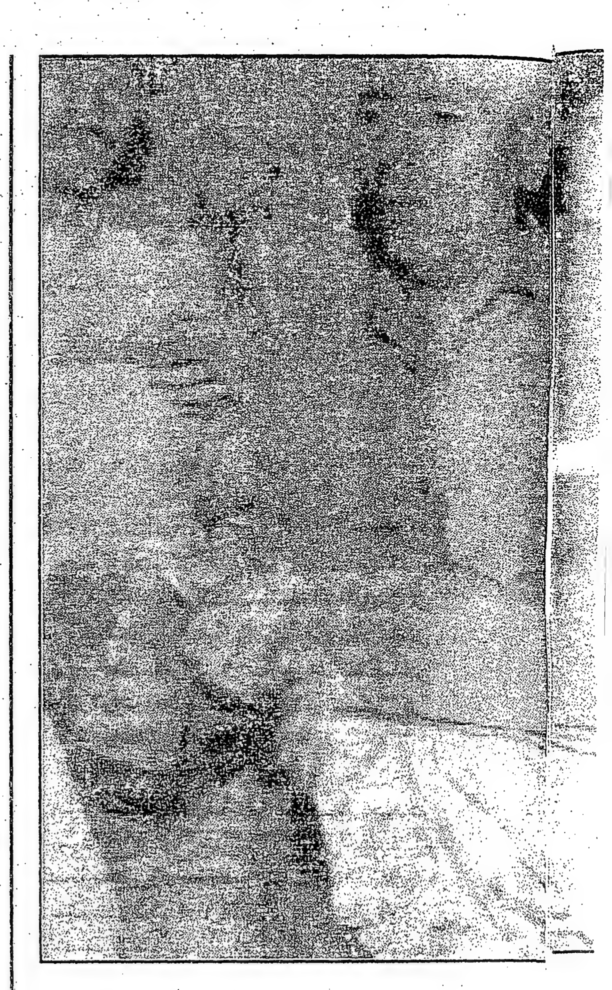
(٧) عدد المشتغلين فى الزراعة ٦ر٤

(٨) عدد المشتغلين فى قطاع الخدمات الحكومية (شاملة المرافق العامة والتأمينات الاجتماعية) ٥ر٢

البيانات السابقة تساعد فى إمدادنا ببعض المؤشرات الدالة على الحجم النسبى للكارثة الطبيعية التى وقعت بالبلاد يوم الاثنين الأسود ، والتى استغرقت أقل من دقيقة واحدة ، ولكن تأثيرها سيعيش أمدا طويلا وربما يمتد لعشرات السنين .

إن خسائر الزلزال المادية الاجتماعية تمثل ٦ر٢ ٪ من قيمة الدخل الذى تولد فى جمهورية مصر العربية من أقصاها إلى أدناها وفى كل المجالات خلال عام ١٩٩١ / ٩٢ . وهذا يؤكد حقيقة لايتطرق اليها الشك ألا وهى أن **مستوى الدخل الحقيقى لعام ١٩٩١ / ٩٢ سيكون أقل من العام السابق عليه** . نقول هذا بالنظر إلى أن الاقتصاد المصرى كان قد بدأ مرحلة ركود مع مطلع التسعينات وأن معدل النمو الاقتصادى كان بالغ الانخفاض فى السنوات الأخيرة ، بل وسالب من وجهة نظر البعض ، طبعا وإذا **أخذنا نمو سكان الجمهورية فى الاعتبار ومعدله السنوى حوالى ٥ر٢٢ ، يكون معنى ذلك انخفاض متوسط دخل الفرد ومستوى**





معيشتة انخفاضا واضحا نتيجة للزلزال . وطبعا لبيانات وزارة التخطيط الخاصة بالدخل والسكان والمبينة فى الجدول السابق فإن متوسط الدخل هو ٢١٦٤ جنيه عام ٩١ / ٩٢ . **وهذا يعني أن الزلزال يكون قد عصف فى أقل من دقيقة واحدة بعرق وكد وجهد حوالى ٥ر١ مليون مواطن مصرى على مدار عام كامل !**

ومن منظور آخر ، فإن الزلزال يكون قد أطاح تقريبا بعُشر الزيادة المستهدفة فى الناتج المحلى كله خلال الخطة الخمسية ٩٢ / ٩٣ - ٩٦ / ٩٧ (والبالغة ٣٥ر٣ بليون جنيه) هذا يقل قليلاً عن الزيادة المستهدفة خلال الخطة الخمسية فى الدخل المتولد فى أكبر قطاعات الاقتصاد المصرى وهو قطاع الزراعة حيث يعمل ٨ر٤ مليون مصرى) ، ويفوق الزيادة المستهدفة فى الدخل المتولد فى قطاعات المرافق العامة والتأمينات الاجتماعية والخدمات الحكومية (حيث يعمل ٥ر٢ مليون مواطن) خلال تلك الخطة .

ولإلقاء المزيد من الضوء على جانب من جوانب الزلزال ، نجد من الضرورى إستقصاء مجمل الخسائر التى ترتبت على الزلزال ، مادية وغير مادية ، وتفصيلات هذه الخسائر ، وهذا ماتوضحه اللوحة التالية .

اللوحة رقم (٢)
بأهم خسائر زلزال
الأثنين ١٢ / ١٠ / ٩٢

١ - إجمالى الخسائر المادية:
وتشمل حوالى ٣ر٣ مليار جنيه تشمل
انهيار ٥٠٠٤ منزلا
* تصدع ١١٥٤٠ منزلا
* إنهيار ٧٨٨ مدرسة
* تصدع ٢٧٤٨ مدرسة
* تصدع ١٨٧ أثرا

٢ - إجمالى الخسائر البشرية:
لاتقدر بقيمة مادية تشمل قتلى ٥٦١ قتيلا
* جرحى ١٠٠٠٠ جريح
* تشريد ٣٠٠٠٠ أسرة
* تعطل الدراسة ٣ أسابيع

إن إنهيار المبانى ربما كان من أكثر نتائج الزلزال وضوحا ، بل هو أكثرها خطورة باعتباره السبب الرئيسى للخسائر البشرية بمفرداتها المختلفة من قتلى وجرحى ومشردين ومن تعطل الدراسة. والجدير بالذكر أن حجم الخسائر لايعود فى كثير من الحالات إلى شدة الزلزال بقدر مايعود إلى الغش والاهمال وهو مايطرح موضوع الفساد المستشرى فى المجتمع المصرى وضرورة التصدى له قبل فوات الأوان، ومن المهم ونحن نرصد فاتورة الزلزال ، بعد أن فاتنا فى مصر أن نرصد الزلزال ذاته ، أن نلاحظ طبيعة رد الفعل من جانب الجهات الرسمية فى مجالات معينة لها أهميتها من الناحية الاقتصادية فقد اتخذت محافظتا القاهرة والجيزة ، حيث وقعت أكبر الخسائر ، قرارا فوريا بوقف التراخيص الجديدة للمبانى وبصرف النظر عن الأسباب التى دفعت إلى ذلك الا أن من نتائج القرار زيادة حدة **مشكلة البطالة بلا شك** ، وبالتالى أرتفاع حجم فاتورة الزلزال بصورة مضاعفة وما من شك فى أن تصدع الآثار يضاف الى قائمة الخسائر التى لاتقدر ماليا مثل الخسائر البشرية ، فهذا جزء غال من تراث الشعب المصرى أولا ، ومن تراث الإنسانية فى التحليل النهائى ، يصعب استعراضه.

ومع التسليم بالقضاء والقدر، يلح السؤال : **كم من الأرواح البريئة التى أزهقت والأموال الكثيرة التى أهدرت فى حادث الزلزال كان يمكن إنقاذها لو كان المجتمع أكثر استعدادا والفساد أقل انتشارا**

ولاستكمال الصورة ، فاننا ننهى هذا المقال بمناقشة المساعدات التى حصلت عليها مصر من الأطراف المختلفة بمناسبة حادث الزلزال ، والتقديرات الرسمية توضح أن المعونات التى حصلت عليها مصر بلغت حوالى ٢٠٠ مليون دولار أمريكي من المصادر المختلفة ولعلنا قد نرصد هنا أن أحد النتائج الإيجابية للزلزال كانت استجابة العديد من البلاد العربية والأجنبية لنجدة الشعب المصرى ، حتى بعض الدول العربية التى كانت العلاقات الرسمية معها تعانى من بعض مظاهر الفتور أو التوتر ، ونذكر هنا إعلان السودان والعراق استعدادهما لتقديم المساعدات لإغاثة منكوبى الزلزال . بل لقد وصلت بالفعل طائرة سودانية تحمل ٥ أطنان من مواد الإغاثة للشعب المصرى فى أعقاب الزلزال ، كما قدمت ليبيا مساعدة نقدية بمبلغ ٦٠ مليون دولار والكويت ملغ ٥٠ مليون دولار والسعودية ٤٠ مليون دولار والإمارات ٢٠ مليون دولار . وقدمت الجزائر مساعدات مادية وعينيه . وبالنسبة للدول الأجنبية أعلنت الولايات المتحدة عن تقديم منحة قدرها ٣٣ مليون دولار ، وتبرعت بريطانيا بمبلغ ٤ر. مليون دولار . وقدمت فرنسا منحة لتمويل عملية ترميم الآثار الاسلامية فى القاهرة . كما أرسلت اليابان فريق علماء متخصصين فى شئون الزلازل ووعدت بإرسال مرصد جديد ، وأرسلت إيطاليا وفدا من علماء وخبراء الزلازل لديها . وبالإضافة إلى الإعانات الخارجية من الجهات الأجنبية ، كما أن هناك إعانات وتبرعات من المصريين فى الداخل والخارج . ولكن يصعب وضع تقديرات دقيقة لهذه التبرعات حيث أنه لم يتم حصر شامل لها .

ولكن مهما كان حجم التبرعات من المصادر المختلفة ، فالأرجح أنها لن تكون كافية لتغطية فاتورة الزلزال ، التى نتوقع أن يكون لها صداها فى الميزانية العامة للدولة لعام ١٩٩٢ / ٩٣ .. لكن أثر ذلك لن يظهر إلا فى الحساب الختامى لهذه السنة المالية وهو ماسنعرفه فقط بعد مرور عدة سنوات من الآن . كما كان الشأن فى كل الكوارث السابقة كبيرها وصغيرها فإن الشعب المصرى الصبور هو الذى سيسدد الفاتورة النهائية لهذه الكارثة .. ولكنه أثبت خلال تاريخه الطويل أنه كالجواد العربى الأصيل : قادر دائما على النهوض من كل كبوة ..

الاستثمارات الأجنبية تذهب إلى أمريكا وأوروبا وحكومة عاطف صدقى تنتظر الفرج

احمد الحصري

عندمـــا أعلن الرئيس الراحل أنور السادات سياسة الانفتاح كسياسة رسمية للبلاد عام ١٩٧٤ بررها بحاجة مصر إلى الاستثمارات الأجنبية لتنتشل الاقتصاد المصرى من الغرق.. وقتها بلغ الحماس ببعض الصحفيين الكبار لحد القول بأن **«ملايين الدولارات تحوم فوق سماء مصر منتظرة الإذن بالهبوط»**

ومن أجل هذه الدولارات الهائمة فوق سماء القاهرة صدرت قوانين الانفتاح وبدأت بالقانون رقم ٤٣ لسنة ٧٤ الذى تعدل ثلاث مرات آخرها عام ٨٩..

لكن الدولارات لم تهبط بعد رغم سيل القوانين والقرارات والإعفاءات والتسهيلات لدرجة أكبر مما كان الوضع عليه أيام الامتيازات الأجنبية (١٨٨٢-١٩٣٧).

ووفقا لتقديرات البنك الدولى فقد بلغ بند واحد من التسهيلات ودلع المستثمرين ٦مليار جنيه قيمة الإعفاءات الضريبية والجمركية سنويا سترتفع إلى ١٢ مليار بعد التسهيلات الأخيرة وتعديلات القوانين واللوائح.

واخيرا جاء اليابانيون إلى مصر ليتكشف المستور ويعرف الغلابة بعد ١٩ عاما من الانفتاح الحقيقة الغائبة عن وضع الاستثمارات الأجنبية فى مصر.

عند وصول الوفد اليابانى الذى ضم ٣٦ رجل أعمال برئاسة **يوتاروا أيد** رئيس شركة ميتسوبيشى كان فى استقباله كوكبة من الوزراء يتقدمهم كبيرهم **عاطف صدقى** ..وعند رحيلهم تركوا أرقاما وتصريحات أصابت المسئولين فى الحكومة والإعلام القومى بحالة من الغم.

أول الأرقـــام ٦٩٠ والقيمة **بالمليون** دولار هو حجم الاستثمارات اليابانية في مصر طوال ١٩ عاما من سياسة الباب المفتوح أو الانفتاح الاقتصادى بلغة إعلام الدولة المصرية.

الرقم الثانى **٤٨** والقيمة **بالمليار دولار** هو حجم الاستثمارات اليابانية في العالم خلال الخمس سنوات الماضيـــة.. ونصف هذه الاستثمارات توظفه اليابان فى أمريكا وبعضها فى أوربا و١٢٪ منها لآسيا وماتبقى تتركه للغلابة فى العالم الثالث.

الرقم الثالث وهو حسبة من عندنا للتناسب بين الرقم الأول والثانى تقول أن **اليابان أو الاستثمار اليابانى في العالم انفق في مصر طوال ١٩عاما ٥٪فقط من الدولارات المخصصة للاستثمار فى سنة واحدة للعالم.**

وإذا أخذنا بالمتوسطات لوجدنا بحسبة بسيطة أن الدولارات اليابانية التى تحوم فوق سماء مصر لم يسقط منها إلا ٠.٢٪ فقط بينما ذهبت ٩٩.٨٪ منها إلى الولايات المتحدة الأمريكية وأوروبا ودول النمور الخمسة والغزلان والأفيال وغيرها.. **رغم أن هذه الدول لاتقوم بعمل «عجين الفلاحة» الذي احترفناه لكل من يحمل بطاقة مستثمر أجنبى.**

ولم يكن غريبا أن يعلن رئيس الوفد اليابانى عند رحيله أن مهمة الوفد الرئيسية هى استكشافية..ولم تسقط منه كلمة واحدة ولو على سبيل المجاملة لمظاهرة الوزارة ورئيسها وصحفها وطابور رجال الأعمال المصريين.

بـــل إن **السيد أيد رئيس ميتسوبيشى** قال بالنص أعطرنا وقتا حتى يتأكد رجال الأعمال اليابانيون بأنفسهم من مصداقية مايقال عن المناخ الاقتصادى بمصر وهى لغة مهذبة على الطريقة اليابانية للمثل الحكومى المصرى «فوت علينا بكره».

ولم يفهم المسئولون واستمروا فى ترديد اسطوانتهم المشروخة عن التوجه الجديد والمناخ الجديد والديموقراطية التى تعم ربوع مصر وتناثرت الوعود بالامتيازات والتسهيلات وأطلقوا تصريحات من عينة «معلهش والنبى بس تعالوا» وكان الوحيد الذى فهم **«الفولة»** هو رجل الأعمال **محمد فريد خميس**

واضطر للتدخل لوقف الإسطوانة البلاتينية للحكومة بقوله « إن اليابانيين لهم نظام خاص في اتخاذ قرار الاستثمار وله خطوات معروفة ويتسم بالبطء ولكن بالموضوعية وبالتالي لاينتظر أن تسفر زيارة الوفد الياباني عن اتفاقات محددة.

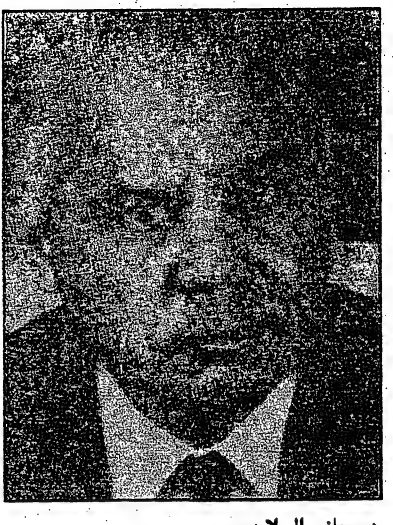
ويبدو أن السيد **عاطف صدقي** وحكومته الموقرة لاتتابع أو بالأدق لاتسمع من تقوم باستقباله فكلام السيد **ميتسوبيشي** يردده كل أصحاب الدولارات الهائمة.

وعلى سبيل المثال في مايو الماضي وأمام ندوة **التحرير الاقتصادي العربي واندماجه في السوق العالمية** وقف الفرنسيون ينتقدون خطط الإصلاح الاقتصادي وسياسة الانفتاح منذ ٧٤ والتي كانت سببا في **ضعف حجم الاستثمارات الفرنسية والتي لم تتعد ٢٠٧ ملايين فرنك بنسبة ١٪ من حجم الاستثمارات الأجنبية التي تصل إلى مصر.**

وبالتفتيش في أوراق ودفاتر هيئة الاستثمار نستطيع تكوين صورة أوضح عن موقف الدولارات التي هبطت على أرض مصر طوال السنوات الماضية (بما فيها الاستثمارات في قطاع البترول التي تذهب لأي دولة بغض النظر عن نظامها السياسي والاجتماعي).

تقول الأرقام إن **الموقف كان في نهاية عقد السبعينات** لنسبة مساهمة الجنسيات المختلفة في مشروعات الاستثمار داخل البلاد **كانت ٦٤٪ للمصريين و١٩,٣٪ للعرب و٢٠,٧ للأجانب منهم ٨٪ للأوروبيين و٢,٧ ٪ للأمريكان و٦٪ لباقي الدول.**

ولم يتغير الأمر في نهاية عقد الثمانينات بل إن حصة المستثمر الأجنبي قد تناقصت إلى ١٧٪ ..وهو اتجاه أكده تقرير التنمية البشرية لعام ٩٢ الصادر عن الأمم المتحدة فقد انخفض نصيب مصر من الاستثمارات العالمية **من ١,١٪ في الفترة من ٨٠-٨٤ إلي ٠,٨٪ عام ٨٩**..ولم يشفع لمصر إصابة حكومتها بإسهال قانوني لايستطيع أحد متابعته خاصة في وجود مجلس تشريعي يرفع شعار قانون لكل مستثمر لكن **أرقام الأمم المتحدة قاطعة ٨٣٪ من الاستثمارات الأجنبية تذهب إلي الدول الغنية و١٧٪ فقط للعالم الثالث وتستحوذ ١٠ دول في أمريكا**



د. حازم الببلاوي

اللاتينية وشرق آسيا على ٦٧٪ من هذه الـ١٧٪ ولايبقى لمصر سوى ٦٪ يقدرها التقرير بـ ٩٦٠ مليون دولار سنويا فقط.

ويزداد حجم الغم لدى الحكومة بعد موقف الدنانير والريالات الخليجية والتي تضامنت مع الدولارات الأمريكية ورفضت النزول من موقعها المعلق فوق سماء القاهرة .فالأرقام التقديرية المتداولة في الأوساط المالية العربية تقول إن **حجم الاستثمارات العربية خارج المنطقة العربية يبلغ ٤٠٠ مليار دولار حصة الأسد فيها لأوروبا وأمريكا..**

بينما لا تزيد الاستثمارات العربية حتى نهاية ٩٠ في مصر عن مليار و٩٦٩ مليون جنيه وفقا لكلام محي الدين الغريب رئيس هيئة الاستثمار وهذا الحجم الضئيل من الدنانير والريالات تتصدرها **المملكة السعودية بنسبة ٢٨٪ بمقدار ٥٥٢ مليون جنيه فقط ..تليها الاستثمارات الكويتية بحوالي ٥١٤ مليون جنيه أي بنسبة ٢٦٪.**

توقعات المستقبل لاتحمل معها أي بوادر « لفك النحس» وهطول أمطار الدولارات..ففي تقرير لخبراء الجات بعد مفاوضات العام الماضي تأكد أن **الاتفاق الأوروبي الأمريكي سيؤدي لرفع فاتورة الواردات الغذائية وهو ما يعني مزيدا من المديونية** أما الاستثمارات الأجنبية التي تسعى إليها الدول العربية غير النفطية وتراهن عليها من خلال عمليات التحرير الاقتصادي فلا أمل في حضورها بعد ازدياد حدة الطلب على الرساميل في الدول الصناعية ودول وسط وشرق أوروبا وجمهوريات الاتحاد السوفيتي السابق والدول النامية -وهكذا فإن أفاق زيادة الاستثمار الأوروبي أو الأمريكي لن تشهد زيادات كبيرة على رغم الخطوات التي خطتها اقتصاديات المغرب وتونس ومصر في اتجاه التخصيص الكامل والاندماج في اقتصاد السوق.

فالاقتصاد الأوروبي يحتاج ٦٣-٦٧ مليار دولار سنويا وفقا لتقديرات هيننغ كريستوفرسن مفوض الشئون المالية لدول السوق الأوروبية أما **الاقتصاد الأمريكي فيقدر الخبراء احتياجاته بـ ٢٠٠مليار دولار لتطوير** البنيات التحتية الأمر الذي يؤدي إلى شح أسواق الرأسمال أمام البلدان النامية.

هكذا تقول التقارير وتصريحات الخبراء في الغرب لكن حكوماتنا الرشيدة مازالت مصرة على التوجه إلى الاستثمارات الأجنبية ولم يزدها موقف الأخيرة إلا عنادا..حتى أن اللجنة العامة لمناقشة بيان الحكومة في مجلس الشعب قد استغربت هذا الموقف **وطالبت في تقريرها بالعدول عن سياسة تفضيل المستثمر الأجنبي علي المستثمرين الوطنيين عند منح الحوافز..**

لكن الحكومة لاتسمع أو تصم آذانها ومازالت تقدم الحوافز الضريبية والجمركية.. وبالمناسبة فإن موضوع الإعفاءات هو موضع انتقاد جاد من خبراء الاقتصاد المصريين وحتى الأجانب..

ففي دراسة ميدانية أجرتها **منظمة التعاون الاقتصادي والتنمية** (OECB) حول العوامل التي تؤثر على توجيه الاستثمارات الأجنبية للشركات متعددة الجنسيات باعتبار أن هذه الشركات هي التي تتحكم في فوائض رؤوس الأموال المتاحة على المستوى العالمي وتهيمن بالكامل على انتاج التكنولوجيا الحديثة ظهر بوضوح من إجابات هذه الشركات أن **الإعفاءات الضريبية لاتلعب إلا دورا ثانويا ومحدودا في هذا الخصوص.**

ويرجع ذلك فى رأى د.حسام عيسى استاذ الاقتصاد السياسى إلى سببين الأول أن هذه الإعفاءات لاتساهم فى الكثير من الأحيان في زيادة الأرباح لهذه الشركات حيث **تقوم الدولة الأم التابعة لها الشركة بإخضاع عائد استثماراتها فى الخارج للضرائب فى الحالات التى يصفى فيها هذا العائد فى الدولة المضيفة** ويعنى هذا أن الإعفاءات التى تمنحها مصر تصب فى خزانة الدولة الأم للشركة المستثمرة..أما السبب الثانى فهى قدرات هذه الشركات المحاسبية والاقتصادية على التلاعب والتهرب الضريبى وهى لا تحتاج هنا لأى تعطف من جانب حكوماتنا الرشيدة التى **فاقت فى كرمها الضريبى والجمركى حتى جزر البهاما وهو ماقاله د.اسماعيل صبرى عبد الله أمام ١٣ وزيرا عام ٨٤ ولم يرد عليه أحد.**

وإذا كان الاستثمار الأجنبى فى مصر على هذا الوضع فإن الكارثة أكبر فى تأثير هذا الحجم المحدود على سير وأداء الاقتصاد المصرى وهو مايحتاج لموضع آخر لكننا نكتفى بالإشارة إلى ماقاله **د.محمود عبد الفضيل فى كتابه «تأملات فى المسألة الاقتصادية»** حيث أشار إلى نتائج دراسة ميدانية على عينة من الشركات الاستثمارية التى تشارك فيها الشركات الدولية اتضح منها أن نسب المشاركة (وأغلبها مع القطاع العام) تدور حول ١٠-٢٥٪ من جملة رأس المال المدفوع ورغم تواضع نسب المشاركة فإن الشركات الدولية تجد نفسها فى موقع تستطيع أن تفرض منه شروطها وتفضيلاتها بخصوص أسلوب الإدارة وتشكيلة المنتجات ونوعية الفن الإنتاجى والسياسات السعرية والتسويقية وأغلب توظيفات الاستثمار الأجنبى غير البترولية تقع فى دائرة قطاع الخدمات خاصة المال والبنوك والسياحة.

ومن المفارقات الغريبة التى نشرتها **جريدة الأهرام** عن سوق الاستثمار الأجنبى فى مصر أن **البنوك الاستثمارية وبينها ٢٢بنكا أجنبيا لاتستثمر سوى ٤٪ فقط من مواردها طوال السنوات الـ١٨ الماضية فى المشروعات الاستثمارية!**

ويبقى السؤال الكبير.. لماذا لم تهبط الدولارات على أرض مصر وتركتها للبلدان الغنية غير المحتاجة بالرغم من كل أساليب الدلع والإعفاءات وسياسات الانفتاح والخصخصة..

الإجابة التى قدمها رجل المال الأمريكى روكفلر وأوردها هيكل فى كتابه **خريف الغضب** تقول بأن مصر منطقة مخاطرة من الناحية السياسية وهذا يعنى أن المستثمر الأجنبى لابد له من أن يحصل على نسبة ربح لاتقل عن ٣٠٪ وهى نسبة لاتستطيع مصر احتمالها ونصيحة روكفلر كانت أن تحاول مصر إغراء المستثمرين العرب.

ولكن **د.ابراهيم شحاته** نائب رئيس البنك الدولى والمسئول السابق للوكالة الدولية لضمان الاستثمار وواحد من المؤسسين للمؤسسة العربية لضمان الاستثمار يقول عن الاستثمارات العربية إنها تنتقل إلى البلدان المتقدمة والمدهش أن هذه الظاهرة تحدث فى البلدان الفقيرة..

وأما تلك الموظفة داخل البلدان العربية فهى تتسم بالضعف وعدم التنوع وتتركز فى الاستثمار العقارى وقطاعات المصارف والسياحة والنقل.

ويخلص **د.ابراهيم شحاته** إلى أن تشجيع الاستثمار العربى والأجنبى فى مصر لايستلزم إعفاءات وإنما إدارة جيدة للاقتصاد المصرى.

وفى دراسة أجريت فى جامعة الزقازيق على ١٥٠ شركة استثمارية ثبت أن الدافع الأول للاستثمار هو عناصر الإنتاج (عمالة-مواد أولية -أرض) ثم الاستقرار والسوق الاستهلاكية لتصريف المنتجات.

أما د.زهدى الشامى عضو المكتب الاقتصادى للتجمع والذي كانت أطروحته للدكتوراه عن الاستثمار الأجنبى فى مصر

د. زهدى الشامى



فيرى أن المسألة ترجع فى النهاية لمدى قوة الاقتصاد المصرى وعليها يتحدد قرار الاستثمارات الأجنبية **وفى حالة الضعف الحالية التى يمر بها الاقتصاد المصرى وافتقاده لعناصر القوة والتكامل بعد تدهور القطاعات السلعية فإن المستثمر الأجنبى لن يأتى فقط وإنما سيمثل فى حالة حضوره مزيدا من التدهور والتبعية للاقتصاد العالمى** خاصة فى ضوء المؤشرات الاقتصادية التى تثبت أن تدفق الاستثمارات الأجنبية والعربية لايضيف جديدا والمستقبل يحمل معه احتمالات نقص الأصول الأساسية التى يملكها المجتمع لصالح الأجانب.

ويضيف **د.حسام عيسى** أن ما تبحث عنه الشركات متعددة الجنسيات فى المقام الأول فإنه يختلف جذريا باختلاف القطاعات الإنتاجية ففى الصناعات الكثيفة الاستخدام للتكنولوجيا والتى يتزايد الطلب على منتجاتها فى السوق العالمى تتجه الشركات المنتجة الى حيث توجد المهارات الفنية الرخيصة نسبيا وحيث توجد أنظمة تكنولوجية وطنية على درجة من التطور وهو مايفسر فى رأي د.حسام عيسى اتجاه الاستثمارات الأجنبية لهذه الشركات إلى تايوان وكوريا.

وفى رأى **د.حازم الببلاوى** رئيس بنك تنمية الصادرات -وغير المعروف بالميول اليسارية- إن جوهر الإصلاح الاقتصادى ينبغى أن يركز على تغيير البيئة القانونية والتنظيمية المصاحبة للإنتاج ونكرر الإنتاج.

أما رجال الأعمال فرأيهم الثابت دائما أن المشكلة تكمن فى القطاع العام ومازال **د.سعيد النجار** رئيس جمعية النداء الجديد والمنظر الجديد الأول للخصخصة يقول أن القطاع العام يسيطر على النسب الأكبر للاستثمارات والتجارة والنظام المصرفى والقيمة المضافة فى القطاع العام -رغم علمه بأن الاستثمار الأجنبى يأتى إلي مصر وشرطه الأول أن يشارك هذا القطاع العام وفقا لبيانات هيئة الاستثمار غير اليسارية.

وتبقى حكومتنا السخية علي موقفها يزيد عليه أنها بدلا من أن تفكر وتفكر تسعى إلى أن «تفكك وتفكك»فى الاقتصاد والقطاع العام عسى أن تهطل أمطار الدولارات المعلقة فى سماء مصر منذ ١٩ عاما..هذه الدولارات التى لن تسقط أبدا حتى لوقامت الحكومة بلبس الجلباب وصلاة الاستخارة.



مصر.. إلى أين؟

ثلاث ورقات هامة.. لاتحتاج إلى تعليق

عريان نصيف

كثيرا ما أكدنا أن سياسات الحكم منذ السبعينات،تسير-بالنسبة للعديد من القضايا الاجتماعية والاقتصادية-فى إطار تحدده ثلاثة محاور هى:

* إهدار مصالح ومكتسبات الجماهير الشعبية.

* الخضوع لتوجهات صندوق النقد والبنك الدوليين والرؤية الأمريكية-بشكل عام- فى حل مشاكلنا.

* محاولات ربط اقتصادنا بمصالح وطموحات العدو الإسرائيلى.

وفي السطور القادمة،لن نتحدث نحن كثيرا،بل سنترك الحديث لثلاث ورقات هامة،تحدد لنا ماذا يحدث فى مصر وإلى أين يتم التوجه بها.

الورقة الأولى:

خطاب رسمى صادر فى ديسمبر ١٩٨٣-من السيد وزير شئون مجلس الوزراء-موجه إلى السادة الوزراء وإلى كل المسئولين عن الأوضاع الاقتصادية فى مصر-يحيطهم فيه بما نصه:

«اللجنة العليا للسياسات والشئون الاقتصادية ،قد أوصت فى اجتماعها المنعقد بتاريخ ٧ديسمبر١٩٨٣بأن يتولى السادة الوزراء كل فيما يخصه إعداد تصورهم لخطة اقتصادية متكاملة تستهدف رفع الدعم تدريجيا عن كافة السلع والخدمات،بحيث تظهر الأسعار فى نهاية الخطة (بعد عشر سنوات مثلا) بشكلها الحقيقى».

..هل تحتاج هذه الورقة إلى تعليق؟!

..عشر سنوات من الجهد الدءوب والتخطيط المرهق-مع تعاقب الوزارات ليس من أجل التنمية المستقلة،وليس لحماية الصناعة المصرية ودعمها ،وليس من أجل استصلاح واستزراع عدة ملايين من الأفدنة،وليس من أجل إصلاح الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية للموظفين وأرباب المعاشات وكل ذوى الدخل المحدود،وليس من أجل نهضة تعليمية وثقافية...

..ولكن من أجل..«رفع الدعم عن كافة السلع والخدمات»!!.

الورقة الثانية:

دراسة بعنوان «الحد من الفقر»- أعدتها«جوان سالوب»المستشارة الاقتصادية لنائب رئيس البنك الدولى، ومنشورة بعدد ديسمبر١٩٩٢ من نشرة«التمويل والتنمية»،التى تصدر بالعربية عن صندوق النقد الدولى والبنك الدولى للإنشاء والتعمير.

وتقول السيدة«جوان» فى دراستها:

«إن الكثير من السياسات التى تعتبر فى الغالب لصالح الفقراء ،ليست كذلك فى التطبيق العملى،من ذلك مثلا تحديد سقف للإيجارات ووضع قيود عليها»

..وتقول - فى موضع آخر من الدراسة-«إن النهج المفضل للإقلال من الفقر،هو ترك الأسواق تؤدى عملها..عوضا عن فرض رقابة على الإيجارات».

ونحن-بطبيعة الحال- لاتناقش مستشارة البنك الدولى..

فهذا هو فكرها،ودورها،ووظيفتها.

ولكننا..عن حكومتنا.نقول..

..كيف وصلت الأمور بمصر،إلى التنفيذ-الفورى والمباشر-لتوجهات البنك،وصندوق النقد الدوليين فى أى قضية اقتصادية واجتماعية دون مراعاة لما يترتب على ذلك من ترديات على الشعب والمجتمع؟

* لقد بح صوتنا-بالنسبة لتعديل قانون العلاقة الإيجارية الزراعية- ونحن

نطالب-ونناشد الحكومة أن تكتفى برفع القيمة الإيجارية بما يحقق التوازن المطلوب بين المالك والمستأجر،دون أن تترك الفلاقة لحركة السوق.

ولم نكن-فى ذلك الموقف- حريصين فقط على مصالح الملايين من المستأجرين المنتجين،ولكننا كنا أيضا شديدى الحرص على المصلحة العامة الاقتصادية والاجتماعية.

..ولكن..لافائدة..فالبنك والصندوق قررا،وعلينا التنفيذ!

* واليوم،ونحن على أعتاب كارثة اجتماعية أخرى تعدلها الحكومة بتعديل قانون العلاقة الإيجارية بالنسبة للمساكن..فهل ستراعى الحكومة-فى هذا الشأن-المصالح الاجتماعية والاقتصادية كما يراها ملايين المصريين،أم ستنظر إلى القضية بعيون السيدة«جوان»،وكافة خبراء البنك والصندوق؟!

الورقة الثالثة:

حوار مع الدكتور يوسف والى،منشور بجريدة الأهرام فى ٢٧ فبراير ١٩٩٣ بعنوان «حقيقة وأهمية قيام سوق اقتصادية موحدة بالمنطقة تضم مصر،والدول العربية واسرائيل»!(وعلامة التعجب من «الأهرام»).

ويتضح-من هذا الحوار-مايلى:

* إن هناك تحركا مكثفا لإقامة مايسمى«سوق الشرق الأوسط»،وأن المحاور والركائز الأساسية تقوم-بنص كلام د.والى-على مصر فى المقام الأول واسرائيل فى المقام التالى.

* إن هذا التحرك يحظى بتشجيع وتأييد كبير من الإدارة الأمريكية الجديدة.

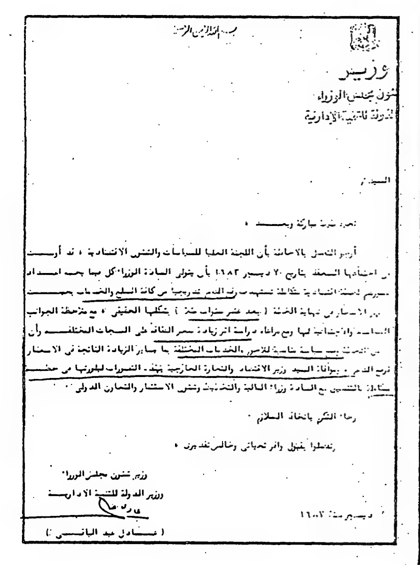
* إن هذه السوق -بجانب تمكينها للولايات المتحدة الأمريكية من تغطية جزء كبير من الطلب على الانتاج الزراعى والصناعى والخدمات،وفقا لنص حديث د.والى، فإن لها مستهدفا سياسيا رئيسيا وهو إيجاد الصيغة الملائمة لتمكين اسرائيل من التعاون مع جيرانها العرب،ودعم المصالح المتبادلة!

..مرة أخرى،هل تحتاج مثل هذه الورقة-الشديدة الوضوح والصراحة-إلى أى تعليق؟

ففى الوقت الذى يطالب فيه كل أعضاء حقوق الإنسان-بالمعنى الحقيقى-بالضغط على اسرائيل-وتشارك فى ذلك بعض الدوائر الأمريكية والغربية-لإيقاف عدوانها المستمر-المتصاعد واستهانتها وتحديها لكل المواثيق الدولية،فى نفس هذا الوقت بالذات يبشرنا د.والى بأنه يفتح أمام اسرائيل- من خلال هذه السوق-أوسع الأبواب للتدخل والهيمنة على الاقتصاد المصرى والعربى!!

ولأن مقولة« أن الشكل والإجراءات ،لاينعزلان عن المضمون والموضوع»

مقرلة صحيحة علميا وعمليا،فإنه بالرغم من أن هذه السوق- وكافة الأمور المتملقة بما يسمى تحرير الزراعة-قضايا رئيسية لمصر وللغرب وتمس كياناتها الاقتصادية والسياسية،فإنه لم يتم مجرد الحوار أو طرح الموضوع على أية قوى أو مؤسسات مصرية أو عربية على المستوى السياسى أو الاقتصادى أو الزراعى،فى نفس الوقت الذى تم فيه مناقشتها والاتفاق بشأنها مع الهيئات التالية:



بسم الله الرحمن الرحيم

وزير
شئون مجلس الوزراء
والدولة للتنمية الإدارية

السيد /

تحية طيبة مباركة وبعد ،

أرجو التفضل بالإحاطة بأن اللجنة العليا للسياسات والشئون الاقتصادية ، قد أوصت في اجتماعها المنعقد بتاريخ ٢٠ ديسمبر ١٩٨٢ بأن يتولى السادة الوزراء كل فيما يخصه اعداد برنامج لخطة اقتصادية متكاملة تستهدف رفع الدعم تدريجيا عن كافة السلع والخدمات بحيث يتم الاستمرار في نهاية الخطة (بعد عشر سنوات مثلا) بتكلفتها الحقيقي ، مع ملاحظة الجوانب السياسية والاجتماعية لها ومع مراعاة دراسة أثر زيادة سعر [illegible] على السلع المختلفة وأن [illegible] سياسة مناسبة للأجور والخدمات المختلفة بما يساير الزيادة الناتجة في الأسعار [illegible] بموافاة السيد وزير الاقتصاد والتجارة الخارجية بهذه التصورات لبلورتها في خطة [illegible] بالتنسيق مع السادة وزراء المالية والتخطيط وشئون الاستثمار والتعاون الدولي .

رجاء التكرم باتخاذ اللازم .

وتفضلوا بقبول وافر تحياتي وخالص تقديري ،

وزير شئون مجلس الوزراء
ووزير الدولة للتنمية الإدارية

(عـادل عبد الباقي)

ديسمبر سنة [illegible]

* البنك وصندوق النقد الدوليين.
* وزارة الزراعة الأمريكية،ومركز البحوث الاقتصادية بها.
* الوكالة الأمريكية للتنمية الدولية بواشنطن،وبالقاهرة.
* معهد إصلاح السياسات الاقتصادية بواشنطن.
* الجمعية الزراعية الأمريكية للتنمية الدولية.
* المعهد الدولى لبحوث سياسات الغذاء بواشنطن.
* جامعة«أيوا» الأمريكية.
* شركات :بيونير،دولومنسانتو.

***

وأخيرا..

فإن هذه الورقات الثلاث-وهى ورقات هامة وجادة بخلاف«الثلاث ورقات» المعروفة فى الموالد!!-لم تأت بجديد- سوى تأكيدها لصحة معارضتنا لمجمل سياسات الحكم.

أما مالم يرد فى هذه الورقات-وماكان له أن يرد بها-فهو أن تاريخ الشعب المصرى يؤكد على أن أى خروج على المصالح الوطنية والاجتماعية لهذا الشعب لايمكن أن يستمر طويلا.



تيارات

●● ليس التفاوض العربى مع اسرائيل مكافأة لها، حتى تتخلى عنه عقابا لاسرائيل، لأنها قامت بإبعاد المواطنين الفلسطينيين الى لبنان(!!) الإبعاد نتيجة، فكيف نعالج النتيجة ونتجاهل السبب، أى الاحتلال، فلا نواصل التفاوض لانهائه؟!

عبد اللطيف الفيلالى
وزير خارجية المغرب

●● فى جلسة قصيرة، غاب عنها معظم الأعضاء، وافق مجلس الشعب على تعديل قانون البنوك، ليقدم إلى فروع البنوك الأجنبية العاملة فى مصر هدية العمر، ويسمح لها بأن تتعامل بالعملات الأجنبية وبالجنيه المصرى، أسوة ببقية البنوك ولكنه فى نفس الوقت اعفاها من الالتزامات المطبقة على البنوك الوطنية والبنوك المشتركة العاملة فى مصر.

سعيد سنبل
صحيفة الأخبار

بيل كلينتون

لوسى



سعيد سنبل

عبد اللطيف الفيلالى

●● أنا بتاع نسوان، وبتاع خمرة، بس عارف مسئولياتى تماما، وأحترم التزاماتى، أماحياتى الخاصة فانا حر فيها!!

أحد المسئولين المتورطين فى قضية لوسى ارتين

●● الرجال الكبار اتجننوا كلهم ووقعوا فى حبى.. دول بيفيشوا حالة مراهقة على كبر..»

لوسى ارتين
بطلة القضية التى تورط فيها ثلاثة من كبار المسئولين المصرين

●● إننا سوف نعمل على أن تبقى اسرائيل متفوقة عسكريا على كل جيرانها فى الشرق الأوسط.

الرئيس الأمريكى بيل كلينتون أثناء زيارة رابين لواشنطون

●● إن الاسلام ليس فحسب يتقبل الاحزاب فى مجتمع رأسمالى بل إنه يدعو اليه لأنه ليس الإصورة من صور الانتصاف وطلب العدل والاحتجاج على الظلم، أنه أسلوب من أساليب الامر بالمعروف والنهى عن المنكر

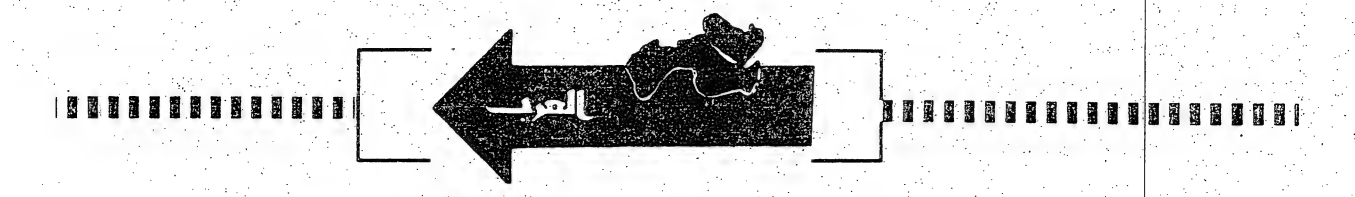
د. جمال البنا
المفكر الاسلامى المعروف
جريدة الشعب- ١٢ مارس

●● إن الزج بالقضاة فى إدارة شئون النقابات المهنية يأدى الى النيل منهم وأجحامهم فى مسائل لاخبره لهم بها وحتما سيكون هناك احتكاك بين القضاة واعضاء النقابات، لذلك يجب إبعاد القضاة عن الخوض فى الامور التى تعارض طبيعة عملهم وأطالب بضرورة عرض قانون النقابات على المجلس الاعلى للقضاء حتى تتم مناقشته.

مصطفى قنديل
رئيس محكمة الاستئناف بالاسكندرية

●● إن السودان وباكستان هما الان تحت المراقبة ومرشحان للادراج فى لائحة الدول التى ترعى الإرهاب، والدول الست المدرجة فى اللائحة وهى العراق وليبيا وسورية وإيران وكوبا وكوريا الشمالية لم تتخل تماما عن الإرهاب ولذلك ستبقى اللائحة.

توماس مكنمارا
منسق مكافحة الإرهاب فى الخارجية الأمريكية.



رابين عاد من واشنطن

حاملا محملا..

** رَفَعَ مستوى التحالف الاستراتيجي «الأمريكي- الاسرائيلي»، وحظى بوعد باستمرار الدعم المالي (٥ر٣ مليار دولار في السنة)، والدعم السياسي في مفاوضات السلام، وطمس قضية المبعدين وابعد الانتقاد لسياسة القمع والقتل في المناطق المحتلة وجاء الفرج ليبدو ضحية للارهاب «العربي والاسلامي»...



رسالة حيفا

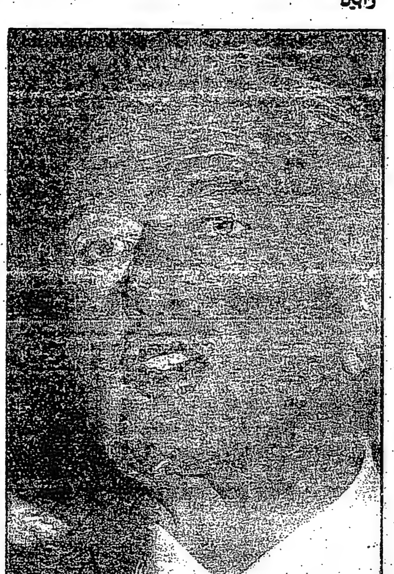
مرة أخرى وكما كان متوقعا، عاد رئيس الحكومة الاسرائيلية، **اسحاق رابين**، من الولايات المتحدة حاملا محملا:

- رفع مستوى علاقات التعاون الاستراتيجي الأمريكي- الاسرائيلي إلى مستوى اعمق من التحالف يصل إلى درجة **الدفاع المشترك**. ويشمل هذا **تحويل ميناء حيفا إلى قاعدة عسكرية بينية للأسطول الأمريكي. وتخزين كميات كبيرة من الاسلحة الأمريكية المتطورة في اسرائيل.**

- ضمان استمرار الدعم الأمريكي لاسرائيل، بالمبلغ نفسه **٥ر٣ مليار دولار**، ايضا في سنة ١٩٩٤، وهي السنة التي تخطط ادارة **كلينتون** لتقليص الدعم الخارجي فيها.

- الاتفاق على أن تكون المشاركة الأمريكية في مفاوضات السلام بدون **ضغط سياسي أو اقتصادي على اسرائيل.**

رابين



- توقيع المزيد من اتفاقيات التعاون العسكري والاقتصادي بين البلدين، وبضمنها **تقديم أحدث أنواع الأسلحة الأمريكية لاسرائيل** وآخرها السفينة الحربية «ساعر- ٥»، التي قامت بتدشينها زوجة رابين خلال الزيارة الأخيرة.

- الى جانب كل ذلك، حظيت زيارة **رابين** بتغطية اعلامية واسعة، واهتمام كبير ومدائح بلا حدود وتعاطف مميز.

عندما غادر **رابين** البلاد راحت وسائل الاعلام الاسرائيلية تتحدث عن **«هديتين»** يحملهما الى الرئيس الجديد **كلينتون**:

الاولى.. تقديم «تنازل» جديد في قضية المبعدين تتيح للوفد الفلسطيني الانضمام الى المفاوضات في نيسان.

الثانية.. دفع المفاوضات مع سوريا نحو طريق الاتفاق. **وبما أن سوريا اعلنت موافقتها على أن يكون الإنسحاب الاسرائيلي من هضبة الجولان المحتلة** تدريجيا **على مراحل**، **فإن رابين**

سيعلن في واشنطن عن اعترافه بالسيادة السورية على الجولان.. وذلك كمقدمة للانسحاب الشامل في المستقبل، بعد ضمان قبول الولايات المتحدة الفصل بين القوات.

ولم تقتصر المسألة على وسائل الاعلام. قوى اليمين الاسرائيلية اتهمت رابين بإعطاء اوامر للجيش باعداد خطة للانسحاب الاسرائيلي من الجولان على مراحل. وطالبت رابين بكشفها وقد استدعى رابين رئيس كتلة الليكود في الكنيست «موشيه قصاب» بحضور قيادة اركان الجيش واكدوا له عدم وجود خطة كهذه او حتى مجرد نية على اعداد خطة من هذا النوع. ولكن قصاب خرج من الاجتماع يقول: لا أثق بهذه الحكومة ولا اصدقها.

وقد انطلق المستوطنون اليهود في هضبة الجولان يقيمون المظاهرات الصاخبة، يوميا، داخل مستوطناتهم وفي المدن الكبرى وأمام دار الحكومة في القدس وأمام بيت رئيس الحكومة. وفي وسط الشهر (١٥ آذار/ مارس)، في صباح اليوم الذي عقد رابين فيه اجتماعه المطول مع كلينتون قام مستوطنو الجولان بمظاهرة من نوع خاص. فقد **توجهوا نحو الحدود الاسرائيلية - السورية في الجولان وحاولوا اختراقها «بهدف الوصول إلى دمشق- كما قالوا- ومقابلة الرئيس حافظ الإسد للتفاوض معه حول السلام.** «فقد ثبت انه أقوى رجل في الشرق الأوسط وحكومتنا تبدو امامه خنوعة وفاشلة في التفاوض لذلك قررنا نحن أن نفاوضه».

وكما اراد المستوطنون، حظيت مظاهرتهم بتغطية اعلامية عالمية وفرضت نفسها على لقاء «رابين - كلينتون».

والنتيجة الواضحة أن لقاء **«كلينتون-رابين» لم يسفر عن «هدايا» ولا اتفاق بخصوص المفاوضات على المسار السوري** كل ما في الأمر أن رابين عاد واكد ماكان قاله من قبل من أنه **«أول رئيس حكومة يعلن موافقته على اتخاذ قراري مجلس الأمن ٢٤٢ و٣٣٨ اساسا لمفاوضات السلام.** ولكن، حتى هذا التصريح جاء ردا على سؤال احد الصحفيين وليس بمبادرته وقال أنه لم يأخذ خرائط الى اللقاء مع كلينتون ولم يتحدث عن تنازلات «انما اتفقنا على **أن تلعب الادارة الأمريكية دورا فعالا في المفاوضات، كما كان عليه الوضع في كامب ديفيد».**

ايضا هذا الكلام، يثير ضجيجا في اسرائيل، خصوصا بين المستوطنين. فاتفاقيات كامب ديفيد تفهم هنا على أنها تنازل عن كامل الارض، كما حدث بالنسبة لسيناء. ينسون أن اعادة الأرض المصرية لاصحابها تمت وفق شروط قاسية **لسيناء منزوعة السلاح والجيش المصري لايستطيع دخول ثلاثة أرباع مساحتها.** وينسون ماهو أهم من ذلك، وهو أن رابين اعلن أكثر من مرة أن حتى تجربة كامب ديفيد تلك لن تعود. أي أنه **لن ينسحب انسحابا تاما من أية منطقة عربية محتلة.** والحديث يجري عن انسحاب كبير لكن ليس تاما، وعن بقاء الجيش الاسرائيلي في بعض النقاط الاستراتيجية ، **إضافة إلى تسليم الجولان كله للجيش الأمريكي (او لقوة دولية بقيادة امريكية) ، وليس للجيش السوري.**

المهم، أن لقاءات رابين في واشنطن لم تشتمل على تغيير جذري في هذا الموضوع ولم تنطو على تقديم «هدايا» سياسية . بل ربما ما حدث العكس، اذ اثرت الضجة الكبرى في اسرائيل على مضمون اللقاءات ونتائجها.

كلينتون



فلم يتم الاتفاق على شئ جوهري. واذا ماتم الاتفاق على شئ فيبقى سريا. او أن الأمر الذي اتفق عليه هو الضغط على سوريا من أجل تنازلات تخفف الضغط اليميني على رابين!!

الجانب الفلسطيني

العنصر الفلسطيني في لقاءات القمة الأمريكية- الاسرائيلية كان سهلا على رابين. كان سهلا ليس لأن الموضوع سهل بل بالعكس. فهو موضوع شائك ومعقد وملئ بالتناقضات. الا أن الظروف التي احاطت باللقاء، سهلت على رابين عرض موقفه.

ولنعد اولا، الى ماقبل الزيارة. فالمعروف أن مفاوضات السلام الاسرائيلية العربية لم تستأنف في موعدها في شباط الماضي لسببين اساسيين:

أولا- الوفد الفلسطيني كان قد شعر في آخر جولتين من المفاوضات أن الوفد الاسرائيلي ليس جديا. يماطل، ويسوف، **ويتهرب من المبدأ الذي تقوم عليه المفاوضات (قراري ٢٤٢ و٣٣٨). ولذلك اراد الانسحاب من الجولة الأخيرة.** لكن أمام المطلب العربي الشامل وفي سبيل الحفاظ على موقف عربي موحد وافق على المشاركة في تلك الجولة. ولكنه، **وبشكل احتجاجي ارسل وفدا مقلصا وفي نهاية الجولة أعلن أنه لن يعود الى المفاوضات الا اذا تدخلت الولايات المتحدة واعادت اسرائيل إلى رسالة الضمانات وشروطها. كذلك طلبت من الولايات المتحدة الضغط على اسرائيل لوقف ممارسات القتل والقمع في المناطق المحتلة** (التي زاد عدد القتلى الفلسطينيين بسببها عنه في زمن حكومة **شامير** الليكودية).

ثانيا- الجانب الاسرائيلي ليس فقط لم يتجاوب مع هذا الطلب بل أمعن في استفزاز الوفد الفلسطيني فقام بتنفيذ عملية **الابعاد الجماعي للفلسطينيين (٤١٥ فلسطينيا) إلى لبنان** وابقائهم في الخلاء والخيام تحت البرد والثلج والأمطار ونقص الغذاء والدواء.

في حينه قررت الوفود العربية عدم العودة إلى مائدة المفاوضات بدون اعادة المبعدين، وفقا لقرار **مجلس الأمن الدولي رقم ٧٩٩ حول الموضوع.** ولكن رد رئيس حكومة اسرائيل

جاء يومها واثقا جدا: «المفاوضات ستجرى فى موعدها فى نيسان. وقضية المبعدين لن تؤثر».

وكما يبدو صدق رابين فها هم العرب يذهبون الى المفاوضات دون أن تحل القضية. **واسرائيل عقدت صفقة مع الولايات المتحدة، يتم بموجبها اعطاء شرعية للابعاد.** واعادة المبعدين على دفعات تنتهى خلال سنة. ثم وافقت اسرائيل على تقليص المدة أكثر، اذا طلب المبعدون استرحاما من المحاكم الاسرائيلية.

الوفد الفلسطينى من جهته وضع اقتراحات لحل وسط. فبعد أن كان أعلن أنه لن يعود إلى المفاوضات الا بعودة المبعدين، تنازل عن شرطه. **وفى سبيل دفع عملية التفاوض طلب أن تقوم اسرائيل بالاعلان عن الغاء سياسة الابعاد والتعهد بعدم ابعاد المزيد من الفلسطينيين. فان فعلت، سيعود الوفد إلى المفاوضات.**

هذا الموقف الفلسطينى لقى اهتماما وتقديرا فى العالم، خصوصا بين دول اوروبا. وقد لاحظنا أن بلجيكا رفعت مستوى التمثيل الدبلوماسى لمكتب م.ت.ف. فى بروكسل. وكذلك فعلت بريطانيا فى مطلع الشهر. **وكانت هذه مناسبة اوروبية للاشادة بالدور الايجابى للقيادة الشرعية للشعب الفلسطينى (هذا فى الوقت الذى مازالت فيه دول عربية تقاطع م.ت.ف) وخطوات اولى نحو تعزيز العلاقة مع م.ت.ف.**

الولايات المتحدة الامريكية من جهتها، لم تستطع التأثير على أوروبا لمنعها من هذه الخطوة، كما كانت تفعل فى الماضى. لكن الادارة الامريكية بدت محرجة. وحاولت الظهور بمظهر الحريص على التوصل إلى حل لقضية المبعدين حتى تتم المفاوضات ووصل كريستوفر إلى المنطقة والتقى الوفد الفلسطينى مرتين. وطرحوا عليه عدة اسئلةوعدبالاجابةعليها.

وفجأة، حصل شئ ما. **الادارة الأمريكية لم ترد بكلمة على الاسئلة الفلسطينية.** بل انها استصدرت الدعوات وبشكل مفاجئ الى عقد جولة المفاوضات القادمة. وذهب رابين إلى واشنطن، وسط احاديث دعائية أنه سيقدم اقتراحا جديدا «لارضاء كلينتون»، واذا بالرئيسين لايذكران الموضوع بتاتا فى ختام مؤتمرهما الصحفى (مساء الاثنين ٩٣/٣/١٥). وقد تعرضا له فقط عندما سألهما الصحفيون عن ذلك.

وكيف كان الجواب؟

-كلينتون اكتفى بالقول أن قضية المبعدين انتهت، بالصفقة التى وقعت بين اداراته وبين رابين. وأكد أن الموضوع لم يبحث واعرب بالتالى عن أملة بأن يحضر الفلسطينيون المفاوضات.

- رابين أكد على ذلك وقال- الفلسطينيون يضيعون الفرصة التاريخية التى نمنحها لهم. «أنهم مشردون منذ سنة ١٩٤٨. رفضوا كل الحلول التى اقترحناها عليهم وساروا وراء الدول العربية. واليوم نراهم كذلك. نحن من جهتنا نعرض عليهم مشروعا لم يسبق وأن عرض عليهم من قبل، لا من حكومات اسرائيل ولا من الحكومات العربية. نعرض عليهم حكما ذاتيا حقيقيا».

فما السر وراء هذا الموقف الواثق والدعم الأمريكى الصارم له، والذى دفع صحفية عربية أن تسأل كلينتون: لماذا هذا التحيز المتطرف لاسرائيل ضد العرب (وهو لم يرد مباشرة على السؤال وتهرب منه بالقول: نحن نتكلم بلغة واحدة لليهود وللعرب)؟

السر ليس فى بئر، انما هو معروف جيدا. ولكن جرت الاضافة عليه وفلفلته. كيف؟

- قضية القضايا هى أن الادارة الامريكية متحيزة فعلا لاسرائيل. وهى تضع علاقاتها معها فوق كل العلاقات الثنائية فى العالم. بل لولا الحياء ،لقامت بضمها إلى الولايات المتحدة. وحتى مفاوضات السلام وتكتيكها واهدافها، نجده يندرج فى علاقات التعاون الاستراتيجى بين البلدين.

-الانطباع السائد بأن الوفود العربية ستذهب إلى المفاوضات، حلت قضية المبعدين أم لم تحل، خفف كثيرا من الضغط على الولايات المتحدة. خصوصا وأن قضية المبعدين لم يعد لها مكان فى عناوين الصحف ووسائل الأعلام. وعموما فان العرب يمتنعون عن اثارة اهتمام العالم بواسطة الاحتجاج الشعبى والأحداث الجماهيرية .فنحن لا نطل على العالم الامن خلال مؤتمرات القمة ووزراء الخارجية وعناق الزعماء. **وفى الوقت الذى يسافر فيه رابين إلى واشنطن لتطوير العلاقات الاستراتيجية، كان الزعماء العرب يرسلون بطاقات الحب والتقدير الى الرئيس كلينتون. فالعلاقات عال العال. وكل شئ تمام التمام.**

- اضافة لما سبق، جاءت مساهمة **«ارهابية» فى جهود التعاون والتفاهم الامريكى- الاسرائيلى.** ونقصد عددا من اعمال الأرهاب المذهلة، التى بغض النظر عن هوية منفذيها، كان لها أكبر الاثر فى تركيز لقاء رابين -كلينتون على الارتقاء بالتحالف الاستراتيجى إلى مرحلة اعلى وعلى زيادة الدعم المالى والاسلحة:

اولا: العملية الارهابية فى نيويورك. حتى الآن لم ينتهى التحقيق.. ولم تثبت التهمة على الشاب **محمد سلامة ولكن، وسائل الأعلام الغربية ورئيس المخابرات الأمريكية وزعماء الصهيونية واليمين هنا وهناك، ادانوا العرب والمسلمين!.**

ثانيا: ارتكبت عدة أعمال ارهاب ضد مواطنين أو مستوطنين اسرائيليين مدنيين يندى لها الجبين:

- أمرأة معروفة بمواقفها السياسية اليسارية المؤيدة للسلام بين اسرائيل والعرب ولها معارف واصدقاء كثيرون فى غزة ورفع عملت فى نقل العمال بسيارة من بيوتهم الى العمل وتعيدهم فى المساء. هذه المرأة اليهودية قتلت طعنا ونزفت حتى ماتت.

- رجل يقارب الخمسين من العمر. يملك مزرعة . منذ ثلاث سنوات وهو يشغل عنده عاملا عربيا فلسطينيا من المناطق المحتلة . فجأة، ادار صاحب العمل ظهره الى الوراء فهاجمة الشاب الفلسطينى من الخلف وطعنه عدة طعنات ومات.

- مستوطنان جديدان كانا يسيران على طرف الشارع. فجأة، جاءت سيارة وداستهما كليهما، ودون أن تحاول الفرملة.

ثمانية اشخاص قتلوا بهذه او بطرق مختلفة أخرى. كل واحدة منها تحولت إلى كارثة العصر فى الاعلام الغربى، **وبالطبع فإن اصبع الاتهام يوجه إلى الفلسطينيين والاسلام. ويبدو رابين ممثلا للضحية. ينسون كل** ممارسات القمع والقتل فى المناطق المحتلة، ويتراكضون لتغطية ظاهرة السكاكين هذه (أحد القضاء اليهود اسماها «ثقافة السكين»).

هكذا جاءهم الفرج مرة أخرى جاء عند الطلب، وفى الوقت الذى يناسبهم.

هناك من يعتقد أن هذه العمليات جاءت مخططة لتفجير مفاوضات السلام من القوى المعادية لمفاوضات السلام. ولكن النتيجة ليس فقط احداث الضرر بالمفاوضات، بل بقضية الشعب الفلسطينى من جهة وتخدم اهداف التحالف الاستراتيجى الامريكى- الاسرائيلى من جهة أخرى. وهاهم يقطفون ثمارها من الآن.



فالح العطاونة

صباحا.قبل أن أتخلص من عناء الوصول إلى القدس،حاصرنى أحد الزملاء فى «الطليعة» ،بورقة صغيرة،يخبرنى فيها أن رئيس تحرير «**اليسار**» يطلب إرسال « **نحو الشمس**»،اليوم!

واليوم،١٦ مارس -آزار..يعنى أن الزميل رئيس التحرير قد حسم يومين من مساحة الوقت الباقية على موعد وصول المقالة الاعتيادى،فى الثامن عشر من كل شهر..وعليه،فإن ماتبقى من الوقت يساوى صفرا أو ..يكاد!!

والحالة هذه ،ما الذى يمكن كتابته..للقراء على الضفاف البعيدة؟!

كان ضحى النهار يفرش الشمس على وجه القدس،فتتبدى المدينة أوضح حزنا ،بعد أن أخذت نصيبها من طوفان «إجراءات الأمن» الإسرائيلية-مدينة تمضغ الحزن وتتلوى تحت وطأة« البساطير»الاسرائيلية التى انزوت فى كمائن خاصة على الأبواب وفوق الأسوار وعلى مفارق الطرق. على أهبة الانطلاق،للالتزام بروح التعليمات الطازجة التى لاتزال،حتى كتابة هذه السطور،قيد الطبخ لدى مسؤولى الأذرع «الأمنية» فى حكومة قدمت نفسها للعالم على أنها **الأكثر«اعتدالا»** و«**رغبة فى تحقيق السلام**»،فى تاريخ اسرائيل الخصب بالحروب!

..وحتى أول أبريل،موعد صدور العدد الجديد من «اليسار»،لاأحد يعلم،بالضبط،المدى الذى ستقطعه «الإجراءات الأمنية»الإسرائيلية،ذلك أن دولة قرر كبارها منذ سنوات أنها تعيش «حالة حرب»تبقى « قرارات الحرب» المتخذة قيد التخمين..إلى أن تنزل القرارات الجديدة الميدان،وتعلن عن نفسها جهارا نهارا ،وأمام العالم الذى يواصل الانحناء!

..مالذى يمكن كتابته..للقراءة على الضفاف البعيدة؟!

..وتسعفنى مكالمة جاءت للتو إلى أحد الزملاء..طازجة ومشحونة بالوجع من «**خان يونس**» التى تزاول تقديم قرابينها يوميا.قال الزميل الذى كان يستمع على الطرف الآخر من التليفون:«الان،سقط فى «خان يونس»شهيد آخروخمس وسبعون جريحا بالرصاص الإسرائيلى الحى..!»وأضاف،ببساطة غزية آسرة:«لماذا يواصل العالم الصمت؟!».

إذن،على هذا النحو بدأ أول الحصاد بعد لحظات من اجتماع « طاقم الأمن الداخلى»وفى حكومةرابين الأكثر «رغبة فى تحقيق السلام»:

قالت الإذاعة الإسرائيلية إن «طاقم الأمن الداخلى»الذى ضم «**شمعون بيرس**»القائم بأعمال رئيس الوزراء،والمفتش العام للشرطة « **يعقوب تيرنر**»ونائب وزير الدفاع،ووزير الشرطة،وقائد أركان الجيش. .قالت الإذاعة،إن الإجراءات الأمنية الجديدة هى امتداد لسلسلة الإجراءات القديمة..لكن الإذاعة أضافت ما يقطع باليقين،بأن هناك إجراءات جديدة تتمثل،إضافة إلى تكثيف أعداد الجيش والشرطة العاملين فى الميدان،حملة توعية للتطوع «للحرس المدنى»الإسرائيلى للمساعدة فى مقاومة «الإرهاب»!.

وهكذا امتثلت الحكومة «الأكثر اعتدالا» فى تاريخ اسرائيل،بالدعوة الأكثر وضوحا من قبل مسؤول رسمى..**دعوة لتحويل الأراضى الفلسطينية المحتلة إلى «غرب أميركى»آخر**،بما ينطوى عليه المثل من احتمالات مرعبة،إذا ما حدثت،يصبح«**حمام الدم**»أقرب وصفا للحالة الفلسطينية الراهنة،فى ظل احتلال يعلن رغبة أصحابه فى «السلام».

ماالذى يمكن كتابته..للقراء على الضفاف البعيدة،وقد أعلن«**يعقوب تيرنر**» **المفتش العام للشرطة فى حكومة إسرائيل التى ترغب فى «السلام»** عن **دعوته إلى مايزيد عن ثلاثماية ألف اسرائيلى يحملون السلاح المرخص للنزول فى «الميدان»**؟!.

علامة فارقة أخرى فى سيرة حكومة ملطخة بالدم،لاتنفك تعلن أنها حكومة «سلام»! وعلامة فارقة أخرى ،فى زمن الاحتلال،لعلها توقظ ضمير العالم «الجديد»..ليتثاءب ويعلن انتباهه إلى شعب يعلن حالته بأعلى الوجع!

...حاجتنا للانتباه!!

معركة انتخابات النقابات فى الاردن

رسالة الأردن

علي الرنتيس

تعتبر نقابة المحامين الأردنيين من أقدم النقابات المهنية فى الأردن حيث تأسست عام ١٩٥٠ ،وهى أول نقابة مهنية تجرى فيها الانتخابات بعد الترخيص للأحزاب بالعمل العلنى.ولهذا فقد تصارعت القوى السياسية القومية واليسارية على منصب النقيب.ووصل عدد المرشحين لهذا المنصب تسعة مرشحين. ثمانية منهم يمثلون هذه القوى،فى حين قارب عدد المرشحين للمجلس نحو ٥٠ مرشحا يتنافسون على عشرة مقاعد.

ومن الملاحظات الجديرة بالاهتمام أن بعض التنظيمات كان لها أكثر من مرشح .وكاد مرشح القوى الديمقراطية **(المحامى مروان الحسين)** أن يفوز بمنصب النقيب لو تم الاتفاق بشكل أفضل.وتجدر الإشارة إلى أن التيار الإسلامى الذي لم يرشح أحدا إلى مركز النقيب،قد استفاد من التنافس بين القوى القومية واليسارية ،وتمكن من توصيل ٣أعضاء إلى مجلس النقابة،وهذه أول مرة في تاريخ نقابة المحامين يتمكن فيها التيار الإسلامى من دخول هذه النقابة بهذا العدد فنقابة المحامين محافظة باستمرار على كونها معقلا للقوى القومية واليسارية .ولكن التوجه الديمقراطى بقى قويا فى الدورة الجديدة واتضح ذلك من توزيع المناصب داخل النقابة ،حيث تولت القوى الديمقراطية والقومية المناصب الهامة والأساسية فى النقابة.**وأن المقاعد التى حصل عليها ممثلوا التيار الإسلامى لم يحصلوا عليها لانتمائهم التنظيمى،وإنما لخبرتهم المهنية .**

ولذلك تخلص القوى السياسية فى الأردن إلي أن نتائج انتخابات نقابة المحامين كانت فى محصلتها النهائية لصالح القوى العلمانية ،القومية واليسارية.

هذا ولم تكد القوى السياسية تلتقط أنفاسها من عملية الانتخابات فى نقابة المحامين حتى بدأت الاستعدادات لانتخابات نقابة الأطباء التى ستجرى فى أوئل أبريل الجارى وتحاول القوى الديمقراطية والقومية أن تستفيد من دروس معركة انتخابات المحامين وتعمل على تنظيم صفوفها واختيار مرشح واحد لمركز النقيب،وتخوض المعركة بقائمة موحدة للمجلس فى وجه التيار الإسلامى الذى شكل قائمته المغلقة.

المجلس السابق لنقابة الأطباء كان يتشكل من نقيب تدعمه الحركة الإسلامية ومجلس غالبيته من القوى العلمانية ،الديمقراطية والقومية،وبفضل هذه التركيبة خسرت النقابة سمعتها عند الأطباء وخصوصا النقيب، وذلك لغياب النقابة فى قاعدتها والتقصير الكبير فى الدفاع عن مصالح الأطباء،**مما أدى إلى بروز تيار قوى في** **نقابة الأطباء من صغار الأطباء،ومن المتضررين في حرب الخليج ،والمتضررين من قرارات المجلس الطبى الأردنى،والعاطلين عن العمل،ومن صغار الأطباء العاملين فى وزارة الصحة،ويعمل هذا التيار تحت يافطة الإصلاح والتغيير والتجديد وهو تيار كبير،ويطرح مطالب جادة**،وهذه الفئات تحاول أن تحصل على مكاسب حتى تستطيع أن تعيش فى ظروف إنسانية مناسبة.

وخلافا لما يروج له البعض من أن الدور السياسى فى النقابات المهنية قد ضعف فإن العامل السياسى مازال يلعب دورا مؤثرا داخل هذه النقابة والنقابات الأخرى فى البلاد.وفى حديث مع الدكتور **حسان بدران** المرشح لمركز النقيب والذى يتمتع بتأييد واسع قال« إن هناك أهمية كبيرة لإعادة ترتيب البيت الداخلى فى النقابة،فقوانين النقابة وأنظمتها لم تعد تلبى طموحات ولا حاجات الأطباء ،ويجب إعادة النظر فيها وفي هيكل النقابة ككل.(فعدد الأطباء الأردنيين ١٠ آلاف طبيب منهم ٦آلاف اعضاء فى النقابة.كما برزت قضايا وإشكالات ومتطلبات عديدة فى المهنة لم تكن فى السابق مماجعل الاتصال بين مجلس النقابة وهيئتها العامة عسيرا بل ومنقطعا.

وردا على سؤال لمجلة «اليسار» عن قيام النقابة بتجميد عضوية مايزيد عن ١٥٠٠ طبيب لعدم تمكنهم من تسديد الالتزامات المالية المترتبة عليهم للنقابة قال« التجميد فى طريقه للحل وذلك بشطب السنوات غير المسدودة وتسجيل الطبيب فى النقابة وكأنه انتسب إليها من جديد،وتحسب له المزايا التقاعدية حسب مدة السنوات التى سددها فقط وعدم التهاون مستقبلا فى تحصيل الرسوم لأن سبب عدم التسديد تراكم لسنوات عديدة.وعن دور النقابة فى حل أزمة البطالة قال:«إن النقابة ليست الجهة المسؤولة عن البطالة،ولكن من مهمتها الأساسية معالجة البطالة،وربما يكون دورها الأساسى دفع قضية البطالة فى سلم الأولويات أمام كل المسؤولين فى هذه المشكلة،منها مشكلة الصحة،ومستشفيات القطاع الخاص،والمستشفيات التعليمية،التي يجب أن تتولى تدريب الأطباء وتأهيلهم،وأشار إلى أن النقابة استطاعت أن تنجز تشريعات تقضى بتعيين الأطباء فى المؤسسات التعليمية مثل كليات المجتمع والمدارس مؤكدا أن هذا مطبق حاليا بشكل جيد».

جريدة الحزب الشيوعى الأردنى فى الأسواق بعد ٣٧ عاما من المنع.

*** صدر عدد تجريبى من جريدة الحزب الشيوعى الأردنى «الجماهير» الأسبوعية من ١٦ صفحة من الحجم المتوسط ،تضمن العدد جملة من المواضيع المحلية والعربية والدولية إضافة إلى الأبواب الثابتة.**

وهذه هى المرة الثانية التى تصدر فيها جريدة الحزب الشيوعى الأردنى بشكل علنى ،وكانت المرة الأولى فى ٣١ ديسمبر ١٩٥٦ ولكنها لم تستمر طويلا،فقد منعت من الصدور اعتبارا من العدد الثالث فى أوائل ١٩٥٧ واستمر حظرها حتى ١٥مارس الماضى ١٩٩٣ وتجدر الإشارة إلى أن جريدة «الجماهير»كانت تصدر بإسم «المقاومة الشعبية منذ ١٩٥١» وحتى عام ١٩٦٥ حيث صدرت لعام واحد باسم «التقدم» وعادت مرة أخرى إلى اسم الجماهير ومازالت.



الحزب الشيوعى اللبنانى يحذر من الحلول المنفردة

خلافات الحكم فى لبنان.. شخصية وطائفية

ناقش المكتب السياسى للحزب الشيوعى اللبنانى التطورات السياسية العامة وتوصل بشأنها إلى الآتى:

تجتاز المنطقة العربية مرحلة فى غاية الخطورة،حيث يتضاعف التآمر الأمريكى والإسرائيلى على القضايا العربية، دون أن يلقى المواجهة الضرورية من قبل الأنظمة العربية بما يجعل **المفاوضات العربية- الإسرائيلية مجال ابتزاز مستمر للموقف العربى وأداة فرض تنازلات جذرية على حساب الأرض والثروات والحقوق العربية.**

لقد عززت جولة وزير الخارجية الأمريكى **وارن كريستوفر** هذا المسار، حيث سبقتها صفقة أمريكية- إسرائيلية لفك الحصار عن الموقف الإسرائيلى بسبب إقدام اسرائيل على اقتلاع وإبعاد حوالى ٤٠٠ فلسطينيا من أرضهم وعائلاتهم.كما أن الإدارة الأمريكية الجديدة التى كانت تعطى انطباعا بأنها لاتضع أزمة الشرق الأوسط فى مقدمة أولوياتها ،انتقلت بالدور الأمريكى خطوة أساسية جديدة باتجاه الانحياز الكامل لإسرائيل حين تولت الضغط على الطرف العربى للمشاركة بالمفاوضات دون حل لمشكلة المبعدين، مستفيدة من الثغرات الخطيرة فى الموقف العربى ومعززة رجحان نسبة القوى بكشل حاسم لمصلحتها ولمصلحة اسرائيل فى هذه المفاوضات الخطيرة بشروطها وبظروفها وباستهدافاتها.

إن الحزب الشيوعى اللبنانى الذى كان يحذر من نتيجة المفاوضات فى ظل نسبة القوى الراهنة.

يحدد اليوم دق ناقوس الخطر حول نتائجها المتوقعة بسعى وضغط أمريكى واسرائيلى.

- إنه يحذر من تجزئة القضية إلى صفقات منفردة.

- إنه يحذر من التهاون بحقوق الشعب الفلسطينى وحقه فى العودة وتقرير المصير وإقامة دولته الوطنية المستقلة على أرض وطنه بقيادة ممثله الشرعى والوحيد منظمة التحرير الفلسطينية.

- إنه يحذر من التخلى عن الأرض والسيادة والثروات على كل أنواعها والتى هى ملك للأمة العربية وليست برسم النهب من قبل الاحتكارات الامبريالية والأطماع الصهيونية.

إن الحزب الشيوعى اللبنانى يحمل الأطراف العربية المسؤولية الكاملة عن أى نوع من أنواع التفريط،مطالبا بتدارك ماهو ممكن عبر تضامن عربى قائم على التمسك بالحقوق،يصبح دونه المضى فى المفاوضات ضربا » من الانتحار،وعبر الاستماع إلى صوت القوى الداعية للمواجهة،عبر عمل منابر شعبى ورسمى،وعبر تطوير العمل المقاوم بشكل موحد ومتصاعد ومتسع على امتداد الجبهات العربية.

إن القوى الوطنية العربية مطالبة من موقع المسؤولية بتفعيل دورها فى هذه المرحلة الخطيرة،من خلال عمل مبادر ومنسق وشجاع لأخذ مكانها المطلوب فى هذه المواجهة المصيرية .

ولقد عالج المكتب السياسى الأوضاع اللبنانية فى ضوء ذلك متوقفا » بقلق عند **بعض الإشارات التى صدرت عن مسؤولين حكوميين بالاستعداد لعقد اتفاق منفرد مع اسرائيل فى حال إبداء استعدادها للانسحاب من** لبنان.إن ذلك هو الوقوع فى الفخ الإسرائيلى بعينه،خصوصا إذا لاحظنا أن الطرف الرسمى

اللبناني لم يطرح موضوع تنفيذ القرار ٤٢٥ أثناء زيارة وزير الخارجية الأمريكي إلى لبنان،كذلك إذا لاحظنا ترافق ذلك مع حملة أمريكية واسرئيلية على المقاومة الهدف منها إثارة فتنة داخلية في لبنان وتجريده من أحد أهم مصادر ضغطه على العدو.**إن المقاومة بكافة تسمياتها وأشكالها العسكرى منها وغير العسكرى،الشعبى والرسمى،هى السبيل الذى لا بد منه للضغط على العدو.**

وهناك فرق جوهرى بين التخلص من المقاومة كمقدمة للتفريط والاستسلام،وبين التخلص من بعض ثغرات المقاومة المسلحة التى ينبغى تداركها بالحوار والتفاهم.

وتوقف المكتب السياسى مطولا « عند الوضع اللبنانى.وهو يعبر عن القلق بشأن المسار الذى مازال يتخذه فى الجملة وفى الكثير من التفاصيل.

إن السمة العامة لهذا الوضع قد اتصفت بالعجز عن معالجة الملفات السياسية والاقتصادية والانمائية والاجتماعية الأساسية،مما طبع تطبيق اتفاق الطائف بطابع سلبى،ومما استبعد المعالجات السلمية المفضية به إلى تشكيل محطة انتقالية ما بين لبنان المستباح ولبنان السيد،وما بين لبنان الطائفى ولبنان غير الطائفى،وما بين لبنان المزرعة ولبنان الدولة الحديثة،وما بين لبنان الضعيف وذى التركيب الداخلى الملغوم،ولبنان المحصن بإرادة العيش المشترك والمساواة بين أبنائه دون نزاعات خطيرة وحروب موسمية وأزمات كيانية وقد انعكس ذلك سلبيا على موضوع السيادة وعلى موضوع العلاقات اللبنانية السورية التى يجب تصويبها فى خدمة البلدين الشقيقتين وعلى قدم المساواة.

وفى الوضع السياسى الداخلى لم يحصل أى تقدم لجهة تكوين فريق عمل سياسى فى الحكم وخارجه يتولى تحمل المسئولية وتوليد الثقة بلبنان كوطن يخرج من الحرب ويعالج أسبابها وبعض الانفتاح على أوساط فى المعارضة الذى مارسه رئيس الحكومة لايمكن أن يشكل بديلا عن مصالحة وطنية حقيقية تستنهض العامل اللبنانى فى المعادلة المؤثرة بأوضاع لبنان وعلى أساس برنامج موثوق من شأنه أن يشكل حجر الزاوية فى العملية السياسية التى يراد منها العبور الحقيقى إلى الجمهورية الثانية: جمهورية المساواة والسيادة والوحدة والتحرير والعدالة والعروبة والديمقراطية.

وعلى هذه القاعدة تأخذ خلافات أهل الحكم منحى شخصيا «وأحيانا وطائفيا غالبا» وبعيدا عن الهموم الوطنية فى معظم الحالات. وفى ذلك إساءة مابعدها إساءة لجدارة الحكم والمسؤولية فى هذه الظروف المصيرية،فضلا عن أثرها السلبى على طبيعة المعالجات متى وجدت،والتى تتسم غالبا بفتح الملفات دون إقفالها أو بالالتفاف حول المشاكل دون معالجتها. **والحكومة الحريرية التى قدمت نفسها باعتبارها حكومة إعادة الإعمار والبناء،تتراجع عاجزة عن تقديم رؤية شاملة لدور لبنان ولمستقبله الاقتصادى وعن وضع خطة تنمية متوازنة وعادلة،مغطية ذلك بالوعود وبالكلام الكبير عن المشاريع والتحديث،وبتجديد المهل، وليس فى جعبتها إلا سياسة القروض المرهقة والا سياسة إفقار المواطن بمزيد من الضرائب،والا سياسةتمكين القطاع الخاص من امتصاص ماتبقى من عافية الوطن وحقوق المواطن لمصلحة حفنة من المستثمرين الذين هم أشبه بأغنياء الحرب يستغلون مأسى الناس فيها كما فى موضوع الشركة العقارية وبعض المشاريع الشبيهة.. ونتساءل مع المتسائلين فى هذا الصدد،ماهى الحكمة من هذا النشاط غير العادى الذى يقوم به رئيسها فى شراء كل شيء فى شتى الحقول وفى شتى المناطق،وأين هو الحد الفاصل فى شخص الرئيس رفيق الحريرى بين كونه رئيسا للحكومة وكونه رجل أعمال واستثمارات خيالية..** ويضاعف من خطورة هذا المسار تلك الحملة التى ينظمها بعض أعضاء الحكومة ضد الحريات النقابية فى نطاق حملة أوسع لإخضاع وتجويع المنابر الإعلامية أو شرائها بالجملة والمفرق،وكأنه الأسلوب الأمثل لتفادى معركة خاسرة سلفا،مع اللبنانيين في موضوع الحريات والديموقراطية عبر إخضاع الحرية لسوق المال والأعمال وكأنها سلعة لاقيمة إنسانية وحضارية مرادفة لوجود لبنان ولبقائه. **ومن عجب أن يتطوع بعض من كانوا فى صفوف العمل الوطنى والقوى الوطنية لخوض أشرس معركة ضد الحريات وضد حقوق المواطنين وضد النقابات والمطالب النقابية العمالية والتعليمية.** وفى هذا السياق ينظر المكتب السياسى بقلق إلى العديد من التشريعات المرتجلة فى المجالات كافة ويحذر من أن يكون رفع الحصانة عن المرظفين مناسبة للاتيان بالأزلام والمحاسيب على حساب الكفاءة ونظافة الكف.

ومعركة التعيينات التى بدأت وتعثرت هى بمعزل عن الأسماء،من النوع الذى يعزز هذا القلق بسبب التجاذب الشخصى والطائفى والفئوى عموما.**إن الحزب يجدد دعمه للحركة المطلبية والنقابية ودعمه لمطالبها وحقها الديمقراطي فى التعبير من ضمن القانون «وبعيدا» عن القمع والترهيب.**

إن المكتب السياسى يحذر من هذا النهج المتعدد الجوانب الذي يسلكه الحكم والحكومة والذى يعتمد فى بعض أشكاله على التخدير بالوعود وفى بعضها الالتفاف على القضايا وتأجيلها وتمييعها،وفى بعضها الآخر الكلام الواثق دون سند،عن قدرية استمرار هذه الحكومة ورئيسها بمعزل عن النجاح والجدوى والفعالية.ولعل الحكومة تستفيد فى ذلك من غياب المعارضة الوطنية المتماسكة ومن تشتت أطرافها على مواقع ومواقف متنافرة تجعل أزمة المعارضة موازية لازمة الحكم.

إن البديل للمسار الحالى،هو مسار وطنى وديموقراطى بامتياز،وليست تلك البدائل المستهلكة والتى تخدم أصواتها الحكومة أكثر مما تضغط عليها،كذلك ليس هو البديل الطائفى المدمر مهما كان الاسم الذى يحمله. هذا البديل ينبغى أن يتبلور بشكل حازم ومثابر فى برنامج وطنى وديموقراطى انقاذى تحمله قوى وطنية وديموقراطية مؤمنة به وموثوقة بالإخلاص له وبمتابعته وقادرة من خلال الأعمال لا الأقوال على تشكيل محور استقطاب وطنى شامل يسهم فى تخفيف سلبيات الوضع الراهن بانتظار بلورة بديله المتكامل والشامل.والحزب الشيوعى يبدى استعداده الكامل للإسهام بدوره المطلوب فى هذه العملية التاريخية.

– توقف المكتب السياسى عند ذكرى الغزو الاسرائيلى للبنان عام ١٩٧٨ وذكرى استشهاد الشهيد الكبير مؤسس الحركة الوطنية اللبنانية وقائدها كمال جنبلاط وقرر المساهمة فى تنظيم وإنجاح النشاطات الضرورية فى هاتين المناسبتين.

فى ١٩٩٣/٣/١١

المكتب السياسى

للحزب الشيوعى اللبنانى

* حينما تحتفل إيران بالنيروز على الطريقة الكسروية *

اللعبة الأمريكية .. ودور آيات الله وصدام حسين و«جماعات الاسلام» السياسى

هل تواجه «مصر» خطر انقلاب عسكرى أصولى

فنتازيا القراءة فى سيناريو محتمل

«وقال أحمد بن فاتك: كنا بنهاوند مع الحلاج، وكان يوم النيروز، فسمعنا صوت البوق فقال الحلاج: أى شئ هذا. فقلت يوم النيروز. فتأوه وقال: متى تُنورز فقلت : متى تعنى. قال : يوم أصلب. فلما كان يوم صلبه بعد ثلاث عشرة سنه نظر إلى من رأس الجذع وقال: ياأحمد نُورزنا. فقلت: أيها الشيخ هل أتحفت. قال بلى. أتُحفتُ بالكشف واليقين، وأنا مما أتحفت به خجل غير أنى تعجلت الفرح».

الحسين بن منصور الحلاج- اخبار ومناجيات الحلاج- ص ٤٥- تحقيق ماسينيون- باريس ١٩٣٦م.

«ومن يجعل الضرغام بازا لصيده
تصيد، الضرغام فيما تصيدا».
أبو الطيب المتنبى.

د. عبد السلام نور الدين

يبدو أن الولايات المتحدة لاتخشى من أعدائها فى الشرق الوسط، ولكن الذعر ينتابها من اصدقائها الذين يصعدون تكنولوجيا وعسكريا بتدريبها ومنطق ذرائعيتها، فيحدثون اختلالا فى التوازن الاقليمى، مما يضطر الولايات المتحدة، أن تركب صعبا فتتدخل لاعادة التوازن الى آليته السابقة. وهذا يعنى أن على القطة أن تأكل بنيها على أن لا يفوح الطعام من فمها، وتعمل جاهدة أن تمضغ بملء اضراسها فى الوقت الذى تفوح منه الروائح من افواه غيرها. وبذا تضمن القوة الكبرى أن تصطاد دائما اكثر من ثلاثة عصافير بحجر واحد وفى ذات الوقت، وأن تدور مصانعها الحربية وأن تبيع خبراتها التقنية بأسعار باهظة، وأن تطعم أصدقاءها إلى درجة السمنة، وحين يحين موعد ذبحهم قربانا بهم لها تسمح فى تلك اللحظة لخصوم اصدقائها بالحركة والانقضاض على الحبيب العزيز، بفضل الضوء الاخضر الذى تشير به لتحطيم الآلة العسكرية والقوة البشرية التى قفزت تحت دعمها ورعايتها. وحينما يتأكد للوايات المتحدة أن التوازن الاقليمى قد عاد الى قواعده كما ينبغى، تتحمس مرة أخرى لاشعال الحرائق حول عدو الصديق، حفاظا على المظاهر الخارجية لأخلاقيات السياسة، ولتسويق بضاعتها فى دورة جديدة. وهكذا تضمن الولايات المتحدة دائما لمنشارها خشبا طازجا فى صعوده وهبوطه.

ويقدم الموال الايرانى مثالا مثيرا لجدل المنشار الامريكى. اذا لم يكن للولايات المتحدة فى الشرق الأوسط طوال سنوات الستين والنصف الأول من السبعين من هو أكثر قربا واخلاصا من شاه ايران، ولكن حينما نمت الآله العسكرية الايرانية واضحت قوة تكنولوجية كبرى بمفاعلاتها الست الذرية واضحى بمقدورها ان تتطور ذاتيا، سمحت الولايات المتحدة للمؤسسة الدينية الشيعية أن تنقض لتدمير الشاه ومؤسساته، صحيح أن العاصفة الشيعية التى هبت كالثور نمت وانبعثت من داخل ايران كقوة مضادة لثورة الشاه البيضاء ذات الهندسة الامريكية، **ولكن كان معظم آيات الله ومجلسهم الثورى وآلتهم الدعائية يقودونها من باريس ولندن والولايات المتحدة،** الى حين هروب الشاه الى حضن الاخيرة الذى ظنه رحيما فاعتذرت حتى عن استقباله تحرجا من تعكير صفو مزاج القادمين الجدد، **فألفى ملك الملوك طاووس العرش الساسانى** نفسه مشردا دوليا يطارده الخصم من بلد الى بلد، وتلاحقه شماته الشعوب ايان اتجه، ويتخلى عنه الولى الحميم فيلتقطه **أنور السادات** (كى يقال عظيم القدر مقصود). وتكفلت المؤسسة الشيعية الاثنى عشريه فى ايران فى عشيه انتصارها الساحق على الشاه **بتحطيم نصف آلته التقنية المتمثلة فى القوة البشرية من ايد ماهره، وعقول منظمة، ونسق عقلانى فى التفكير والتنفيذ،** ثم انطلقت فجاءة طائرات صدام **حسين** لتدمير النصف الثانى فى اشاره غزل فاضحة مع الولايات المتحدة للقضاء على القوة التقنيه،

والترسانة العسكرية الايرانية ولاطلاق الرهائن فى غاره تصورها خاطفة لساعات فامتدت لثمان سنوات حسوما، **أشتد فيها- للمفارقه- ساعد صدام الحربى وإبعتى قاعده للاقلاع التكنولوجى.** كاد **الخمينى أن يتجرع السم كما قد اذاع ولكنه فضل أن يعلن بعراجيديه الوجدان الشيعى-** الذى تدرب على ادخار الحزن وتنميته، منذ نكبة كربلاء- الإذعان لقرار الامم المتحدة الذى سبق أن رفضه بعناد مرات عديدة وذلك لانقاذ مايمكن انقاذه من آلة وتقنيه ايران العسكرية التى يعود الفضل فى بنائها الى الشاه. تحولت الدولة الشيعية فى ايران فى نظر صدام حسين ومؤيديه السنيين اثناء الحرب العربية الى فارسية مجوسية. خيل لصدام فى اوج انتصاره أنه قد صعد الى مقام الصحابة الاجلاء وعلى رأسهم **سعد بن ابى وقاص** الذين اقتلعوا اوتاد **ايوان كسرى**، كما ارتقى بنفسه وعلى اقلام بعض المؤرخين والشعراء الى مرتبه **حمورابى، وأشوربانيبال.**

انقسمت الشعوب الاسلامية على المستوى الطائفى إزاء الحرب الدائرة الى **سنيه مع أبى بكر وعمر وعثمان**، مع القادسية الأولى والثانية، وأخرى شيعية مع ايران التى تحاول ان تحقق ماعجز عنه فى التاريخ علىّ وبنوه بأثر رجعى تحت قياده نائب الاسلام الغائب صاحب ولايه الفقية سليل الهاشميين فى قم وشيراز، ومشهد الذين لايحسنون نطق لغة القرآن الا لدى تلاوة القرآن نفسه.

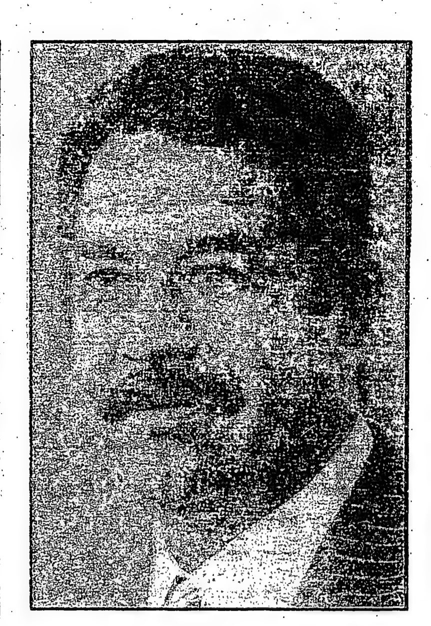
أليس من اكرويات السياسة ومفارقات التاريخ العربى أن يقال: أن دمشق **الأمية** قد وقفت مع فارس حين اشهر **عباسيوا بغداد** سيوفهم فى وجهها ؟

انها دون شك احدى المفارقات التى كان لابد لها أن تنبثق من عبثية حرب الجيران والاشقاء خضوعا لجدل منشار الأباعد الاعداء الذين ارادوا إعادة التوازن الذى اختل بالتفوق التكنولوجى والعسكرى لايران ، وكانت العراق الوسيلة والاداة والتكملة المنطقية لما بدأه **الخمينى** نفسه حينما هدم **مابناه الشاه** ثم سار على طريقه الدموى مع فارق بسيط أن الشاه كان يقضى على خصومه دون رحمة بجهاز حديث، أما الخمينى فكان يفتك بنفس الخصوم بهمجية بدائية، وكان كلاهما شيعيا آثنا عشريا يستمد سلطانه من الامام الغائب، أما الخمينى فقد صدقه الناس، ولكن الشاه لم يحفل بمرجعيته أحد سيما حينما تقمص حركة ذيل الطاووس غدوا ورواحا.

ان الذى حدث بعد نهايه الحرب، وانتصار السنيين على الشيعه، والعرب على الفرس، قد فاجأ جميع الذين يلتفون حول مائدة صدام الحافلة، اولئك الذين يلعبون، والذين يقفون من خلفهم، والذين يقومون بتمويل اللاعبين على المائدة، والذين يقومون بالخدمة، والذين ينتظرون نهايه اللعبة لينالوا حظهم من إحسان مايجود به المنتصرون، إذ فاجأهم صدام ليس فقط بالاستيلاء على كل ماحوته المائدة الخضراء بعد قلبها فى وجوههم ولكنه شرع فى تجريدهم ليس فقط مما تحمله جيوبهم وحقائبهم، ولكنه قد أمرهم ايضا أن يتعروا تماما من ملابسهم، وأن يكتفوا من الغنيمة بان يعودوا ادراجهم من حيث اتوا حفاة عراة دون أن تصحبهم السلامة. **فقد تكشف لصدام الضرغام كما قد ابانت الحرب مع ايران انه لم يعد أن كان مخلبا للكويت والخليج والمملكة السعودية،** وليس بازا للولايات المتحدة فى المنطقة بالدرجة الأولى، اذا مازاد وهو البدوى الاصيل من تكريت ان كان مولى المواليا، فقرر ان يصطاد **الكويت** ويبتز الاخرين ثأرا لكبريائه، وطمعا فى ثرواتهم النفطية التى لا شك ستعجل بدفع بنائه التكنولوجى خطوات الى الامام ودعما وتمويلا لرؤوسه النووية التى لاتزال فى مهد الطفولة، وتتطلب عوائد مالية تفوق قدرات النفط العراقى. وحينما يختل

طابور أسرى عراقيين فى حرب الخليج





صدام حسين:.

مخلب للكويت والخليج والسعودية ضد إيران

التوازن الاقليمي كاملا لصالحه سيتبوأ بجداره مركز الصدر في قيادة الامة العربية، والشرق الأوسط الذى يشكو فراغا بتراجع الاتحاد السوفييتي، آنئذ لن تجد الولايات المتحدة مفرا من الاعتراف بنفوذه، وفضاءاته السياسية، ووجاهته الاقليمية، وستنتقل نظرات وابتسامات الغزل التى تبودلت بينهما اثناء حرب السنوات الثمانى الى سلام فكلام فموعد، فعناق. حينما علم سدنة صدام حسين الذين خلعوا عليه الالقاب وكالوا له المديح بالامس القريب واطلقوا عليه بطل

شاه ايران

امريكا تتخلى عن أصدقائها



البوابة الشرقية، ان الذى حسبوه بازْ يصطاد لهم اذا هو ضرغام يتشهى ان يبتلعهم لقمة سائغة. استنجدوا وانتظروا على احر من الجمر الولايات المتحدة التى هبت على عجل وكانها قرأت كل تفاصيل الشد والجذب بينهم فى سيناريو لوحها المحفوظ لتعيد التوازن فى تلك الفوضى **وتضع كل نفط المنطقة تحت وصايتها** عبر جدل منشارها المعروف الذى اطلقت طيه هذه المرة عملية عاصفة الصحراء.

وفوجئت اسرائيل وفى أوج أزمة الخليج وهى فى كامل استعدادها رقواها لأن تقوم بالمهمة التاريخية التى تنتظرها بفارغ الصبر بتوجيه ضربه صاعقة للعراق وقد سبق لها أن فجرت له مفاعلا ذريا فى ١٩٨١م، أن أوربا وامريكا بوجه خاص لايريدون منها أن تطل بوجهها على مسرح الأزمة وان تبقى مامكنها بحيث لايسمع بها او يراها احد. وعبر احد القادة الاسرائيليين الذين احسوا بفاجعة دونية الدولة العبرية ومهانتها **ان الولايات المتحدة تتصرف مع اسرائيل وكانها عشيقة قد أصيب وجهها بالبرص.**

اكتفت اسرائيل بان تتقاضى ١٢ مليارا من الدولارات كثمن لعدم تبرجها عارية فى مسرح العمليات الحربية تماما كمومس تبتز عشيقها بزوجته، تكتشف إسرائيل انها حتى اذا نجحت فى مقاومة البرص الذى انتشر فى وجهها اثناء حرب الخليج فان سوق جاذبيتها قد نفق، وأن الاصباغ لن تحيى لها شبابا وأن فرصتها الوحيدة الباقية ان تعثر على شيوخ فى طور مراهقتهم الثالثة فى بيت العجزة والمعوقين الذى ستحال اليه عما قريب فتغريهم بفتنتها التى ذبلت استرضاء لذاتها وتعلقا لكرامتها الجريحة. **إن عملية عاصفة الصحراء التى اعادت التوازن العسكرى فى الشرق الاوسط الى الدرجة التى يراها الغرب مناسبه قد قضت على تطلعات العراق الى زمن ليس بالقصير، ولكنها قضت ايضا على اسرائيل على المدى البعيد وعلى دورها التقليدى فى المنطقة،** وقد طرحت عاصفة الصحراء على دولة اسرائيل لاول مرة فى تاريخها سؤالا لايخلو من تجريح: **اذا ماهى الوظيفة التى ينبغى ان تقوم بها اسرائيل فى المنطقة اذا كان السادة الكبار اولياء امرها ونعمتها يأتون بانفسهم لترتيب اوضاعهم باسلوبهم الخاص فى الوقت الذى يطلبون منها ان تتوارى خلف الباب؟** وهكذا فإن المنشار الامريكى الذى مر صاعدا بالعراق قد عاد راجعا باسرائيل فتآكل **شامير** كالخشب المدروس لانه رفض التسوية والتى تعنى ان على اسرائيل تدبر أمرها على نفقتها الخاصة فى الايام القليلة القادمة.

صحيح أن **شامير** قد انهزم ظاهريا فى انتخابات عامة، فالصحيح ايضا ان تلك اول انتخابات تجرى بعد حرب الخليج تتدخل فيها الولايات المتحدة ، لاسقاط **شامير** الذى عجز عن رؤية مايحدث حوله والبرص الذى نشب فى كل اقطار جسمه.

بقى ايران التى ظنت ان خمود العراق يعضد بالضرورة ازدهار دورها فى المنطقة. واذا كانت العراق تبدو لها الان فى مقام عزيز قوم ذل وقد خرج نهائيا من المصارعة، فان الوقت قد آن لتشفى غليلها من **دول الخليج والسعودية ومصر**، الذين امدوا العراق بالدعم النفسى والسياسى والمالى اثناء حرب السنوات الثمانى، وقامت ايضا بدور الوسيط بين الولايات المتحدة والعراق لتعود الحياة الى مجاريها . لاشك أن ايران بحكمتها المعتقة لا تميل ان تظهر فى ثياب الحاقد الموتور الذى يتوثب للثأر والانتقام من السعودية ودول الخليج فى وضح النهار لذلك قدحت اعواد الثقاب التى تجيد اشعالها دون ان يلحظ احد حركة اصابعها ، فدفعت بالاصوليين الذين استقطبتهم بمهارة فائقة بحبال صحوتها، **وفكت ارتباطهم وتحالفهم التقليدى بالخليج والمملكة السعودية،** واستلحقتهم بها وباركت خطواتهم وقفزاتهم فى **السودان وتونس والجزائر** الى صدارة الحياة السياسية لتوجيه الضربات ولتكفير كل من يحول بينهم وانتزاع السلطة السياسية لانفسهم ولعزل السعودية بوجه خاص من محيطها السنى، واذا تسنى للاصوليين فى مصر- كما ترجو ايران- مجابهة اقدم دولة مركزية فى التاريخ فى عمليات شبه عسكرية بملابس مدنية لأمد طويل لالهائها فى معارك عبثية لامعنى لها سوى أن تفسح الطريق لانقلاب عسكرى داخل القوات المسلحة المصرية يطبخ على نار هادئة وبإتقان حرفى صبور، حتى اذا تحولت الانظار كلية لرؤية الدخان الكثيف الذى يفجره الفرسان القادمون من اقصى الريف، الذين يعلنون بجراءة لم تتوقعها الدولة المركزية أنهم على استعداد لمنازلتها فى شوارع المدن الكبرى وحواريها واسقاطها امام عينيها ، ودعموا اقوالهم بحماقات مبرمجه باحكام لتؤكد جسارتهم وتهورهم وجنوحهم واستعدادهم لحرق الاخضر واليابس، فيطلقون الرصاص بلا مبالاة على

السواح الاوربيين لإحداث أكبر قدر من الدوى، ويشدون الانتباه بمقتل مفكر استحوذ على اعجاب الناس بشجاعته وأطروحاته، ويوزعون قوائم الاغتيال التى تتضمن المشاهير من نجوم المجتمع فى الفن والرآى والفكر، ليدخلوا الذعر والفجيعة فى المجتمع المصرى المعروف بوجد انه المأساوى الملتهب. كل ذلك ليطبعوا بعناية فى خيال الرآى العام والسلطة المصرية ان الخطر الداهم يتمثل فى هؤلاء المتطرفين الجهاديين الذين تلقوا تدريبا عاليا على حرب المدن بعضه فى افغانستان وتدعمهم دولتهم فى السودان، وليس أمام المجتمع والدولة خيار سوى تجنيد كل الامكانيات والطاقات لمواجهه الخطر الاصولى المدنى، والاتجاة بالكامل الى حيث تنبعث النيران ..آنذاك يقفز الانقلاب العسكرى الاصولى من حيث لايتوقع احد، من الجبهة الآمنه القابعه فى الظل والطمأنينه، من القوات المسلحة، ومن مأمنه يوتى الحذر، حينها سيعلن الانقلابيون الاصوليون وبتعجلهم الذى لايفارقهم وبثقتهم المفرطة فى ارادتهم ومن التلفاز المصرى أن قد جاء نصر الله والفتح وانهم الآن قاب قوسين أو ادنى من الفوز الكبير الذى يتعزز يفتح مكه إنشاء الله. ساعتئذ سيغرق الجميع ليس فى مصر وحدها، ولكن من المحيط الى الخليج فى مستنقع الذعر الماحق. سيملن فى تلك اللحظات اولئك الذين. عزقوا للاصولين التربة واستوردوالها المخصبات ورفدوهم ببنوك القرض الحسن، والمضاربة والمرابحه والمشاركة أن من يزرع الشوك يجنى الجراح، وانك لاتجنى من الشوك العنب. لو قدر للانقلاب الاصولى المنتظر أنه ينجح عسكريا فى مصر فسيبرهن للايرانين عبر الوقائع انه مكر الامبراطورية الفارسية وخبرتها فى ادارة المآزق ودفع الخوف الآجل فى وجه الخصم العاجل فى اقنعة ناعمة لم تذهب سدى

ومن جانب اخر فان أى انقلاب ينفذه الاصوليون فى مصر سيبعث اسرائيل من القبر -الذى استوت عليه فى انتظاران يكمل الحاخام صلاة الجنازة لتموت رسميا - الى عالم الاحياء مرة اخرى ولدورها التقليدى فى الاستراتيجية الامريكية. ولن يترك الاسرائليون هذه السانحة الذهبية تفلت منهم حتى لايواجهون مرة أخرة ماساة العشيقة التى أصيبت بالبرص فجأة. لذلك فستنقض مباشرة دون انتظار أى اشارة من أى كاين. وفقا لما تمليه عليها. بنود معاهدة كامب ديفيد للقضاء على الانقلاب الاصولى ولحماية السنيين التقليديين فى مصر والجزيرة العربية من السنيين الجهاديين الذين فضلوا أن يدخلوا مع الشيعه الايرانيين فى سروال واحد. ذلك الانقضاض الاسرائيلى الشرس هو فى ذات الوقت عيد النيروز الفارسى الذى سيتقنع بعمائم الشيعة الاثنى عشرية، رافعا رايات وتارات الحسين لغسل عار هزيمتهم فى حرب صدام حسين.

لن يستطيع الخيال الايرانى وقتئذ أن يلاحق التداعيات التى ستنداح عن الانقلاب العسكرى الاصولى فى مصر والذى تضطر اسرائيل لإخماده، بهدم التنكولوجيا العسكرية والمدنيه التى بنتها مصر بدماء قلبها فى عشرين عاما، لو تم كل ذلك وفق السيناريو المطلوب سيكون العقل الايرانى الشيعى آنذاك قد حقق دهاءه المطلق بأن مزق العالم السنى كما لم يحلم به من قبل وكفى أن تتدخل اسرائيل لحمايه بعضهم من بعض عبر تدمير كل ماانجزوه منذ بداية الحرب الباردة ونهايتها.

وتكون المؤسسة الدينيبة فى ايران قد نجحت فى تسديد طعنة الى حلفائه الاصوليين مادامو من السنه الخصوم التاريخيين للشيعة الاثنى عشريه فى ايران الماضى والمستقبل. واذا كان الاصوليون قلبوا ظهر المجن للملكة العربية السعوديه التى اطعمتهم من جوع وآمنتهم من خوف طوال سنى الحرب الباردة فكيف تأمن ايران الشيعية ظهرهم اذا امتطوا صهوة الحكم. فليقتتل اذن السنيون السنيين جريا على الامثولة الاسرائيلية دع اليواقيم يقتلون اليواقيم اذا ليس ثمة يهود.

لوقدر لمشروع ايران ان يمضى قدما بنفس آلية جدل المنشار الامريكى الذى يفضل القضاء على الاصدقاء وخصوم الاصدقاء بذات الحركة التى يعلو ويهبط بها ستجد ايران نفسها تلقائيه تداعى الأشياء القوة الكبرى التى تتجه اليها انظار المسلمين فى مشارق الارض ومغاربها، وتلك هى اولى خطواتها فى استعادة الامبراطورية الفارسية فى مطلع القرن الحادى والعشرين.

يبدوا أن الولايات المتحدة لن يسعدها كثيرا ان يتولى غيرها منشارها وهى على قيد الحياة لتحقيق مآرب ليس جزءا من سيناريو لوحها المحفوظ. فاحتاطت للامر حينما توجست شرا من كل مايدور فى الشرق الاوسط، فدفعت بقواتها البحرية الى شواطئ شرق افريقيا التى تطل مباشرة على مضيق هرمز فى بحر العرب وباب المندب على البحر الاحمر، وان كان يسعدها ان يتولى الايرانيون جز عنق الاصوليين بمنشار صنع خصيصا فى اسرائيل خارج الملاعب المصرية على الرغم أن التفوق التكنولجى المصرى أضحى يسبب قلقا لايمكن تجاهله مع بداية العد التنازلى لدولة اسرائيل.

الخمينى.. تدمير الآلة العسكرية الايرانية..

اسرائيل تنتظر الفرصة لتستعيد دورها فى الاستراتيجية الامريكية بالمنطقة

شامير.. تدخلت أمريكا لاسقاطه





انفجار نيويورك

من المسؤول؟.. من المستفيد؟

سمير كرم

رسالة واشنطن

فى عالم ينتشر فيه العنف الدموى بأشكاله ودرجاته وأسبابه المختلفة،قد تبدو إضافة عملية تفجير شحنة كبيرة فى مكان ماتؤدى إلى قتل خمسة أو ستة أشخاص وإصابة عدة «مئات » إضافة لا تغير الصورة الكلية كثيرا..أو ربما لاتغيرها على الإطلاق.انفجار بين انفجارات لا حصر لها.عدة قتلى بين آلاف القتلى في ميادين كثيرة فى أنحاء العالم.مئات من الجرحى في عالم يتساقط فيه الجرحى بالمئات كل يوم من الشرق الأوسط إلي أوروبا والشرق الأقصى ونصف الكرة الغربى.إنه النمط العادى للحياة فى عالم اليوم.

لكن لا. الأمر يبدو على هذا النحو من زاوية الرؤية الأمريكية.من هنا ، من واشنطن أو من نيويورك أو من أى مدينة أمريكية كبيرة أو صغيرة.بالنسبة للأمريكيين لايمكن أن يبدو لهم الانفجار فى أسفل مركز التجارة العالمية.حدثا يمكن إلحاقه بالنمط السائد فى العالم.

أنه خارج النمط تماما.إنه شىء غير عادى بكل المقاييس والمعايير.

هذا الانفجار غير عادي في موقعه.توقيته.نتائجه. حجمه.مداه. غير عادى أيضا فى الجانب المتعلق بدوافعه.من يعرف دوافع هذه العملية؟

حتى الآن-وعلي الرغم من توجيه الاتهامات أو الشبهات فى اتجاه معين- لأحد يعرف على وجه التحديد ماذا كان الدافع إلي هذا العمل..ولا حتى الطبيعة العامة للدافع.هل هو إنتقام لعمل آخر سبقه؟هل تم بدافع عقائدى.سياسى.دينى.قومى.أو وطنى أو عرقى أو طائفى..؟

إنه حدث يفجر-إذن -من التساؤلات أكثر ممايعطى بيانات كما هو الحال فى مثل هذا النوع من العمليات..أيا كان الذين قاموا به.

لكن ثمة أشياء مؤكدة.

لقد ثبت أن ماحدث فى يوم الجمعة،فى نيويورك كان من فعل فاعل..أي لم يكن مجرد قضاء وقدر،أو شرارة خطأ من التعقيدات التكنولوجية..لهذا فإنى أكاد أقول بتأكيد مابعده تأكيد أن ذلك الفاعل لم يكن يدرى أنه اقتحم بقنبلته « قدس الأقداس» فى أمريكا بصرف النظر عن الخسائر البشرية والمادية- التى كان يمكن أن تكون أفدح بكثير مماحدث- فإن هناك خسارة معنوية عصبية وذهنية ألمت بنيويورك والأمريكيين،وتضغط الآن وستظل لوقت طويل على أعصابهم .

أما لماذا«قدس الأقداس»-إذا جاز التعبير- فلأن «الانفجار» قد وقع فى دائرة تقع داخل دائرة داخل دائرة ثالثة..ورابعة،كل منها تفضى إلى أخرى أصغر لكنها أهم.

نيويورك هى الدائرة الأولى الواسعة..بل الهائلة بكل المعانى.ونيويورك المدينة هى فى نظر أهلها، وكل الأمريكيين وراءهم، هى «سياحة العالم».. قد يقال عن باريس أو لندن أو طوكيو أو برلين- وحتى موسكو- أنها «عواصم عالمية» لاعتبارات اقتصادية أو سياسية أو سكانية أو ثقافية أو فنية.. لكنهم- الأمريكيون- يعتبرون نيويورك «عاصمة العالم» وإن لم تكن عاصمتهم الرسمية. البيت الأبيض ليس هناك. ولا السى. آى. أيه. ولا البنتاجون.. لكن ما أهمية أى من هذه المؤسسات أمام بورصة الأورق المالية.. ومركز التجارة العالمية ومتحف «المتروبوليتان» .وأوسع شبكة لخطوط مترو الانفاق فى العالم. وأكبر البنوك والمصارف وشركات التأمين. فأضخم عدد من مقار الشركات المالية والصناعية وشركات التأمين. وأكبر عدد من دور النشر. وأشهر صحيفة فى العالم - هكذا يسمون «نيويورك تايمز»- و«تمثال الحرية». وأكبر جالية يهودية فى العالم- أكبر من تعداد سكان الدولة اليهودية نفسها، ومقار أضخم وأشهر شبكات التليفزيون فى العالم.. بالاضافة إلى مقر الأمم المتحدة.

يعتقد سكان نيويورك أنهم يحتضنون المجد من أطرافه.. بينما يعرفون جيدا أن الزائر لنيويورك ينتابه الفزع من أمريكا كلها اذا كانت هى مدخله إلى أمريكا.. قبل أن يصبح الفزع جزءا من حياته اليومية فى هذه المدينة المتعجلة المادية الباهرة القدرة الفاخرة الممتدة فى عنان السماء الغارقة فى باطن الأرض.. الحبلى بكل تناقضات البلد الذى تمثله.. أو- ربما- يمثلها.

ولاغرابة أذن أن يكون حى«وول ستريت» حيث «البورصة» قد أصبح أضخم مؤسسة من حيث عدد الذين يعملون فيه. أكثر من ٦٥ ألف شخص آخذون بالزيادة ويقترب عددهم من عدد الذين يوظفهم «البنتاجون» فى مؤسسته الضخمة وهؤلاء - على العكس- آخذون فى التناقص. ولهذا فالوقت غير بعيد حين سيتخطى «وول ستريت» البنتاجون فى ضخامته وأهميته.

مع ذلك تملك نيويورك أسوأ «بلدية» تحكم مدينة ليس فى أمريكا بل فى العالم. والنيويوركيون لاينكرون ذلك. الفساد والفوضى والجريمة وقدر غير قليل من الانحلال العام- المادى والروحى- جعل المدينة متفجرة بالتناقض.. أوصلها فى بعض الأوقات إلى

ثراء لانظير له ، وهبط بها فى أوقات أخرى إلى نقطة الافلاس. الصراعات العرقية داخلها تجعلها البلقان الخاصة بالقارة الأمريكية. اليهود والسود. السود واللاتينيون. الآسيويون والبيض. الكوريون ضد بعضهم ، الروس ينافسون المافيا. وحدهم الأغنياء والفقراء لم يكتشف الواحد منهم الآخر. كل فى عالمه داخل دائرة نيويورك الواسعة.

وتقع «جنة الأثرياء» فى الدائرة الثانية من «قدس الأقداس» الذى أصابته قنبلة «جمجمة نيويورك الحزينة». هى حى مانهاتان. وهذا الحى هو «المدينة» فى نيويورك. فهو يزودهم بالنشاطات المالية والتجارية والفنية أكثر مما تزدحم بها أى مدينة ، بل أى بقعة على ظهر الأرض.

والدائرة الثالثة التى يفضى اليها «مانهاتان». هى «وول ستريت»، الحى الصغير داخل «الجيتو الذهبى» حيث يتركز الذهب كله، ملوك نيويورك الحقيقيون هم أمراء مانهاتان، وهؤلاء فى «وول ستريت» هم الذين يملكون ناطحات السحاب التى تؤجر فيها مساحات غرف المكاتب بالقدم المربع.. القدم المربع الواحد يساوى مئات الآلاف من الدولارات تأجيرا.. عشرات الملايين شراء.

وعندما ندخل الدائرة الرابعة نكون قد وصلنا إلى نهاية المرحلة. نكون قد أصبحنا داخل «قوس الأقداس». البنايتان الشاهقتان الأعلى فى مانهاتان- نيويورك- أمريكا- العالم. هنا تجمع كهنة رأس المال الأمريكى وقساوسته من كل المراتب. برجان توأمان يطلان على نيويورك بغطرسة لا تتفق مع قبح منظرهما الهندسى الفارغ. متساويان فى عدد الطوابق، ١١٠ طوابق لكل منها . فى الارتفاع ١٣٦٨ قدما. ثلاثة أمثال ارتفاع الهرم الأكبر. ولابد أن تحدى الهرم الأكبر كان ماثلا فى ذهن المهندس المعمارى الذى صمم «مركز التجارة العالمية». من حيث الحجم بالتأكيد، لكن أيضا من حيث المغزى. أنه رمز خلود النظام . معبده. لكن التحدى بأى معنى آخر جمالى أو هندسى لم يخطر بباله عندما تم بناء هذا الصرح التجارى الهائل الذى لم يلبث أن أصبح جزءا من حياة نيويورك والأمريكيين .. بنوع من الألفة والاعتبار. الآن هو أحد رموز أمريكا الأساسية.

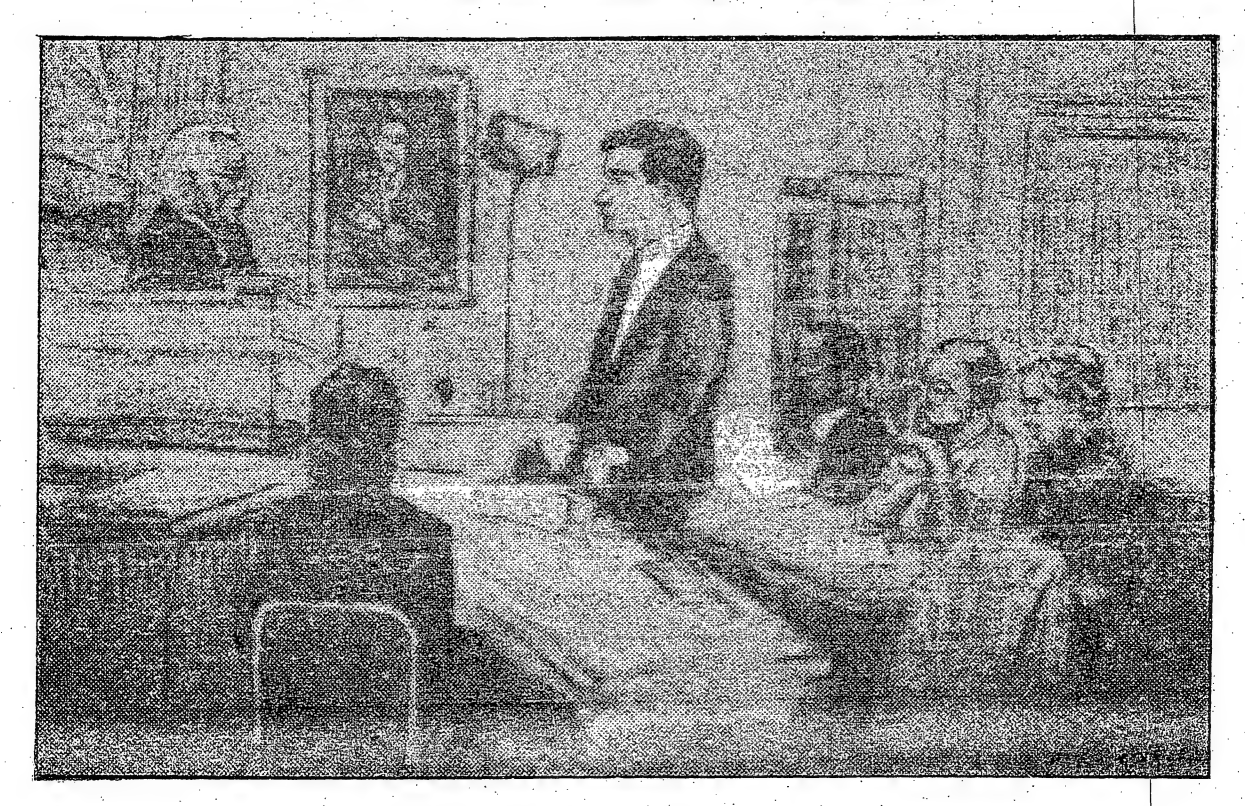
لهذا كان وقع الانفجار أسفلة على الأمريكيين جميعا. لهذا كان الشعور بأن يدا سوداء أثبتت أنها قادرة على أن تصل إلى هذا الركن المقدس فى معبد المال والمادة.. تستطيع بعد هذا أن تصل إلى أى مكان.

كل هذا دون أن يثبت بالفعل أن ثمة منظمة ارهابية وراء هذا الحادث وبدأوا يقولون أن ماحدث فى مركز التجارة العالمية فى نيويورك ينذر بحقبة «حرائق كبرى» كالتى اجتاحت نيويورك فى العشرينات من هذا القرن. أن الشبه كبير بين ذلك الانفجار وانفجار قضى عليه ٧٣ عاما وقع فى حى «وول ستريت» يوم ١٦ أيلول (سبتمبر) ١٩٢٠.. أدى إلى مقتل ٣٠ شخصا وإصابة أكثر من ١٠٠ شخص والى خسائر مادية قدرت بمليونى دولار:

بدأت عجلة التحقيقات الاتحادية والمحلية بكافة الأجهزة تدور فى اليوم التالى للانفجار . شكل الرئيس الأمريكى كلنتون «غرفة عمليات» فى البيت الأبيض خاصة بانفجار نيويورك مهمتها جمع المعلومات إلى أدق التفصيلات للمساهمة فى حل اللغز المعقد.

فى اليوم الخامس بعد الانفجار كان المحققون الذين ركزوا جهودهم على موقع

من اليمين الفهرونى وسط محاميه وران(إلى يمينه) والمترجم (إلى يسارة) فى المحكمة..



الانفجار نفسه قد توصلوا إلى عدد من الاستنتاجات العامة:

* هذا العمل نتج عن تخطيط دقيق «ومحترف» استمر لفترة طويلة.. ربما لعدة أشهر. وربما أكثر.

* هذا الانفجار يعكس نمط عمليات استخدمت في السابق في أماكن عديدة: في الشرق الأوسط. في كولومبيا. وفي بيرو.

* أن هناك مايدعو للاعتقاد- وإن لم يكن للجزم- بأن المسؤول عن حمل شحنة المتفجرات الى المكان الذى انفجرت فيه لابد أن يكون على معرفة دقيقة للغاية بأهمية هذا الموقع، على بعد طابقين تحت الأرض، قريبا الى حد التماس مع أهم مرافق البناية العملاقة، وعلى قرب مؤثر من محطة مترو الانفاق أسفلها مباشرة. لقد اختار المسؤول عن هذا العمل أكثر النقاط التى تضمن أفدح تأثير ممكن للانفجار.

أما المحققون الذين يتركز عملهم بعيدا عن موقع الانفجار نفسه.. مادته، طبيعته، أسلوبه، فإنهم غاصوا جميعا في كم هائل من المعلومات السرية والمكالمات الهاتفية المسجلة التى جرت بين الولايات المتحدة وعدد من بلدان الشرق الأوسط وأمريكا اللاتينية. فوكالة الدفاع القومي- حتى في الظروف العادية- تسجل كل المكالمات الذاهبة والآتية بين الولايات المتحدة والعالم الخارجي.. وهذه هي الظروف التى تستعيدها فيها بحثا عن خيط مهما كان رفيعا.

لكنه من قبل أن يتوصل التحقيق إلى أى خيط محدد كان «الخبراء» يقدمون تفسيراتهم. وكل يغنى أغنيته الخاصة. لكن لان خبراء الشرق الأوسط في موضوع الارهاب هم الفئة المؤسسة لمن يسمون بخبراء الارهاب، فان معظم أصابعهم أشارت في ذلك الاتجاه. ووردت كل الأسماء المحتملة على القائمة: العراق . ايران. ليبيا. والمنظمات الفلسطينية . المتطرفون الاسلاميون. وكان بين ماقاله الخبراء أن ثمة مغزى لوقوع الانفجار في «ساعة الظهيرة من يوم أول جمعة في شهر رمضان». وقال آخرون أنه لابد من ملاحظة أوجه الشبه الكبيرة بين هذا الانفجار وعملية تفجير سيارة نسفت مبنى السفارة الاسرائيلية في عاصمة الأرجنتين في العام الماضي وادت إلى مصرع عشرات.. ولايزال الفاعل أو الفاعلون مجهولين حتى الآن.

ولأن أيا من «المنظمات الارهابية» المعروفة لم تعلن مسئوليتها فإن حيرة السلطات الأمريكية بدت مضاعفة.. خاصة في ضوء حدوث الانفجار بعد وقت قصير من حادثة اطلاق النار على سيارات رجال وكالة المخابرات المركزية داخل سياراتهم وهم يقتربون من بوابة الوكالة.. مما أدى إلى قتل اثنين منهما واصابة عدد آخر.. وتبين أن القاتل أو المشتبه في أنه القاتل قد أفلت، عائدا الى وطنه باكستان.

لقد أحدث الانفجار زلزالا واسعا مركزه الجهاز العصبي للنخبة الأمريكية . نخبة السلطة ونخبة المال ونخبة الاعلام. وعندما قال ماريو كومو حاكم ولاية نيويورك أن هذا الانفجار يمثل «مشكلة جديدة» لم يجد أحد صعوبة في أن يدرك مايعنيه كومو. وهو أن أمريكا لاتألف تحول مدنها إلى مسرح لأعمال من هذا النوع. وهو المعنى نفسه الذى عبر عنه مدير الـ «إف. بى. آى» وليام سيشانز في قوله «من الواضح أننا لم نستطع تجنبه . لم نستطيع تفادى وقوع هذا العمل.. وهذه المأساة. لو أننا عرفنا أن شيئا من هذا القبيل كان يدبر لكان من المؤكد أن نتفادى حدوثه».

وفى تلك الأثناء ستعلو اصوات أصحاب المصالح وأصحاب الآراء المختلفة لاستغلال الحدث. فتح الطريق للجميع قبل أيام قليلة الجنرال برنت سكوكروفت مستشار الأمن القومي للرئيس السابق بوش بتصريح قال فيه « ينبغى أن يعيد الرئيس كلنتون النظر في برنامجه لخفض الميزانية العسكرية». وأضاف اذا كان الانفجار قد نتج عن قنبلة فان هذا سيؤدى إلى إدخال الفكرة في أذهان أناس كثيرين إن عملا واحدا يحفز على أعمال كثيرة مماثلة.»

ووردت وراء مجموعة من المنشدين من «خبراء الارهاب» الأمريكيين: اذا تبين أن هذا فعل ارهابى فان الانفجار في مركز التجارة العالمية سيكون أضخم هجوم ارهابي في تاريخ الولايات المتحدة كله. وأصبحت الرسالة التى تتردد على مسامع الأمريكيين أكثر من اى رسالة أخرى- أن الرعب قد وصل الى الشواطئ التى لم تستطع الوصول اليها قنابل الأعداء في حربين عالميتين . فهل هى عملية واحدة وانتهى أمرها.. أم انها بداية لسلسلة طويلة من العمليات لانعرف متى تنتهى وكيف. لم تعد أمريكا حصنا حصينا كما كانت في وجه الارهاب الخارجي.

عبرت عن هذا الحال إحدى المؤسسات المخابراتية الخاصة (وهى كثيرة) والتى تقدم خدمات تتعلق بتقدير المخاطر لرجال الأعمال وغيرهم من نخبة المجتمع، قالت **«أن هذه العملية عالمية من الطراز الأول وقد حطمت أسطورة أمريكا المحصنة. وفى غياب متهمين يلقى القبض عليهم في هذه العملية** فإن وقوع هجمات بالطريقة نفسها تكون نسخا من ذلك الهجوم أو هجمات لاحقة من جانب المجموعة المسئولة عن الانفجار قد يحدث خلال وقت قصير». من هنا وعدت الجهات الرسمية بأنها ستطبق على الفاعل بأسرع مايتصور الجميع.

فى اليوم السابع كان الفرح الأكبر لمكتب التحقيقات الفيدرالى (إف. بى. آى) لقد أمكن العثور على قطعة من السيارة التى حملت شحنة المتفجرات إلى داخل جراج التجارة العالمية ، وعليها الرقم الدال على مصدرها.. وظهر **محمد سلامه** في الصورة باعتباره الرجل الذى استأجر باسمه هذه السيارة ، وهى سيارة نقل صغيرة مما يستأجره الأمريكيون لينقلوا أثاثهم بأنفسهم.

محمد سلامه. من هو؟ في البداية قيل أنه مصرى. ثم قالوا أنه من مصر.. قبل أن نتبين بشكل نهائى أنه فلسطيني يحمل جواز مرور من مصر.. قبل أن نتبين بشكل نهائي أنه فلسطيني المولد أردني الجنسية وقبل أن تعلن السلطات الأردنية أنه بالفعل فلسطيني يحمل جواز سفر أردني. ويظهر بعد ذلك أن سبب الشك والتردد في معرفة انتماء **محمد سلامة** أن المحققين اهتموا بمعرفة علاقته **بالشيخ عمر عبد الرحمن**. فهو يتردد على المسجد الذى يخطب فيه الشيخ المصرى. وتبين أيضا أنه يرتبط بعلاقة بمصرى آخر هو **السيد نصير** الذى كان قد أتهم باغتيال الارهابي الاسرائيلى مائير كاهانا في نيويورك ، وحكم ببراءته من هذه التهمة وحكم عليه بالسجن بتهمة استخدام سلاح دون

دوائر أنصار اسرائيل وجدت في «الانفجار» هدية هبطت من السماء لتعزيز أساليب إسرائيل ضد الفلسطينيين ووضع قضية المبعدين «على الرف»

ترخيص ولايزال فى السجن.

ومع القبض على سلامة، الذى أفضى بعد ذلك إلى القبض على فلسطينى آخر هو المهندس الكيميائى **نضال عياد** الذى تربطه علاقات مماثلة مع الجماعة الاسلامية التى تحيط بالشيخ **عمر عبد الرحمن** وقع الانفجار الثانى.. السياسى .

لم يكن أحد قد سمع باسم محمد **سلامه**.. لم تكن السلطات الأمريكية قد ألقت القبض عليه، ولا كان يخطر ببالها أبدا أنها ستتوصل الى خيط يمتد من موقع الانفجار فى مركز التجارة العالمية بأى اتجاه حين تبنت الصحافة اليهودية الأمريكية- فى مركزها الرئيس فى نيويورك- موقف اتهام «الارهاب الشرق أوسطى»..

وإلى هذا الحد فإن الأمر مفهوم.. فلم يكن اليهود وحدهم ولا صحافتهم وحدها التى تبنت هذا «الاتهام» كثيرون أصبحوا «مبرمجين» ذهنيا على الربط المباشر بين حوادث الارهاب والشرق الأوسط. العلاقة بين جولات الارهاب وهذه المنطقة علاقة شرطية، يذكر أحدهما فيتداعى الآخر للذهن مباشرة.

لكن الصحافة اليهودية الأمريكية أخذت الأمور باتجاه وإلى مدى أبعد كثيرا من مجرد «التسليم» المسبق بأن العرب المسلمين أو المسلمين العرب فى الشرق الأوسط لابد أن يكونوا وراء التفجير. ومن مجرد ازاحة الاحتمالات الأخرى، حتى حينما كان آخرون يأخذون الاحتمالات الأخرى بجدية، قالت الصحافة اليهودية من البداية أن الأمريكيين سيخرجون من هذا الحادث الخطير بدرس بالغ الأهمية هو الدرس **الاسرائيلى**. وهو **«أن على الأمريكيين أن يتبنوا الأسلوب الاسرائيلى فى الاجراءات الأمنية اذا كانوا يريدون ضرب الارهاب والأخطار الارهابية على أرضهم»**.

لقد أعطى الانفجار منذ اللحظة الأولى لوقوعه فرصة لاتفوت الصحافة اليهودية والدوائر المؤيدة لاسرائيل عامة فى الولايات المتحدة لكى تخلق مزيدا من الربط الشرطى بين الانفجار- هذا الانفجار بالذات - وأسماء منظمات عربية فلسطينية بالتحديد. ذكروا اسم **الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، والجبهة الشعبية (القيادة العامة)** ورددوا أسماء شخصيات: **أبو نضال «جورج حبشى، أحمد جبريل**.. الخ ولم يكن أى من هذه الأسماء قد ورد على لسان أى من المحققين بصفة رسمية أو غير رسمية.

من البداية أخذت الدوائر اليهودية - الاسرائيلية على عاتقها مهمة استثمار انفجار مركز التجارة العالمية لصالح اسرائيل على كافة الأصعدة: اسرائيل على حق فى اجراءتها الأمنية. لاسبيل آخر للتعامل مع العرب سوى الطريقة الاسرائيلية. اسرائيل محقة فى مواقفها المتشددة سواء فى الأراضى المحتلة أو على جبهة المحادثات وعملية السلام. اسرائيل محقة على طول الخط.

لقد اتضح بجلاء أن أنصار اسرائيل فى أمريكا اعتبروا الانفجار هدية هبطت عليهم من السماء، تتيح فرصا لم تكن متاحة للتأثير على موقف الرأى العام الأمريكى بشأن مشكلة المبعدين الفلسطينيين..

فى الوقت نفسه فإن «الانفجار» والنتائج الأولية للتحقيقات أجبرت الحكومة الأمريكية على تناول مشكلة الشيخ عبد الرحمن ، التى عوملت بدرجة عالية من الاغفال- الذى لايمكن اعتباره غير متعمد- حتى لقد بدا وكأن السلطات الأمريكية عاجزة عن اتخاذ اجراء لترحيل الشيخ.. حتى بعد أن اعترفت بأن دخوله الى الأراضى الأمريكية كان بطريقة الخطأ وحتى بعد أن قالت أن نشاطات جماعته فى **نيويورك ونيوجيرسى** كانت تحت المراقبة منذ فترة(...)

بعد الانفجار بعشرين يوما بدأت احدى لجان الكونجرس الأمريكى تحقق مع المسؤولين فى وزارة الخارجية الأمريكية حول كيفية حصول الشيخ عبد الرحمن على تأشيرة دخول أمريكية فى الخرطوم على الرغم مما يقال من أن اسمه كان مدرجا منذ أوائل الثمانينات على قائمة المشتبه فى انتماءاتهم الارهابية والمحظور دخولهم الاراضى الأمريكية بالتالى.

وبينما يبدو أن قليلين للغاية من الأمريكيين لا يظهرون أى قدر من الشك فى نتائج التحقيقات الرسمية فى الانفجار والاتهامات الموجهة الى الشابين الفلسطينيين- ومن قد يستجد- الا أن هذا لاينفى أن هناك من يشك.. ومن تصل شكوكه إلى حد اتهام السلطات الأمريكية بالتسرع على أساس

اليساريون الأمريكيون وحدهم يدافعون عن العرب والمسلمين فى أمريكا ضد حملة الكراهية!

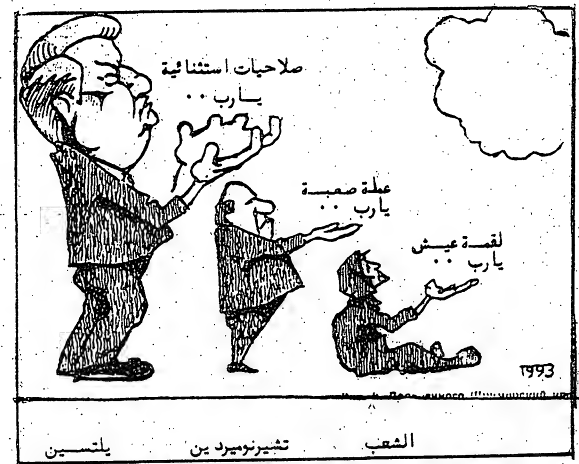
أنه ليس من المتصور أن تقوم مجموعة من «الارهابيين الهواة» بعمل بهذا الحجم.. ولابد أن يكون وراء هذا كله تنظيم كبير، أو ربما جهاز مخابرات هائل.

وبينما تظهر بعض التحذيرات من «موجة كراهية» بين الأمريكيين ضد العرب والمسلمين المقيمين فى أمريكا. فيهم من أصبحوا مواطنين أمريكيين.. إلا أن الذين يحملون بالفعل راية الطعن فى الموقف الرسمى الأمريكى والدفاع عن العرب والمسلمين فى أمريكا ضد الاتهامات التى لاتقوم على أسس قوية هم أبعد القوى الأمريكية عن الالتقاء مع قناعات الجماعات الاسلامية».. انهم **اليساريون الأمريكيون وصحافتهم وتنظيماتهم**. ويحدث هذا فى الوقت الذى تتسابق فيه منظمات العرب الأمريكيين ومعظم المنظمات الاسلامية فى أمريكا إلى استنكار التفجير والتنصل من المسؤولين عنه أيا كانوا.

وعلى سبيل المثال فقد كتبت صحيفة **«ووركرز وورلد»** (عالم العمال) الناطق بلسان **«حزب عمال العالم»** - وهو حزب يسارى تتسم مراقفه حتى الآن بالثبات فى وجه المتغيرات العالمية- تقول أن عمليات المطاردة التى تقوم بها السلطات الأمريكية ضد سلامة وأمثاله تذكر بالملاحقات المكارثية ضد الشيوعيين فى الخمسينات.. ومن شأنها كما حدث فى ذلك الوقت أن تحدث جوا من الخوف وانعدام الثقة داخل قطاعات واسعة من الشعب الأمريكى.

صحف اليسار الأمريكى هى وحدها التى تنشر احتجاجات الطوائف والجماعات المختلفة من العرب والمسلمين العاملين فى مدن أمريكا ضد تصويرهم عموما بملامح ارهابية وسحب كل الاتهامات عليهم.. من **سائقى التاكسى المصريين فى نيويورك ونيوجرسى ، إلى عمال مصانع السيارات العربية الذين يعدون بمئات لآلاف فى ديترويت إلى المركز الاسلامى فى واشنطن.**

لكن الانفجار والآثار الواسعة التى نتجت عنه مرشح من الآن للتحول الى نقطة بداية خطيرة لسلسلة أحداث، ومجموعة استراتيجيات وتحولات سياسية كبيرة على طريق الصدام بين الغرب والعالم الاسلامى تداس خلاله مصالح كثيرة قومية ووطنية وانسانية لم يحسب لها حساب أولئك المسؤولون- أيا كانوا- عن الانفجار.. وكل الانفجارات المماثلة.



يلتسين والبرلمان..
من يصارع من؟ وعلى ماذا؟

أحمد الخميسى

رسالة موسكو

الضوضاء تصم الآذان أحيانا، فلايعود المرء قادرا على سماع شىء إلا الضوضاء نفسها التى تبدو فى هذه الحالة الحقيقة الوحيدة المؤكدة. وقد دوت أخبار الصراع بين الرئيس **يلتسين** ورئيس البرلمان **حسبولاتوف**، وطارت وحلقت، حتى بدا أن المجتمع الروسى ينقسم الآن وفقا لخط الصراع بين: يلتسين - حسبولاتوف. مع **أن الإنقسام يجرى على المستوى الاجتماعى وفقا لخط آخر هو: الصراع بين الفئات التى أفقرها التحول، والفئات التى أثرت من التحول.**

وعلى المستوى السياسى يجرى الانقسام وفقا لخط الصراع بين الفئات التى فرطت وتفرط فى كل شىء، والفئات التى يمكن القول أنها أميل للرأسمالية الوطنية.

وتمثل المجموعات البرلمانية المختلفة التى تصدت للرئيس **يلتسين** وطالبت حتى باقالته- تمثل الخط الذي يرى أن مايجرى الآن لاعلاقة له بالإصلاح الاقتصادى، ولكن بسياسة أخرى شعارها: اهبش واجرى، وأن روسيا جديرة بإصلاح حقيقى، قادر على تنمية مواردها ودفع اقتصادها للأمام نحو التطور الرأسمالى، بينما يحول النظام الراهن روسيا إلي مجرد دولة مصدرة للخامات، وللقوي العاملة الرخيصة، مما يضعها فى وضع أشبه بتركيا واليونان.

وعندما اختتم المؤتمر أعماله فى اليوم الرابع، دوت صيحة **حسبولاتوف** لتعرب عن جوهر الصراع الدائر حين قال: «إننى لاأشك لحظة فى أن الرئيسين **ريجان وبوش**، من ألمع رجال السياسة الدولية، لكنهما قدما الكثير من الوعود بالدعم الاقتصادى **لجوربا تشوف وشفرنادذه**، ومقابل تلك الوعود تم حل مجلس التعاون الاقتصادى بين الدول الاشتراكية. **ومقابل تلك الوعود تم حل حلف وارسو، ثم جرى تفكيك الاتحاد السوفيتى.** إلا أن الكونجرس الأميركى لم يدفع سنتا واحدا حتى الآن. وكان الكونجرس محقا فى مسلكه هذا، فبأى حق ينبغى للعمال الأمريكيين أن يدفعوا الأموال لقاء أخطائنا؟».

لقد أدرك الوطنيون الروس أنهم أعطوا الكثير دون أن يأخذوا شيئا من الغرب، إذ لم يصل روسيا العام الماضى كله إلا مليار واحد من المساعدات التى وعدت بها المؤسسات المالية الدولية. كما أدركوا أن استمرار الإصلاح على طريقة يلتسين أمر سيؤدى فقط للانهيار النهائى. ويكفي دليلا علي ذلك أن حجم **الأموال التى خرجت من روسيا العام الماضى تزيد عن ستة وعشرين مليار** دولار نتيجة لأن وزارة العلاقات الاقتصادية الخارجية منحت تراخيص لأكثر من أربعين شركة غير متخصصة لتصدير المواد الخام من روسيا. وفى تصريح **ألكسندرروتسكوى** نائب **يلتسين** أن حوالى ٤٥٪ من محاصيل البطاطس والخضروات والثمار إما تتم سرقته أو يتعفن.

وفى المعركة بين المؤيدين لطريق **الاقتصاد التابع**، وبين الذين يريدون أن يمضوا علي طريق التنمية **الرأسمالية**، تلجأ المجموعات الأولي **لتصوير دعاة الرأسمالية الوطنية باعتبارهم « الشيوعيين الذين يريدون الانتقام مرة أخرى »** وباعتبار أن مؤتمر النواب نسخة معدلة من مؤتمرات الحزب الشيوعى السوفيتى، لاستعداء الغرب على تلك القوى البرلمانية، إلا أن الغرب الملم بحقيقة أوضاع روسيا لايأكل من هذا الكلام، حتى أن الرئيس الأمريكى **كلينتون** صرح خلال المعركة بين يلتسين والمؤتمر بأنه لايجب الاستهانة بالمؤسسات الدستورية التى تمثل الشرعية فى روسيا.

وقد كان العام الأخير عام خيبة الآمال الروسية فى المساعدات الغربية، الأمر الذى انعكس بشدة على مواقع الأحزاب والحركات التى تدعى أنها حركات «ديمقراطية»، فانحسر نفوذها الذى تمتعت به أوائل عام ١٩٩٢، حتى صارت تلك الحركات أقلية داخل البرلمان، فقد تمخض انتصار يلتسين على قادة انقلاب اغسطس عن لاشىء، وعلى مدى عام ونصف العام تقريبا، لم تتلق روسيا أية مساعدات جادة، ولم تدخلها الاستثمارات الكبرى، ولكن المستثمرين الصغار الذين يعملون أساسا في مجال التجارة والشراء والبيع. وعلى مدى العام ونصف العام، أدرك الروس **أنهم دفعوا برأسهم فى الأنشوطة الأمريكية دون مقابل، وأنهم إذا لم يقوموا بتعديل سياساتهم فإنهم سيخسرون آخر ماالديهم**، هذا هو سبب الأزمة التى اتخذت شكل الصراع على الدستور، أو الصراع على طبيعة النظام الحاكم: هل ينبغى له أن يكون نظاما برلمانيا تكون للبرلمان فيه الصلاحيات الأساسية على حساب الرئيس؟ أم نظاما رئاسيا يتمتع فيه الرئيس بالصلاحيات الأكبر؟.. **الدستور، وشكل الحكم، كانا يخفيان فى جوهرهما سؤالا آخر. إذ أن الاتفاق على نظام رئاسى كان يعنى الاتفاق على مواصلة يلتسين خطه فى الإصلاح الاقتصادى، أما الاتفاق على نظام برلمانى فيعنى أن تتحول تلك الإصلاحات لتتخذ شكلا من التنمية الاقتصادية الرأسمالية التى تسمح بها موارد روسيا وطاقاتها.**

ومابين شكل الصراع: الدستور

،صلاحيات الرئيس وصلاحيات المؤتمر، الصراع بين السلطتين التشريعية والتنفيذية ،وبين جوهره،أصبح البرلمان الساحة الأساسية والأداة الرئيسية لذلك الصراع،بدءا من أواخر العام الماضى عندما أصرت المجموعات البرلمانية على إقالة يجور جايدار رئيس الوزراء السابق، واكتسب البرلمان أهمية استثنائية فى ظروف تنعدم فيها علاقة الأحزاب الحديثة النشأة بالشارع الروسى،وتنعدم فيها شعبية النظام الحاكم ،وجدير بالذكر أن للنظام التشريعى الروسى خاصية يتميز بها عن كافة النظم البرلمانية الأخرى فى العالم :ففى واقع الأمر فى روسيا برلمانان اثنان لابرلمان واحد،الأول مايطلق عليه «مؤتمرالنواب» ويعقد جلساته مرتين أو ثلاث مرات فى السنة ولفترة قصيرة لاتتجاوز الأسبوعين،وتصل عضويته لأكثر من ألف نائب ينتخبون حسب الدوائر الجغرافية والقومية لمدة خمس سنوات،ويعد الهيئة التشريعية العليا التى تقر السياسات والقضايا الاستراتيجية،ومنه يتفرع بالانتخاب البرلمان المصغر الذى لاتتجاوز عضوياته مائتى وخمسين عضوا، ويجتمع دورتين سنويا ،كل دورة أربعة شهور، ومهمته إصدار القوانين والتصديق على المعاهدات والمشاركة فى تعيين الوزراء وإدخال التعديلات على الدستور وانتخاب النائب العام، ومحافظ البنك المركزى.ورغم أن انتخابات مؤتمر النواب الأول تمت فى ظل وجود الاتحاد السوفيتى عام ٩٠ ،إلا أن المؤتمر الموسع ولد ولقد اكتسب شكله كأداة للصراع السياسى عندما استمات جورباتشوف - على الأقل ظاهريا- لعرقلة وصول يلتسين رئيسا للبرلمان.ولم تكن الأحزاب قد تشكلت بعد ،فسارع النواب بتشكيل تكتلات سياسية شبه حزبية داخل المؤتمر استبقوا بها حركة الأحزاب،وحتى عندما تشكلت الأحزاب فإنها صارت بشكل أو آخر امتدادا للكتل البرلمانية..

ومن بين ألف نائب فى المؤتمر (البرلمان الموسع) يوجد حوالى تسعمائة سجلت فى بطاقاتهم النيابية أنهم جميعا من الشيوعيين السابقين.وقد تمكن المؤتمر من تشكيل حكومة موازية فعليا لحكومة يلتسين ،وبدت هذه الإزدواجية واضحة في مواقف عديدة تتعلق بالسياسة الخارجية والإصلاح الاقتصادى فى الداخل.وعلي سبيل المثال ظل أتباع يلتسين يصرخون حتى الآن بأن الحديث عن إصلاح اقتصادي دون ملكية خاصة للأرض محض وهم.ومع ذلك تمكن المؤتمر على مدى عام كامل من تعطيل صدور قانون بالتمليك. وعرقل المؤتمرالكثير من الإجراءات الخاصة بالتخصيص،وأدان طيلة الوقت سياسة الإصلاح حتى أقال رئيس الوزراء جايدار،وبينما اتخذ النظام موقفا مواليا للغرب فيما يخص قضية يوغسلافيا ،أصر المؤتمر الموسع والبرلمان المصغر على إدانة موقف الحكومة بل ومطالبتها برفع ذلك الموقف لمجلس الأمن الدولى،وإلا فإن البرلمان لن يصادق على أية خطوات مشتركة بشأن هذه القضية،وتمايز أيضا موقف المؤتمر عن الحكومة فيما يخص قضية جزر الكوريل،والموقف من العراق وليبيا ،وتعيين الوزراء،والتمسك بإقالة كوظيريف مع تمسك يلتسين به،الخ..

وهكذا بدا واضحا مع الوقت أن هناك حكومتين ،وسلطتين،وسياستين،وكان استمرار ذلك الوضع-على الأقل لمدى طويل- أمرا مستحيلا..إذ لم يعد أحد يعرف أين هى السلطة الحاكمة فعليا..

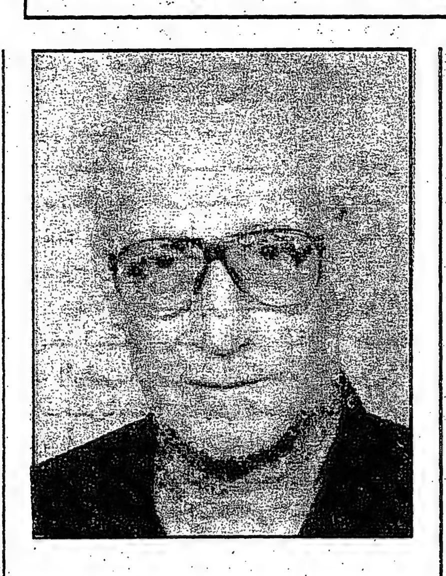
وقد فقد الناس اهتمامهم بمتابعة تلك المؤتمرات،فقد انقضى زمن الفضول والتلهف علي معرفة الحقيقة الذى كان يدفع الناس سنوات البيرسترويكا الأولى لحمل أجهزة الراديو معهم فى الأتوبيسات والمترو والمحلات لمتابعة كل مايدور حرفا بحرف،وبدا أن الحياة السياسية اختزلت فى صراع ببطلين شهيرين يلتسين وحسبولاتوف، يكيل أحدهما اللكمات للأخر طيلة الوقت دون أسباب واضحة مثلما كان يحدث فى الأفلام العربية.ولكن تلك اللامبالاة الشعبية لاتعنى أن صراع الطوابق العليا فى مبنى النظام الروسي مسألة ضعيفة الأهمية أو الأثر، فانصراف الناس عن متابعة مايدور يعنى فقط أنهم لايجدون بطلا يمثلهم هناك أو يعكس بعضا من طموحاتهم في ذلك الصراع. وقد انعكس ذلك المعنى فى لقاء يلتسين برؤساء الجمهوريات العشرين الذاتية الحكم التى تدخل في قوام روسيا إذقالوا له صراحة أن مايدور هو صراع يخص موسكو ولننجراد،لكن روسيا أكبر من هاتين المدينتين وحدهما.وكان البيان الصادر عن رؤساء الجمهوريات أشبه بإنذار واضح،إذ جاء فيه:«إن عملية استنهاض الاقتصاد التى وعدوا بها روسيا لم تحدث،في الوقت الذى يتدهور فيه مستوي معيشة الفرد إلى حد كفاح الإنسان الجثمانى المستميت لمجرد البقاء على قيد الحياة،بينماتتناقص هيبة الدولة وقادتها وسط المجتمع،وتتزايد شكوك المواطنين فى قدرة النظام القائم على التحكم في الوضع السياسى الراهن،ويتنامى القلق بسبب علامات الشلل الواضحة فى عمل أجهزة الدولة».وبينما استهدف يلتسين بلقائه برؤساء الجمهوريات أن يكسب تضامنهم معه فى مواجهة المؤتمر،إذا بهم يقولون له أن مايدور من صراع لايعنى الأطراف والجمهوريات.أما البيان الآخر الذى أصدره قادة المقاطعات- أيضا بعد لقاء يلتسين بهم- فكان أشد حدة،ونص صراحة على أن محاولة « حل المشكلات القائمة باللجوء لأساليب القوة أمر مرفوض،هذا وإلا فإن الكيانات الداخلة فى قوام روسيا ستستخدم كافة الوسائل لقطع دابر أية محاولة لانتهاك الدستور أيا كان مصدرها»!.

ولم يكن الاستفتاء الذى أثار تلك المشكلات إلا ذريعة،كما كانت إقالة جايدار من قبل ذريعة،يتضح بها الخلاف بين أتباع الرأسمالية المهلهلة،والرأسمالية الوطنية التى ترمى للتنمية الاقتصادية.

ولم يكن يلتسين هو الذى تلقى الضربات فى تلك المعركة السياسية ولكن مايمثل يلتسين من تبعية عارية من كل ذوق أو حياء.وقد وافق اليوم الثالث من أعمال المؤتمر الذكرى السادسة والسبعين على الثورة الروسية الأولى عام ١٩١٧ التي سبقت ثورة البلاشفة (ثورة فبراير التى يحتفل بها فى مارس الآن لفرق التوقيت).ويذكر المؤرخ الروسى فيدوسوف فى كتاب قديم له أن الأسباب التى قادت تلك الثورة هى:« الانهيار الاقتصادى الذى بلغ حد الكارثة،وانتشار الفساد فى أجهزة الدولة،والاضطرابات فى الأرياف والأطراف القومية، وتصدع أجهزة الحكم.»وليس هناك سبب للثورة مما ذكره فيدوسوف إلا ونجده فى الوضع السياسى الروسى الراهن.وإذا كان دخول روسيا فى الحرب العالمية الأولى واستنزافها لمواردها فى تلك الحرب هو الذى فجر الأزمة الداخلية وقاد للثورة،فإن استنزاف روسيا لمواردها فى الحرب الباردة مع الغرب مؤخرا هو أيضا ما يفجر الأزمة الداخلية .ويبدو أن الأرض تحرث الآن لانتقال الاضطرابات من أعلى إلى أسفل،ومن الكرملين إلي الشوارع.



د. مختار السيد
وللنضال أشكال عدة



الاسم: مختار محمود السيد
تاريخ الميلاد: ١٠ مايو ١٩٢٧
المهنة: طبيب
الاسم الحركى: عزيز
تاريخ الوفاة: ١٢ فبراير ١٩٩٣

د. رفعت السعيد

..وتبدأ حكاية الفتى ذى الشعر الأحمر فى «قرية عرفت الوجد الشيوعى منذ زمن«جزيرة القباب» مركز «كرنس» ذات المركز الملتهب دوما بالمعاناة الطبقية،الذى تولدت فيه قرى تحولت إلى قلاع للنضال اليسارى مثل **ميت الحلوج** (الشيخ عبد السلام الخشان)و**ميت السودان**(عبد الفتاح موافى)..وأسماء أخرى عديدة ستظل متألقة فى تاريخ يسار هذه المجموعة من القرى المشاغبة «**محمد طه، عبد الله الزغبى -فتحى مجاهد-حمدينو السيد**.. وعشرات غيرهم.

والأب رجل بدأ معدما وأنجب كثيرا ..عشرة من الأولاد والبنات،وعانى كثيرا كى يطعم الأولاد ويكفل لهم تعليما ينهض بهم بعيدا عن معاناته المستديمة، لكن الرجل يمتلك إصرارا وطموحا ،وعبر الاتجار فى الحبوب،وبرأسمال لايكاد يذكر إستطاع أن يمتلك ٢٣ فدانا ،لكن جيش الأطفال كان يلتهم كل شىء.

ويتخطى الفتى المبروم فى رشاقة،ذو الشعر الأحمر فى إثارة مستديمة للدهشة،يتخطى عقبة التعليم الابتدائى بعد معاناة طويلة مع «القطار الفرنساوى» ذلك القطار الذى كنا نشعر بسعادة الأطفال الشقية ونحن نسابقه فنسبقه،فكان يمتطى القطار صباحا إلى المنصورة ومساءا إلى جزيرة القباب وماتبقى من سويعات للمذاكرة.وبرغم ذلك يتفوق الفتى،ويلتحق بالمنصورة الثانوية،ويحاول الأب أن يوفر للابن بعضا من الوقت ،فيستقر بقليل من المتاع فى غرفة فى الدور الأول من بيت عتيق اسمه «**بيت قمر**» بشارع القهوجى بالمنصورة.أمتعض سكان الشارع التقليديون ومنهم أبى من وجود أغراب فى الشارع،فوق أنهم «طلاب»و«عزاب» ..لكن الفتى ذا الشعر الأحمر كان يمضى كالسهم ويمرق عائدا كالسهم أيضا، لايلتفت لأحد ولايلقى حتى بالتحية على عم «**المرشدى**»البقال الذى تولى نيابة عن أعيان الشارع متابعة هذا الغريب الذى لايعرفه أحد.

الفتى نجح فى الامتحان الذى نصبه له عم المرشدى فلم يلتفت لأحد،ولم يرفع عينا إلى بلكونة،ولم يفتح أبدا شباك غرفته،أما مالم يعرفه هؤلاء المراقبون فهو أن الفتى كان مشغولا عنهم جميعا ،مشدودا بعيدا عنهم،وعن فتياتهم المتألقات فى حذر فى البلكونات والشبابيك،كان مشدودا إلى محبوبة أخرى ،أجمل وأكثر إثارة..مصر وشعبها وفقرائها..

ففي المدرسة الثانوية التقى **بكر الشرقاوى** وبرفيقى القطار الفرنساوى وأزقة القرية **عبد الله الزغبى وطاهر عبد الحكيم**،فى لقاءاتهم كان بكر يشرح فى تؤدة ترانيم فكر جديد،وكان الزغبى يترافع مطالبا بأن يلتحقوا معه بركب الحزب الوطنى..وانتهى الجدل بأن انضموا جميعا إلى ركب جديد لعله يقتادهم نحو محبوبتهم ..وحلمهم.

وفى ١٩٤٨ يلتحق مختار بكلية الطب وهناك يلتقى حلمه برجال هذا الحلم ويصبح شيوعيا ،وينساب مع الحركة النضالية لطلاب الطب ويقبض عليه فى إحدى المظاهرات،ويذهب إلي السجن لأول مرة.

وفى هذا العام يموت الأب،وتلحق به الأم،وينتقل الإخوة إلى القاهرة ليعيش الجميع

على إيزاء الأفئدة الشحيح ،وليخوض مع الجميع معركة استكمال تعليمه وتعليمهم.

..ولكن حرب فلسطين صحبها إعلان الأحكام العرفية..ومعها بدأت عمليات تمشيط هائلة،وأحس أنه مطلوب القبض عليه،وقرر أن يهرب ،لكن الهرب يحتاج إلى فلوس،وأسرع إلى أحضان جدته فى القرية،الجدة تنسمت فيه رائحة الأبوين الغائبين واعطته كل ماتملك «مائة جنيه».

مائة جنيه ..مبلغ ضخم فى هذه الأيام حملها على كاهله إلى القاهرة،لكنه وما أن وصل حتى اكتشف رفاقا أكثر مسئولية يحتاجون وبإلحاح أشد إلى الاختفاء وإلى مال يساعدهم فى ذلك،ورفاقا طلابا يتهددهم الفصل من الكلية لأنهم لم يسددوا الرسوم الجامعية.. وفورا تبخرت المائة جنيه فالفتى لايعرف ولايعترف بخصوصية الأشياء ،فما دام قد وهب عقله وفكره للمعتقد ،فلم لا يهب ماله ،حتى ولو كان هذا المال هو آخر مايملك ! وحتى لو كان فى أمس الحاجة إلى هذا المال ،وهكذا مارس أول طقوس التضحية ببساطة وبلا ضجيج.

*** من سجن لآخر.**

وإذا كان مختار قد أفلت هذه المرة ،فقد قبض عليه فى عام ١٩٥٤ ،أتى «العسس» كما كان يحلو له أن يسميهم قلبوا الدنيا ولم يجدوا شيئا فقط غلاف كتاب ،لكن المشكلة أنه غلاف كتاب «رأس المال» لكارل ماركس.أعادوا (قلب الدنيا فلم يجدوا الكتاب،، الفتى أخفى الكتاب ونسى الغلاف،وسيق إلى المعتقل.

وفى ١٩٥٩ قبض عليه مرة أخرى،والسجن فى هذه المرة ملىء بالوحوش والوحشية ،فالتعذيب متواصل، والعذاب لايحتمله إلا ذو اليقين الراسخ ،وكان مختار واحدا ممن احتملوا ،وشجعوا الجميع على الاحتمال،وواجه الوحوش المرتدية زيا عسكريا مواجهة شجاعة.. كانت سنوات السجن صعبة بكل المعايير **فثريا** زوجته وشريكة حياته ونضاله أعتقلت هى أيضا وابنتهما **«مهر»أى سلام»** كانت إبنة عام واحد وتركاها فى رعاية الأقارب.. وهكذا كان العذاب ثلاثيا ،لكن الرجل أحتمله كرجل وكمناضل.

ويصدم كما صدم الكثيرون بمحنة الحل .كمادته تقبل الأمر صامتا وبلا جدال كثير ،فماذا يجدى الجدل مع من فقد الرغبة أ والطموح أو القدرة.

وعاد من جديد إلى المنصورة فى أجازة سريعة ليلتقى بزميل الزمن القديم **عبد الله الزغبى** الذى كان آنذاك يعمل موظفا بالإسكندرية،تلاقت الأيدي كما تلاقت الآراء وقررا أن يفعلا شيئا .هو ترك عمله فى البحر الأحمر كطبيب فى موقع للبترول ،وعبد الله ترك الوظيفة وعاد الإثنان إلى القاهرة ليبدأ معهما مولد مجموعة شيوعية جديدة كانت البدايات صعبة، وكان تحدى الأثر القاتل لقرار الحل أكثر صعوبة،لكن المجموعة تشكلت فى حرص شديد تحت قيادة الطبيب ذى الشعر الأحمر.

وفى حرص مماثل كانت تتجمع مجموعات أخرى ،واحدة كانت تضم **زكى مراد وسيف صادق ومبارك عبده فضل وآخرين** ولأن الثلاثة كانوا نوبيين،ولأن الإرهاصات كانت لم تزل محدودة ،فإنها لم تتخذ لنفسها أسماء..وأسميت المجموعة التى بها نوبيون **«السمر»** أما مجموعة الطبيب ذى الشعر الأحمر فقد أسميت **«الحمر»** رمزا لشعره الأحمر ،ولعل هذا يكفى للدلالة على دوره الأساسى فى تكوين المجموعة.

لكن أحد «العسس» أو بالدقة عميل لهم تسرب إلى المجموعة وألقى القبض عليهم ومن جديد إلى السجن فى عام ١٩٧٤ ،لكنه هذه المرة يذهب إلى سجن القلعة وبقرار من المدعى الاشتراكى .ويبقى رهن السجن لفترة طويلة، ويخرج ليواصل ذات المسيرة ملتقيا مع التيار العام الذى بدأ يتشكل من جماع هذه المجموعات الصغيرة.

***

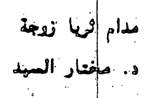
***والطب .سلاح وكفاح**

..فى البداية وبعد التخرج أرسلوه طبيبا فى بلقاس.لم تمض أشهر قليلة إلا وكان قد اقتحم القلوب وأصبح صديقا للجميع»..

الصداقة هى دليل إنسانية الإنسان ،ومن مات بلا أصدقاء فإنه لم يعش أصلا» هكذا كان يؤكد لنا خلال جلساتنا فى السجن،وخاصة عندما كان يستدعى لمصالحة إثنين تخاصما.

وفى بلقاس استطاع الطبيب ذو الشعر الأحمر أن يستجمع صداقة الناس ومحبتهم وقدم نموذجا راقيا لطبيب شيوعى يرى أن للنضال أبوابا عدة ،فكيف تكون مناضلا دون أن تخدم الناس وتتفانى فى خدمتهم ،وكيف تكون مناضلا دون أن يحبك الناس ويستشعرون محبتهم لك.

وعندما خرج من المعتقل عام ١٩٦٤ ،عمل طبيبا على إحدى البواخر الملحقة بحفارات البترول فى البحر الأحمر،المرتب كبير بمعايير هذا الزمان «مائة



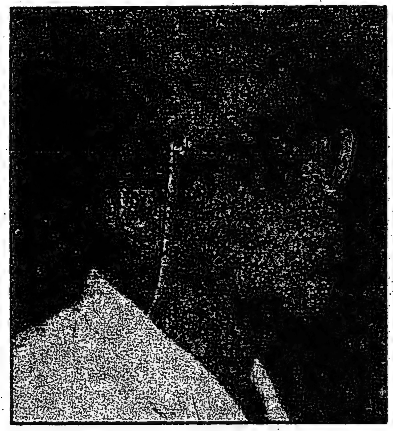
مدام ثريا زوجة د. مختار السيد



زكى مراد



عبد الله الزغبي



مبارك عبده فضل

جنيه» شهريا ،والإقامة على ظهر الباخرة مترفة.فجأة ترك الحياة المترفة والمائة جنيه ليعود للقاهرة ويعمل كطبيب فى مستشفى الموظفين بإمبابه والمرتب ١٧ جنيها.نعم سبعة عشر جنيها.

الكثيرون سألوه لماذا؟ أجاب إجابات هادئة لا أحب الابتعاد عن ثريا وفيرأولا أحب هذه الحياة المترفة،وربما كان هذا صحيحا ،لكنه أتى إلي القاهرة ليلحق ببداية النضال الجديد.. ولتأسيس المجموعة التى تعاهد مع الزغبى على تأسيسها معا.

وتمترس فى إمبابه واصل دراسته وحصل على دبلوم جراحة ،وأصبح جراحا ماهرا وكالعادة تفانى فى إتقان أدائه،أليس الاتقان هو أيضا جزء من النضال؟.

وعندما تفوق الطبيب الجراح تطلعت إليه المستشفيات الاستثمارية،ولكن لمن يترك هؤلاء الفقراء الذين يجرى لهم العمليات الجراحية مجانا،يسدد لهم من جيبه أجر طبيب البنج وتكاليف أخرى كثيرة..؟

وعدنما جادله البعض لماذا لاتعمل فى المكانين معا فى المستشفى الاستثمارى ومع أصدقائك من فقراء إمبابه؟ أجاب ببساطة:الأمر يتوقف على ماذا تريد.أنا لاأريد إلا أن آكل وأشرب وأشترى بنزين للعربة الفولكس،ولا احتاج لشىء آخر.

«لا احتاج لشىء آخر» فلسفة متكاملة لحياة متكاملة جدا تبدأ من السادسة صباحا ليقفز إلى مستشفاه الخاص فى إمبابه يجرى عمليات بعضها ببعض أجر وبعضها مجانا..والعيادة أسفل المستشفى يلتقى فيها أيضا بالمرضى بعضهم ببعض أجر وبعضهم بلا أجر ومن هناك إلى مستشفى إمبابه العام ليواصل معركته مع الفقراء ضد المرض.

معركته مع الفقراء ضد المرض.

هذا هو الوجه الآخر للنضال ،وربما كان الوجه الأول للنضال ،فكيف يكون نضالا أن تتكلم،وتناقش وتتفلسف وتتخذ قرارات سياسية ،بينما تضن على الفقراء بما تستطيع وهكذا يكون الإنسان مناضلا حقا .وهكذا يكون المناضل قدوة.

كان يمضى طوال يومه مع مرضاه، طوال اليوم يعطيهم نفسه وموهبته بلا انقطاع..كانت مستشفاه هى بيته ومرضاه أسرته ،والطب حياته ونضاله.

الطبيب مرشحا

.ويتقدم العمر، الشعر الأبيض يختلط مع الشعر الأحمر،والأصدقاء في امبابه اصبحوا بالآلاف كل منهم خضع هو أو ابنه أو زوجته لأنامل الطبيب الحانية،ونال قسطه من رعايته المتأنية وغير المرتبطة بأن يدفع أجرا أو لايدفع.

وتكون انتخابات مجلس الشعب الأخيرة،وتصدر له تعليمات حزبية بأن يرشح نفسه في امبابه كانت امبابه مرتعا لتيارات التأسلم السياسى،والإرهابيون يحكمون قبضتهم على كل شىء هناك ،ويروعون الناس حكاما ومحكومين، وجابر وأمثاله هم أصحاب الصوت الأعلى،ومن لهؤلاء جميعا سوى رجل كمختار امتلك محبة الناس وتفانى في هذه المحبة.

ووزع أول بيان انتخابى توجه بشعاره«**الحرية للوطن-الديمقراطية للشعب- الخبز للفقراء**»،وشعرت الجماعات المتأسلمة بخطر هذا الطبيب ذى الشعر الأحمر والمتلك لمحبة الناس،ورأوه وهو يمر فى جولاته الانتخابية محاطا بمحبة البسطاء «فاكر يادكتور انت عملت لى عمليه»«فاكر يادكتور لما عملت عملية لبنتى»..فاكر يادكتور، فاكر يادكتور،وركزت الجماعات المتأسلمة هجومها عليه، وركز هو هجومه عليها شاهرا فى وجههم الشعار المصرى العظيم«الدين لله والوطن للجميع».

..وكما خشيت الجماعات المتأسلمة من نفوذه،ارتكبت الجماعات الحكومية حماقة العمل ضده،وخضع لحصار محكم بين فكى كسارة البندق.

لكنه واصل معركته، وواصلها معه مواطنون بسطاء لم تخدعهم شعارات التأسلم السياسى ولم يروعهم تهديد إرهابييه،ولم ترهبهم الحملات الحكومية والتهديد الحكومى.

وفى وجه الإرهاب والتزييف الصارخ انتزع اصواتا كثيرة،لكن تحالف الحكم مع جماعات التأسلم حرمه من حقه فى تمثيل شعب امبابه فى مجلس الشعب.

..وتتواصل حياة بسيطة ،هادئة خالية من التعقيدات لطبيب مناضل اقترب من الناس حتى عاش تحت جلدهم وعاشوا تحت جلده

كم أنقذ بسطاء وفقراء من الموت؟ عشرات ومئات ،ربما آلاف ،لكنه وكالعادة لم يجد من ينقذه من سيارة حمقاء اقتحمت عليه الفولكس الشهيرة بينما كان يقودها عائدا «**من جزيرة القهاب» ليلحق بموعد مع حفيده«فاضل»** مستمعا إلى موسيقى البرنامج الثانى التى كان مؤشر راديو الفولكس لايفارقها.

لكن «جدو» لم يلحق بموعد فاضل

تشوية صورة المرأة فى وسائل الاتصال



د. ناهد رمزى

يتضمن الإتصال بمفهومه الحديث عملية مزدوجة تشمل مرسل الرسالة من جهة، ومستقبلها من جهة أخرى، أى أنها حوار بين طرفين متكافئين تخرج عن حيز التدفق التلقائى للمعلومات الى مجال أوسع يتناول الإسهام الفعلى لكلاالطرفين معا وتضع احتياجات متلقى الرسالة فى الإعتبار.

من هذا المنظور يضاف للمتلقى حق جديد يتجاوز حقه فى الحصول على المعلومات وهو حقه فى توجيه الرسالة التى يستقبلها تبعا لحاجته وحاجة مجتمعه الذى ينتمى إليه، وينقلنا ذلك الى حق جديد من حقوق الإنسان وهو"حق الإتصال" تلك القضية الهامة التى أثارها عام ١٩٦٩ جين دراسى وأكدتها لجنة ماكبرايدالدولية لدراسة مشكلات الإتصال والذى تأكد مرة أخرى فى إعلان اليونسكو الخاص بالمبادئ الأساسية لإسهام وسائل الإعلام فى دعم السلام الذى أكدت مادته الثانية فى جانب من جوانبها على استجابة وسائل الإتصال لإهتمامات الشعوب والأفراد مهيئة بذلك مشاركة الجمهور فى تشكيل المادة الاتصالية.

ويتضمن حق الإتصال مجموعة من الحقوق من أهمها حق الحصول على المعلومات والإجتماع والمناقشة والمشاركة والثقافة ومايتصل بذلك من حقوق التنمية الإنسانية المتصلة بذلك.

وعند حق التنمية الإنسانية نتوقف لنطرح سؤالاً يتضمن مدى إسهام وسائل الإتصال فى التنمية الإنسانية على مختلف مستوياتها،

ولأن مجال اهتمامنا فى هذا البحث هو المرأة فاننا نتساءل بمزيد من التحديد عن اسهامات وسائل الإتصال فى مجال تنمية المرأة وتغير وضعها الإجتماعى، ماالذى تقدمه هذه الوسائل وماالدور الذى تلعبه بالفعل، وما الدور الذى يمكن أن تلعبه فى هذا المجال؟

ويدعونا هذا بادئ ذى بدء إلى محاولة التعرف على الصورة التى تصور بها المرأة فى هذه الوسائل، هل هى صورة تؤدى بها الى الإسهام فى تغير وضعها أم إنها صورة تدعم وضعها القائم وتؤكد صورتها التقليدية فى محاولة واعية أو غير واعية لرفض متطلبات التغيير أو مقاومته؟

ويتطلب ذلك التعرض إلى صورة المرأة المقدمة فى وسائل الاتصال بهدف تقييم تلك الصورة وتدعيم ما بها من ايجابيات واستبعاد مايؤدى الى تعويق انطلاقها من صور سلبية.

ويواجهنا الفحص الأولى للبحوث والدراسات حول المادة الاتصالية التى تناولت المرأة بحقيقة مؤداها أن المادة المقدمة فى مختلف الوسائل الإتصالية تدور فى فلك واحد هو تقديم الصورة التقليدية للمرأة فى أدوارها التى قصرت عليها لفترات طويلة وهى دورها كزوجة وأم وربة بيت وابتعادها عن أدوار عدة تقوم بها اليوم كدور المرأة العاملة أو الدارسة أو المشاركة فى تنمية مجتمعها أو المساهمة فى صنع القرار السياسى، أو المهتمة بقضايا مجتمعها على وجه العموم، علاوة على ابتعاد تلك المادة الإتصالية عن قضايا المرأة على مختلف انتماءاتها الإيديولوجية أو الحضرية أو الطبقية.

فإذاتعرضنا للمادة الإذاعية التى تُبث من الإذاعة كوسيلة اتصالية نجد أنها لاتتعرض لبرامج تثقيفية أو تعلمية توجه للمرأة من أجل تنمية قدراتها أو امدادها بالمعلومات الجادة الا بنسب ضئيلة كما لم تقدم فى صورة إيجابية سوى بنسبة٢ر٨٪ كما تشير إلى ذلك إحدى الدراسات التى أجريت على الراديو فى مصر وإنما بدت المرأة فى صورة سلبية وتبدو سلبيتها فى صور ثلاث.

(أ) صورة المرأة التى تفتقر الى العقلية العلمية والتى تتسم بضيق الأفق واللجوء الى الغيبيات بينما يمثل الرجل الضمير المنقذ أو الشخص الموجه.

(ب) صورة المرأة التى تفتقد الى هوية مستقلة وتلجأ فى حل مشكلاتها الى الرجل سواء كان أبا أو زوجا أو أخا كبيرا أو حتى صغيرا.



(جـ) صورة المرأة التى تخشى فقدان جمالهاأو تقدمها فى السن وفقدان دورها كمنجبة أو محققة لرغبات الرجل الذي قد تفتقده اذا فقدت تلك الصفات، وهي فى هذا تتحرك فى أدوار رسمت لها من كونها أم أو أمرأة منجبة أو أنثى- وهى الأدوار الغالبة- ولم تحتل الأدوار الأخرى للمرأة الا هامشا محدودا مثل دور المرأة العاملة أو المنجزة أو المنتجة.

ويبدو ذلك أمرا خطيرا فالإذاعة تملك مالايملكه غيرها من التأثير لما تتمتع به من إمكانية الإنتشار الواسع حتى فى الأماكن النائية التى تسود فيها الأمية والتى تصل الى مايقارب ٧٨٪ فى المناطق الريفية المحرومة من الخدمات، من هنا فهي تتفوق على المادة الإتصالية المقروءة التى تتطلب مستوى ثقافيا معينا يحتاج الى القراءة والكتابة، كذلك فهى تعد أكثر أهمية من وسائل أخرى كالتليفزيون الذى يقف عقبة أمام انتشاره فى بعض الأماكن النائية ضرورة توفر الكهرباء.

إذن فالمادة الأذاعية التى تملك تلك الإمكانية الهائلة فى تغيير وتطوير مكانة المرأة فى المجتمع مازال دورها محدودا كما وكيفا على الرغم من أنها مازالت تعد وسيلة واعدة لكى يجنى من ورائها الكثير إذا أحسن توظيفها لتحقيق عائد فى هذا المضمار.

ومايقال عن البرامج الإذاعية يمكن أن يقال أيضا عن البرامج التليفزيونية التى أهملت بدرجات متفاوتة الدور المزدوج الذى تقوم به المرأة فى العصر الحاضر وركزت **على وجه الخصوص على دور المرأة كربة بيت أو كموضوع للحب والزواج أو كمخلوق سلبى تابع للرجل تلعب الى جواره دورا ثانويا فالقيمة العليا دائما للرجل الذى يعد بالنسبة لها العائل الإقتصادى والفيزيقى والانفعالى.**

وهنا يجب ألا نغفل دور **الإعلانات التى أصبحت تحتل من شاشات التليفزيون جانبا كبيرا والتى تقدم المرأة على أنها كائن قابل للإتجار فى مجال الترويج للسلع الإستهلاكية** وفى إطار أساليب معتمد على عناصرها التشويق والجاذبية **وكأنها كائن جميل أو مجرد جسد مطلوب أظهار محاسنه ومفاتنه وهو مايعرض المرأة الى مختلف أشكال الامتهان** والسرقبة ويجعلها فى حال من الإغتراب المتواصل عن أدوارها الجادة المتعددة والمطلوبة منها كمواطن منتج وكائن بشرى بل وكإنسان

له حقوقه ومتطلباته.

ويضاعف من تأثير هذه الوسيلة الخطيرة أنها سهلة التناول وميسورة الإستهلاك بين الأميين وغير الأميين علاوة على قدرتها على النفاذ الى حياة المشاهد بما يؤكد استمرارية التعرض وبالتالى استمرارية التأثير.

ولاتختلف أيضا صورة المرأة فى الأفلام السينمائية عما سبق عرضه من صورتها فى كل من المادة المذاعة والمشاهدة فنظرة الى التراث البحثى لصورة المرأة كما تقدم فى الأفلام السينمائية لتدل دلالة واضحة على أن الأفلام السينمائية التى قدمت فى الربع الأخير من هذا القرن قد فشلت فى الكشف عن التغيرات المعاصرة التى حدثت فى سلوك المرأة ودورها ومدى اسهامها فى المجتمع.

وتشير احدى الدراسات المصرية عن صورة المرأة فى الأفلام السينمائية ضمت ٤١٠ فيلما سينمائيا وتضمنت حوالى ٤٦٠ شخصية نسائية احتلت أدوارا اجتماعية متعددة ومستويات اقتصادية متباينة إلا أنه على الرغم من هذا التعدد الا أن المرأة ظهرت من خلالها فى دورها التقليدى أو الأنثوى، حيث **صورت كمخلوق وجد لإمتاع الرجل لاتشغلها القضايا العامة لمجتمعها، ولاتتفاعل مع مشكلاته السياسية أو الإقتصادية أو الإجتماعية،** بل يشغلها دائما الحب والزواج والرغبة فى الإنجاب. كما دارت نسبة كبيرة من هذه الأفلام فى فلك الإنحراف، فصورت فيها المرأة بأشكال شتى من صور الإنحراف، وحتى عندما صورت كعاملة أو دارسة للعلم ظهرت بمظهر سلبى. **أما المرأة العاملة المساهمة فى عجلة الإنتاج فى مجتمعها فلم تظهر الا بنسب ضئيلة أيضا، كما ظهرت المرأة الريفية الكادحة بنسب أكثر ضآلة لاتتناسب ونسبتها فى المجتمع المصرى.**

كذلك لم تتعرض الأفلام التى تناولها البحث الى **حركة تحرير المرأة** أو إسهامها فى مجال العمل السياسى هذا على الرغم من ان الحركة النسائية العربية المعاصرة، وبخاصة فى مصر بحكم موقعها الريادى فى العالم العربى قد سبقت ظهور وتطور السينما بوصفها فنا وصناعة بحوالى نصف قرن بمعنى ان صورة المرأة فى السينما المصرية قد بدأت تتشكل فى إطار خلفية ناضجة من النضال السياسي والإجتماعى لتعزيز دور المرأة ومكانتها فى المجتمع.

فالسينما المصرية بدأت مسيرتها فى فترة مابين الحربين تقريبا وفى تلك الفترة تعززت الحركة النسائية بعد ثورة ١٩١٩ وتولت هذه الحركة امرأة فاضلة **هى هدى شعراوى،** أعقبها دخول الفتيات الى الجامعة المصرية أعقبها بزوغ ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ ثم صدر أول دستور مصري عام ١٩٥٦ يكفل للمرأة الكثير من الحقوق السياسية، ومن بينها حق الترشيح والإنتخاب فى المجالس النيابية. ثم دخلت المرأة الى البرلمان ثم تقلدت منصب وزير لأول مرة عام ١٩٦٣ وتلى ذلك العديد من الإنجازات العلمية والعملية للمرأة يصعب حصرها. ومع ذلك ظلت السينما المصرية تقليدية فى نظرتها الى المرأة وفى طرحها لقضايا فات أوانها وانتهى عصرها.

*** المرأة فى الاذاعة.. ضيقة الأفق.. تعتمد على الرجل وتخشى فقدان جمالها!**

*** إعلانات التليفزيون تعتبر المرأة كائنا قابلا للإتجار!**

*** المرأة فى السينما مخلوق وجد لإمتاع الرجل؟**

أما فيما يتعلق باللون المكتوب والمنشور من ألوان التعبير فيبدو التعرض له أمرا هاما حيث تمثل مصر طليعة العمل الصحفى فى المنطقة العربية بأسرها هذا فضلا عن سبقها الى انشاء وتطوير الصحافة النسائية، وعلى الرغم من عمليات التحديث التى بدأت منذ العقد الأول من القرن الماضي والتى استمرت طوال هذه الفترة بانشاء الإتحادات النسائية التى تعزز كفاح المرأة فى مصر ولتربط بينها وبين كفاح النساء فى العالم العربى ولتربط بين نيل المرأة حقوقها الاجتماعية والنسائية والدستورية وبين نيل الوطن استقلاله وحريته السياسية، وعلى الرغم من ذلك إلا أننا نجد ان صورة المرأة فى الصحافة العامة والنسائية تحفل برؤية لاتتوافق مع التغيرات المعاصرة.

وتطالعنا فى هذا المجال مجموعة لابأس بها من الدراسات أظهر بعضها ان موضوعات الأزياء والموضات وموضوعات التجميل وفنون الماكياج تحتل موقعا رئيسيا من الأبواب النسائية فى الصحف العامة وهو توجه يخاطب أساسا المرأة التى تنتمى إلى الطبقة الوسطي ومافوقها، فى الحضر والمدن الكبرى ناسين أو متناسين المرأة الريفية والشعبية والمنتمية إلى الطبقات الكادحة.

كذلك فقد ظهر اهتمام يتعلق **بالأعمال الإجتماعية يغلب عليه الطابع التطوعى المبتعد عن قضايا السياسة والاقتصاد فضلا عن قضايا السياسة الخارجية وهو اتجاه يرتبط بنساء الطبقة العليا الأرستقراطية التى كان ينحصر اهتمامها فى الأعمال الإجتماعية التطوعية** دون غيرها.

كذلك ارتفعت نسبة المساحات المخصصة للإعلانات التى تدور حول مستحضرات التجميل والأزياء والسلع وكثير منها ينمى التطلعات الاستهلاكية وخاصة من السلع الأجنبية المستوردة على حساب الانتاج المحلى المناظر لها.

هذا فضلا عن ان بعض أبواب الصحف اليومية يكاد أن يخاطب امرأة تجريدية معزولة عن محيطها الإجتماعى العام غير محددة النوعية لا من حيث العمل أو المشاكل أو الإهتمامات.

وفى دراسة أخرى تناولت صورة المرأة كما تقدم فى قصص الصحافة النسائية من منطلق أن الصحافة النسائية والمادة القصصية بوجه خاص تعتبر من أكثر المواد الإعلامية إنتشارا بين النساء القارئات، توصلت هذه الدراسة الى أن تلك القصص قد صورت المرأة فى أدوارها التقليدية التي تنحصر فى موقعها كزوجة انحصر دورها الرئيسى فى الأعمال المنزلية ومحاولة ارضاء الزوج فلكل منهما عالمه الخاص به فعالمها هو البيت وعالمه هو العمل.

ويلاحظ أنه على الرغم من أن جميع القصص المحللة جاءت بأقلام نسائية الا أنها اتسمت بسمات خاصة وهى العمل بوعى أو لاوعى على تكريس وتدعيم الوضع التقليدى للمرأة. وفى استفتاء أجرى على عدد من محررات الأبواب النسائية فى الصحافة المصرية جاءت النتائج تكشف عما يشكل ازدواجية فى الفكر والاتجاه والسلوك بين ماتعتقده المحررة وبين الواقع والممارسة الحقيقية التى تشهدها الأبواب التي يشرفن عليها أو يحررن بها، فقد أجمعت ١٠٠٪ من عينة المحررات على أهمية إعطاء الأولوية لموضوعات مشاركة المرأة فى الحياة السياسية وقضية التنمية. كما أيدن فكرة أن صورة

المرأة المنعكسة في أبوابهن غير معبرة عن القطاع العريض من النساء المصريات(٧١,٤٪) . كما وافقت نسبة ٦٠٪ من الصحفيات على أن الصورة المثلى المطلوب ابرازها هي صورة المرأة المساوية للرجل. ويبدو أن بعض العوامل التي لاتتعلق بالمحررة ذاتها تلعب دورا في الصورة التي تظهر عليها المرأة في الصحف، فقد ذكرت ٤٠٪ من هؤلاء الصحفيات أن ذلك يرجع الى رئيس التحرير ويناظره في ذلك سعر ورق الصحف، أما تأثير الإعلانات فقد اقتصرت نسبته على ٣٠٪.

إلا أنه يجب الوضع في الإعتبار أن النسبه الكمية أحيانا ماتكون مضللة، وهنا يجب التنبه إلى مضمون مايقال فقد يكون الموضوع المطروح متعلقا بالأناقة أو الموضة، إلا أن مضمونه قد يكون جادا يعمل على ترشيد نظرتها إلى هذا الجانب أو ترشيد نمطها الاستهلاكي أو طلب مراعاتها لما يجب أن يرتدى أو حثها على استخدام المنتجات الوطنية.

واذا أنطلقنا من دائرة الصحافة الى آفاق أوسع حيث صورة المرأة كما تصور في أحد نماذج النتاج الثقافي وهو **الأدب القصصي** بوصفه النموذج الذي يتسع لرصد القيم الإجتماعية السائدة في المجتمع، تشير إحدى الدراسات التي أجريت في هذا المجال الى أن عينة القصص التي تناولتها بالتحليل تظهر المرأة كمخلوق تابع للرجل مقهور منه، وتربط الباحثة تلك النتائج بإطار أكثر عمومية يتسع ليشمل ماضي المجتمع المثقل بالهيمنة الإستعمارية وتشير الى أنه في ظل تصاعد الأزمة الإقتصادية والإجتماعية والسياسية يتحول هرم السلطة الى بناء محكم يقمع كل مستوى المستوى الذي يليه قمعا فكريا وماديا. وبينما تندرج المرأة كفرد في هذا المستوى أو ذاك من مستويات هرم السلطة تتدرج على اطلاقها خارج هذا السلم كأداة انجاب أو امتاع. وتضيف الباحثة الى أنه كلما غابت الحرية في مجتمع من المجتمعات كلما زاد الإحباط وساء وضع المرأة. ممايعني أن صورة المرأة لايمكن دراستها بمعزل عن التاريخ الإجتماعي والظروف الإقتصادية والسياسية والثقافية التي مر بها المجتمع ونجدنا نتسائل في النهاية هل تعبر تلك الصورة التي قدمت في وسائل الاتصال عن واقع المرأة المصرية بالفعل أم أنها تعبر عن تصورات معديها ومعتقداتهم السائدة في المجتمع عن المرأة؟ صورة لاتعبر عن الواقع الفعلي بقدر ماتعبر عما يدور في أذهان معدي البرامج الاتصالية المتأثرين بشكل أو بأخر بالظروف السياسية والاقتصادية والاجتماعية الثقافية السائدة في المجتمع ، لأنه اذا كان دور المرأة منحصرا في شئون البيت ورعاية الزوج والأبناء، فأين المرأة العاملة التي نجدها تساهم اليوم في جميع مجالات العمل، والتي نجدها اليوم تطرق الأبواب بحثا لنفسها عن فرصة عمل مساوية للرجل، بل أين الفتاة الدارسة المنطلقة الى المستقبل التي تنافس بتفوقها الذكور في مراحل التعليم المختلفة ، بل أين المرأة المساهمة في مجالات الحياة المختلفة؟

ويجب التنويه الى أن ماتشير اليه ليس تصورات نظرية ولكنها حقائق تؤكدها الأرقام والإحصاءات الرسمية التي لايتاح المجال لسردها ولكنها متوفرة تنطق بالواقع الفعلي للمرأة المصرية.

وإذا كان الأمر كذلك ألم يحن الوقت بعد لتقديم صورة واقعية عن المرأة المصرية التي تكدح وتعمل وتدرس وتحيا حياة تصارع من خلالها أدوارها المتعددة؟

وهنا نعود مرة أخرة للتساؤل الذي سبق لنا طرحه عن المسئولية الإجتماعية لوسائل الإتصال ودورها في تغيير مكانة المرأة في المجتمع وإدماجها في عمليات التنمية، فوسائل الاتصال ثروة يجب إستغلالها ، فهي تملك الإنتشار السريع والمؤثر خاصة إذا استطاعت أن تستفيد من التقدم الهائل في مجال تكنولجيا الإتصال وإذا وظفت التوظيف الجيد فالأمر يحتاج الى التخطيط المدروس لمضمون المادة المقدمة ليتم التركيز على المادة الإعلامية التي تنمي لدى الجماهير كافة والمرأة خاصة القيم الإيجابية التي تساعد على الإسراع بعمليات التنمية كالسعي الى التعليم والتدريب واحترام العمل والإحساس بقيمة الوقت والإستقلال الذاتي والوعي بقضايا المجتمع والقدرة على التطوير والتعديل من خلال النقد البناء الذي يتناسب مع حاجات المجتمع. وهنا يجب ألا ننسى المادة المقدمة للطفل التي يجب أن تخلو من تلك الصورة السلبية التي تدعم تفوق الرجل وتحط من قدر المرأة، فما نزرعه اليوم في أطفالنا من قيم سيجنيه المجتمع في الغد.

وأخيرا فتلك الوسائل الواعدة تحتم عليها مسئوليتها الإجتماعية ألا تستغل من أجل الترفيه فقط أو شغل وقت الفراغ أو حتى إعطاء المعلومة الجادة. فما تملكه من إمكانيات هائلة على التأثير يتيح لها أن تحمل على عاتقها التصدي لإحداث متطلبات التغيير المنشود في إطار خطة مدروسة وموجهة، وتهيئ الجو المناسب لقبول هذا التغيير. فدعونا نغير الموجود أو نصحح مساره في إطار توجهات مستحدثة تتلاءم مع القرن القادم والواقع الذي تحياه المرأة اليوم والذي ستعايشه في الغد، ولعل ذلك يساعد الرسائل الإتصالية على الوفاء بمسئوليتها الإجتماعية المنوطة بها فهي مسئولية ضخمة وعلينا أن نساعدها على الوفاء بها.



حملة ظالمة!

د. عبد العظيم أنيس

فوجئت كما فوجئ العديدون بمقال غريب كتبه د. **مصطفى عبد الغنى** فى عدد أول مارس من مجلة «الهلال» يهاجم فيه بقسوة السيدة **سوزان طه حسين** ويتهمها شتى الاتهامات دون سند مقنع، وفى سبيل ذلك ينسى الكاتب أشياء كثيرة تدل على معدنها الطيب وانسانيتها، وهو بالطبع مستعد لتجاهل ماقاله **طه حسين** نفسه فى الجزء الأول والثالث من «**الايام**» عنها لأنه كلام إنسان غارق فى هواها».

وابتداء يشكك د. **مصطفى عبد الغنى** فى دوافع سوزان للزواج من **طه حسين** عام ١٩١٧، فأهلها يتهمونها بالجنون إذا فكرت فى الزواج من مسلم ضرير، ولكن عمها «وهوقسيس» وافق بعد تفكير على زواجها. وحيث أن عمها «قسيس» فلابد أن تكون هناك نوايا تبشيرية وراء هذه الموافقة. يكتب د. **مصطفى عبد الغنى** هذا دون أن يكون لديه سند واحد غير مايقوله **إدوارد سعيد** فى كتاب «**الاستشراق**»، وينسى فى هذا أن هذه السيدة تزوجت **طه حسين** طويلا قبل أن يكون **طه حسين** هو مانعرفه اليوم. كما ينسى أنها تحملت معه فى مصر حياة عاصفة مليئة بالأزمات التى ثارت حول كتبه ومواقفه السياسية والفكرية، ابتداء من كتابه «**الشعر الجاهلى**» الذى فجر أزمة وزارية مدوية بين الوفديين والاحرار الدستوريين عام ١٩٢٦، وكاد يعصف بالوزارة الائتلافية.. إلى فصله من الجامعة عام ١٩٣٠ بقرار من اسماعيل صدقى واشتغاله بالصحافة حتى عودته إلى الجامعة عام ١٩٣٤، ثم المظاهرات التى حركتها القوى اليمينية ضده والتى وصلت إلى حد الاعتداء البدنى عليه داخل حرم الجامعة.. وفى كل هذا لم يكن **طه حسين** يعيش إلا على راتبه الذى توقف بعد فصله.

فكيف يمكن؟ أن ننسى أن زوجته وقفت إلى جانبه طوال سنوات الشدة والأزمة فى الجامعة وفى معترك العمل السياسى وساندته، وما كان أسهل عليها أن تتركه وتعود إلى بلادها فرنسا؟ وأين هى الآثار «التبشيرية» التى تركتها السيدة **سوزان** على شخصية طه حسين وفكره؟

شئ آخر يستند إليه د. **مصطفى عبد الغنى** فى حملته القاسية على قرينة **طه حسين** واتهامها بالتعصب وكراهية مصر. فهو يقول نقلا عن مؤنس- نجل طه حسين- إنه عندما تزوجت ابنته من شاب يابانى، سأل بعض الاصدقاء السيدة سوزان إن كان يصدمها أن تتزوج حفيدتها من شاب يابانى بوذى فأجابت: لا، طالما تزوجت جدتها قبل ستين عاما شابا عربيا مسلما وهى الفرنسية الكاثوليكية. يورد د. **مصطفى عبد الغنى** هذه القصة فى مقاله ويقول فى ختامها «لانحتاج إلى تعليق» كأن ماقالته السيدة سوزان شديد الوضوح فى الدلالة على تعصبها لفرنسيتها وكاثوليكيتها. ولست أرى ذلك بالمرة فكل ماقالته هى لايخرج عن المعنى التالى: كيف يمكن أن أعتبر أن مافعلته حفيدتى أمرا غريبا إذا كنت أنا قد فعلت نفس الشئ قبلها بستين عاما!

أما أنها كانت تتكلم الفرنسية فى المنزل وتطلب من أبنائها نفس الشئ فهو أمر شبه عادى فى البيوت التى تتميز بالزواج من أجنبيات. وإذا كان **مؤنس طه حسين** لايتكلم العربية بطلاقة كما يقول د. **مصطفى عبد الغنى** فإن المسئولية فى هذا تقع على الاب أولا، أى تقع على **طه حسين** نفسه. وإذا كانت هى حريصة على السفر إلى أوربا كل صيف فهذا أمر ليس بالغريب. لكن الأغرب أن يقول د. **مصطفى عبد الغنى** إن طه حسين وافق على إعادة طبع كتبه فى لبنان لأنه كان فى حاجة إلى المال لإرضاء زوجته!

فما هو الغريب فى أن يوافق **طه حسين** على إعادة طبع كتبه فى لبنان؟ وماهو الغريب أن يكون **طه حسين** فى حاجة إلى المال وهو يعول أسرة لاتعتمد على دخل ثابت سوى معاشه؟

ثم تأتى إلى قصة الرسائل التى تبودلت بين **طه حسين** وكبار أدباء أوربا مثل **أندريه جيد** على طول حياته ويتساءل د. **مصطفى عبد الغنى** : أين هى؟

بالطبع لدى السيدة سوزان كما يعرف هو، وكما هو واضح من الاقتباسات من هذه الرسائل الواردة فى كتابها عن **طه حسين** الذى كتبته بعد وفاته، بعنوان (**معك**).

فهل ياترى حاول د. **مصطفى عبد الغنى** الحصول على نسخ من هذه الرسائل ورفضت هى؟ وهل لهذا علاقة بحملته عليها؟

لايقول لنا شيئا عن هذا، ولانعرف نحن ماذا تنوى أن تفعل السيدة **سوزان** بها، وهل هى تنوى أن تبيعها أو تهديها إلى إحدى الهيئات الثقافية الكبرى فى فرنسا أو الولايات المتحدة، كما يفعل الكثيرون؟

إننى لا أريد أن أصور السيدة **سوزان طه حسين** فى صورة مثالية غير واقعية، فلابد أن لها عيوبها إلى جانب محاسنها- مثلنا جميعا- ولكنى أتساءل: لماذا هذه الحملة القاسية على سيدة تعدت الثمانين وتعيش سنواتها الاخيرة فى وحدة بعد أن مات زوجها وماتت ابنتها **أمينة**؟

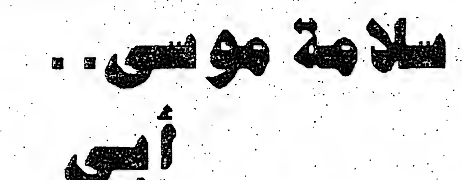
هل هناك سبب واحد يدعو إلى ذلك؟

ثم لماذا هذه الأقوال المنسوبة إلى مؤنس والتى توهم القارئ وكأنه يهاجم والدته، دون أن يقول لنا د. **مصطفى عبد الغنى** مصدره فى هذه الأقوال المنسوبة إلى **مؤنس** الابن؟ وكيف يصل الانسان منطقيا إلى أنها تكره العرب المسلمين لأنها لم تعبر فى كتابها «**معك**» عن إندهاشها لعظمة قصر الحمراء ولا لقمة البناء العربى عند زيارتها لاسبانيا؟

إننى مازلت أتساءل حتى اليوم: لماذا هذه الحملة الظالمة؟ وماذا وراءها؟.. وتخطر فى ذهنى إجابات محتملة عديدة لا أدرى أيها الصحيح فهل يكون د. **مصطفى عبد الغنى** قد تصور أن مثل هذه الحملة هى خير مقدمة لكتاب له عن **طه حسين** يصدر قريبا؟

لو كان قد تصور هذا فإنه لاشك قد أساء التقدير





سلامة موسى.. أبى اشتراكى.. علمانى.. داعية للحرية والتصنيع وتحرير المرأة وتأميم قناة السويس ولكن؟!

فريدة النقاش

التنوير. .التنوير.. التنوير.. قادة التنوير. مفكرو التنوير.. منابر التنوير..

هذا هو الهم الرئيسى الذى يشغل الحياة الثقافية المصرية خلال العقد الأخير فيجرى الاحتفال بطه حسين والعقاد، بالرافعى وزيدان الذى شهدت «الهلال» المجلة التى أسستها احتفالا قوميا حكوميا فى ذكرى تأسيسها المائة..

ولكن المنابر الكثيرة والهيئات المتعددة حكومية وشعبية أسقطت من حسابها سواء بالعمد أو بالتواطوء أو مجرد النسيان اسمين لعبا دورا تأسيسيا فى مسيرة التنوير .. وأغناها كل منهما على طريقته هما «سلامه موسى» «ومى زيادة».

ونشترك «سلامة موسى» و«مى زيادة» فى انتمائهما للأقليات التى يجرى تهميشها واستبعادها من الوعى الجماهيرى.. الأقباط والنساء.. ومأساة «مى» مضاعفة لأنها كانت إمرأة وذات أصل فلسطينى ومولد لبنانى وإقامة مصرية.. وكانت أيضا مسيحية والدراسة النزيهة لما اصطلح على تسميته بحركة التنوير المصرية التى تبلورت ملامحها الرئيسية فى بداية القرن وازدهرت فى الفترة الليبرالية القصيرة العمر فى ظل انتصار ثورة ١٩١٩، تبين لنا أن دور كل من «مى زيادة» و«سلامة موسى» يفوق من حيث التنوع والعمق والإتساق الفكرى أدوار الكثيرين الذين اتسمت مسيرتهم السياسية والفكرية بالتناقض والتقلب. ويكفى أن نقارن بين موقف سلامة موسى والعقاد من قضية «تحرير المرأة» لنكتشف إلى أى حد كان سلامة موسى متسقا ومتقدما، بينما شن العقاد الذى دافع عن حرية الفكر فى أول حياته حملة ضارية ضد المرأة على أسس عقلية وفيسيولوجية أما «مى زيادة» التى عاملتها الأقلام الرجالية باعتبارها صاحبة صالون جميلة ومستعصية فقد جرى إهمال إنتاجها الفكرى المتقدم الذى تعلم منه كل من توفيق الحكيم وسلامة موسى باعترافهما، وعلى مايبدو فإن الحركة النسائية المصرية التى ماتزال تتخبط فى مشكلاتها التنظيمية والفكرية وضعفها السياسى، وقد فاتها أن تحتفل بالذكرى المئوية لميلاد «مى» سنة ١٩٨٦ تستيقظ الآن على مافاتها وتسعى لتدارك أشياء كثيرة.

تزييف الكاتب

أما «سلامة موسى» والذى حلت ذكرى ميلاده المائة سنة ١٩٨٧ولم يتذكرها الذين يتنادون لاحياء ذكرى كبار المنورين والاحتفال بها فقد أصدر ابنه الدكتور «رءوف سلامة موسى» كتابا ممتعا: «سلامة موسى.. أبى» ليتخذ أول احتفال جدى بهذا المفكر الكبير طابعا أسريا حميما وربما كان هذا الطابع نفسه هو سر حرارة الكتاب وتدفقه فهو تحية إجلال وامتنان من إبن هو شاهد جيل، لأب هو واحد من أعظم أساتذة هذا الجيل وأبعدهم أثرا فى ثقافته وتكوينه واتجاهاته العقلانية الحاسمة على نحو خاص.

يقول سلامة موسى لرءوف فى رسالة بينما كان الأخير يدرس فى «لندن» «**أنت لاتعلم من أين أستمد أفكار مقالاتى، لأنك جاهل لاتقرأ الكتب وأنت لاتستطيع أن تكتب كتابا عنى لأنك لم تقرأ جميع مؤلفاتى..**»

وعلى مايبدو فإن الدكتور رءوف قد استوعب كلمات التوبيخ المهذبة تلك وأخذ يقرأ كل ماكتبه أبوه لكى يقدم لنا كتابه هذا الذى هو بانوراما شبه كاملة لحياة «سلامة موسى» الفكرية والسياسية والاجتماعية، ويختار فيها بعض أهم النماذج من كتاباته فى كل مراحل حياته ومعاركه.

وكأى عصامى قرر أن يبنى حياته بنفسه مثابرا مجتهدا كان سلامة «يعيش عيشة خشنة صارمة، تكاد تخلو من الزيادات أو الرغبات، فهو يتقبل هذا لأنه واجب وضرورى وهو يأكل ذاك لأنه يفيده، وهو لايضيع وقته فى سخف القول أو الحديث أو لمجرد التسلية أوزج (تزكية) الفراغ، وهو لايذهب الى السينما، ولا أظنه كان يستسيغ الشعر، أو الرسم، أو يميل الى الموسيقى عربية كانت أو إفرنجية، كلاسيكية أو حديثة.. باختصار «كان سلامة إستغنائيا..» وكان أيضا صارما يتوجه الى قلب القلب من الأشياء ليكتشف المفيد منها.. وللمفيد حكاية أخرى مع نقاد «سلامة موسى» وأولهم المفكر المغربى «عبد الله العروى» سوف نأتى اليها فيما بعد.

وانطلاقا من نظرته الجدية تلك للأمور استطاع أن يرى فى بعض الكتابات الساخرة الخفيفة جانبها السلبى فهو يعتبر «أنيس منصور» تلميذا مخلصا لكامل الشناوى وأنه - أى أنيس- «يستطيع أن يعثر فى أكثر المواضيع جدية على تفاهتها..» واذا لم يجدها. اختلقها.. إن «أنيس منصور» صاحب الذين «هبطوا» والذين «عادوا» والذين «صعدوا»، يحضر فى رحلته التى بدأت فى كيرالا بالهند ثم امتدت حول العالم بعض الأرواح «بالسلة» ومن بينها روح سلامة فتكتب له روح سلامة أن أفكاره التى سبق أن كتب عنها فى التطور والإشتراكية وغيرهما قد تغيرت، وأنه يلمس الآن زيفها!!

ولعل الذين يذكرون وقائع هذه «الهوجة» من تحضير الأرواح فى الستينات والتى قادها أنيس منصور لتلقى إستجابة واسعة بين الشباب، فلم يكد يفلت منها بيت واحد فى مصر حيث راجت السلال والحواديت عن الأرواح المستحضرة.. يتذكرون أيضا أن هذه كانت فترة النقاش الجدى حول الاشتراكية والتأميم والوحدة العربية والصراع العربى الصهيونى والإصلاح الزراعى والتصنيع.. الخ.

وعقب وفاة «سلامة موسى» اختلفت

آخر صورة لسلامة موسى

أسرته مع مؤسسة أخبار اليوم التى أعلنت عن نشر كتاب هو آخر كتبه هو «الصحافة حرفة ورسالة» وقد أثار الكتاب لغطا شديدا إذ وجد البعض أنه يضم بالفعل كتابين الأول هو أسلوب ومنهج وكتابات سلامة، والثانى هو ماأضيف اليه من مذكرات أحد صاحبى أخبار اليوم.

وبذلت الأسرة جهودا لمعرفة الأمر «وقد بدأنا مقابلتنا لعلى أمين. بمنتهى الكياسة واللطف. فذكرنا أننا لم نر أصل الكتاب. كما لم يصلنا من أخبار اليوم أية مخلفات أو أوراق تركها سلامة بها. ولكن هناك انتقادات حادة ومنشورة بخصوص كتاب «الصحافة» الذى نشرته الدار من دون أن تضع اسمها عليه كناشر. وهذه الانتقادات تمس أخبار اليوم، كما تمسنا. ومن الواجب الرد عليها، ولابأس من أن نطلع على الأصل الذى طبع منه الكتاب، ونعلن شهادتنا أننا قد رأيناه مكتوبا بخط سلامه.

وهنا صرخ على أمين فى وجهينا: لن أطلعكم على شئ، لايقول هذا الا الشيوعيون، أتظنون أننا دكان فى حارة، إفعلوا مابدا لكم وكان على أمين قبل هذا بدقائق قد قدم لنا فنجانين من القهوة، ولكننا خرجنا من عنده نجر أذيال الخيبة، قبل أن تلمس القهوة شفاهنا، بينما يتردد فيما بين أذنينا إتهام على أمين لنا بالشيوعية، فى وقت كانت أخبار القبض عليهم تنتشر فى كل مكان..!!!

ولكن الأسرة تعيد طبع الكتاب الأصلى خاليا من التمجيد لمدرسة أخبار اليوم فى الصحافة والذى كان مدسوسا على الكتاب...

لقاء مستحيل

يتحدث سلامة موسى فى الكتاب عن الوسائل التى أفسدت بها الحكومات صحافة البلاد، فيذكر الآثار المقيتة لقانون المطبوعات، والمصروفات السرية والاعلانات الحكومية، ويقول إن واجب الصحافة هو أن «تربى» قراءها. وهو مافعله «سلامة موسى» طيلة خمسين عاما من العمل الصحفى المنتظم.. ساعيا «لتربية» القراء بأفكار الحرية والعلمانية والاستقلال الوطنى والعقلانية ورفض التبعية، ورفض العادات والتقاليد البالية، والدعوة للتصنيع وميكنة الزراعة وتحديث الريف ونشر العلم والفكر العلمى والتعليم المدنى وتعميمه بحيث يشمل البنات والأولاد وتحرير المرأة وتحديد النسل وتأميم قناة السويس..

ولم يكن غريبا والأمر كذلك أن يقول سلامة موسى يوم انتصار ثورة يوليو ١٩٥٢ «إن هذا هو أجمل يوم فى حياتى..»

فقد كان هو الاشتراكى النقابى المخلص الذى يؤمن بالتطور التدريجى لا الطفرة، يحلم بمجتمع يقوم فيه العدل وترفرف عليه رايات الحرية بالتراضى بين الرأسمالية والعمال ويؤمن بأن مثل هذا المجتمع لن يقوم الا بمبادرة من الطبقة الوسطى وحتى الأثرياء وهى نفسها الخطوط العامة لأفكار ثورة يوليو التى بدأت بالاشتراكية التعاونية وانتهت بالقول بالرأسمالية غير المستغلة.. ولكن تناقضات يوليو الأكثر عمقا جعلت لقاء «سلامة موسى» مع الثورة شبه مستحيل على الصعيد العملى بل إن «الرقيب الثورى» على حد تعبير الدكتور رءوف قام بشطب بل مصادرة بعض كتابات هذا المفكر الذى كان له شرف التنبوء باتجاه الأحداث نحو التغيير والتبشير بهذا التغيير والدفاع عنه. ولكن سرعان ماوجد نفسه يصطدم مع ممارسات البيروقراطية الجاهلة.

***

ولد سلامة موسى فى ٤ يناير ١٨٨٧ فى كفر سليمان المفى بجوار الزقازيق وتوفى والده وهو فى الثانية من عمره فدللته أمه لأنه آخر أبنائها، وله شقيق واحد وأربع شقيقات، وقد ترك له أبوه إرثا يخصه خمسة وعشرين فدانا.



سلامة موسى وزوجته إميلى موسى

بعد أن شفى فى طفولته من مرض طويل - زاد تعلق أمه به- التحق بكتاب إسلامى وآخر مسيحى ولكنه لم يخرج منهما كما يقول، إلا ببعض الآيات والصلوات، وبعد ذلك التحق بمدرسة الجمعية الخيرية القبطية فى الزقازيق التى نال منها الشهادة الابتدائية.

وفى عام ١٩٠٣ حضر الى القاهرة لاتمام الدراسة الثانوية فوقع على بعض أعداد مجلة **المقتطف** لمحررها «**يعقوب صروف**» و«**الجامعة**» لمحررها «**فرج انطون**» واهتم بالسياسة عن طريق جريدة «**اللواء**» التى كان يصدرها الحزب الوطنى بقيادة **مصطفى كامل**» «**والجريدة**» التى رأسها **أحمد لطفى السيد** وكان الأخير أستاذا لسلامة بكل معنى الكلمة. ويكتب سلامه عن تكوينه الوطنى فى ذلك الحين متذكرا الحكم فى قضية دنشواى «**عمنى جمود يشبه الغثيان، فلم أستطع الأكل جملة أيام، ودارت فى رأسى خواطر صائبة عن هؤلاء المعتدين على بلادنا وأهلنا ولاتزال دنشواى عندى من الذكريات النفسية الأليمة..**»

وقد عرف سلامة «**شبلى شميل**» منذ حوالى عام ١٩١٢ وباحثه وصارحه فى مختلف نواحى الثقافة والإجتماع، وصاحبه فى ندواته، وجلساته على مقاهى وبارات المتبة، ورافقه فى زياراته «لمى» التى كانت معرفته بها وثيقة وبعد إتمام دراسته الثانوية سافر الى باريس ولندن ليتعرف على الثقافة الأوربية وفى لندن ينضم الى **الجمعية النقابية الاشتراكية** ليشارك بعد ذلك فى **تأسيس الحزب الإشتراكى المصرى** ويسعى لدفعه فى إتجاه أفكار النقابيين أو ماأسماه هو بعد ذلك **بالأشتراكية المعتدلة**» «**وكان هوبسوم قد أسس الجمعية النقابية فى لندن عام ١٨٨٤، وقد أرادها أن تكون أداة نقاش وحركة للطبقة الوسطى فى انجلترا، تستطيع عن طريقها التأثير فى حزب العمال البريطانى والحركات العمالية الأخرى، والقضاء بالتدرج والتسلل، لا المصادمة أو المواجهة، على البورجوازية الانجليزية..**

وقد اختار «هوبسوم» هذا الإسم لأن القائد الرومانى «فابيوس»، لما وجد أنه لايستطيع مواجهة جيش خصومه، آثر أن يتصدى لأطراف هذا الجيش، وأن يقضى عليه جزءا بعد جزء..»

ومع أن ويلز (هـ ج ويلز) مؤلف روايات الخيال العلمى، كان أقرب إلى مزاج سلامة من شو، فإن سلامة قد فتن بالأخير بقامته الطويلة، وشعره ولحيته الصهباء وفكاهته الآسرة، وحديثه الخلاب و«كان من نتيجة هذا الاعجاب، أن ترك سلامة أكل اللحوم، وأخذ بمذهب النباتيين الذى كان يتخذه شو. ولكن سلامة لم يحتط فى غذائه، بتعويض اللحوم التى أقلع عنها بالبروتينات النباتية كالبيض فساءت صحته، وظن طبيبه أن من الواجب عليه أن يعود الى أكل اللحم وأن يترك جو انجلترا البارد نوعا فترة من الوقت الى بلد دافئ وهكذا سافر فى نهاية عام ١٩٠٩ الى طنجه فبقى فيها أسبوعين وقد كتب فى هذا مقالا نشرته له المقتطف (**أسبوعان فى المغرب**) فى يناير ١٩١٠، وقد أقنعته زيارته القصيرة للمغرب بعدم جدوى كل أمل فى الشرق وعاداته».

كان هذا قول رجل أخذ يتكشف الحضارة الغربية.. يقرأ الكتب ويحضر الندوات والمسارح ويتابع المعارك السياسية والثقافية فأضجره الشرق الذى لصق فى ذهنه منه بعد زيارة لأستنبول والمغرب «**جلوس الوطنيين كسالى للتدخين وتشبع الجو حولهم بالدخان الخانق..**»

تحرير العقل

ولما لم يكن «سلامة» رجل أحلام فقد أخذ يبحث عن الطريقة التى ينهض بها الشرق ويواجه أعداءه من المحتلين الأجانب أو المستبدين من أبنائه ويلتحق بركب التقدم والحضارة..

أخذ الشاب المفتون بحضارة الغرب وتقدمه يتساءل فى بداية حياته «**ماهو دورى؟ من هم أصدقائى، ومن هم أعدائى؟**

إن همى هو أن أعرف، وأن أفهم، وأن أكافح الإنجليز حتى يجلوا عن بلادنا، وأيضا أن أكافح تاريخنا، أكافح هذا الشرق الذى تنفل فيه ديدان التقاليد..»

اختار الثقافة كأداة فكتب وترجم وحاور وناظر وأدخل فنونا جديدة إليها بعد عودته.. وشغلته قضايا رئيسية طيلة حياته حرية الفكر، نشر العلم والتعليم تحرير المرأة ، فصل الدين عن الدولة تحديث الريف، تأميم قناة السويس إجلاء الانجليز عن مصر، التنبيه الى مطامع الصهيونية فى فلسطين والدعوة للاشتراكية.

وكتب فى كل هذا بلغة جديدة بسيطة أسماها تلغرافيه. خاطبت كل الناس وأنشأ الصحف والمجلات فصادرتها السلطات، كتب فى الصحف القائمة باسمه وبدون إسمه وأنشأ جمعية «المصرى للمصرى» لنشر الدعوة الوطنية الاقتصادية المصرية فحارب كل ماهو غير مصرى، مستهدفا تطوير الصناعة والزراعة والثقافة والصحافة فى مصر. وشن هجوما واسعا على الصحف السورية فى مصر التى لم تتعرض لما تعرضت له الصحف الوطنية من ملاحقة. واغلاق لأن الأولى كانت تمالئ الاستبداد والإحتلال. دافع سلامة موسى عن حرية الفكر دون قيود أو حدود. وكتابه «حرية الفكر» من الكتب التى كان يتباهى سلامة بكتابتها ونشرها، وقد كرر فيه أن الأفكار الجديدة قد تقلقنا، ولكن ثقافتنا تتطور عن طريقها. وحتى اذا تضمنت هذه الفكرة أخطاء، فأن تقبلها يساعد على تنقيتها من أخطائها.. وترتبط حرية الفكر بحرية التعبير فالتفكير لايكون حرا طليقا حتى نستطيع الإفضاء به إلى غيرنا.

«لأن الفكرة طاقة، أى قوة من قوى الذهن، لاتزال محتبسة شأنها شأن جميع القوى المحتبسة، تعذب الذهن حتى تنصرف بالعمل، أى بالتصريح بالفكرة..

وفى عام ١٩٤٥ كتب كتابا آخر أسماه «حرية العقل فى مصر» أهداه لدار الفجر الجديد بالقاهرة وكانت دارا ماركسية ويتضمن الكتاب «دعوة ساخرة ومحدده لرفع القيود عن عقول المصريين، والغاء الرقابة، وإدارة المطبوعات التى تتحكم فى إصدار تراخيص الصحف والمجلات..»

وقد عبر سلامة عن حزنه العميق لأن «طه حسين» بعد أن كسب معركة «فى الشعر الجاهلى» الذى استخدم فيه المناهج النقدية الحديثة، عاد وغير اسم الكتاب وغير بعض فصوله ليسميه «فى الأدب الجاهلى» وينهى بذلك واحدة من أهم معارك حرية الفكر فى بداية القرن.

وراحت دعوته لنشر التعليم وتحريره من قبضة الشيوخ «الذين يفسدون عقول الصبيان فى الكتاتيب.. مما ينتج عنه اختلاف عقولهم عن عقول الصبيان الذين يتعلمون فى المدارس الجديدة..»

العلمانية

أما معركة العلمانية فكانت واحدة من أهم مادار فى هذه السنوات الخصبة فكان واحدا من قلائل يرفعون راياتها ويساندون كل خطوة على طريق تقدمها «إن اختلاط الأديان بالسياسة كان على الدوام مصدر آلام وحروب. بينما السلم والرخاء كانا فى إبعاد الدين عن السياسة وأن تعاليم الاسلام والمسيحية تقرران أن الدين علاقة خاصة بين الانسان وربه، وليس لأحد أن يجعل من نفسه رقيبا عليها..»

وفى يناير ١٩٥٢ طالب سلامة على صفحات جريدة مصر بتعديل الدستور بحيث يفصل الدين عن الدولة..

وساند بقلمه كتاب خالد محمد خالد من هنا نبدأ الذى رد عليه محمد الغزالى ناقدا لكتاب آخر أطلق عليه اسم من هنا نعلم»

ولكن خالد محمد خالد، بعد أن ذاع اسمه بكتابه النقدى الأول الذى وضع الخطوط العريضة لإسلام علمانى قادر على تطوير نفسه، عاد فانكفأ كماهى العادة فى شرقنا العربى، وبين شبابنا الواعدين قانعا بكتابات أخرى أقل طموحا ، حاظرا نشر كتابه «من هنا نبدأ» مرة أخرى.

وقد حزن سلامة موسى حزنا عظيما حين تبين له بعد انتشار جماعة الاخوان المسلمين فى نهاية الأربعينات «أن الانسان لم يعد يستطيع التفريق بين صحافة الوفد وصحافة الاخوان المسلمين».

وكانت حملة الاخوان المسلمين بسبب دعوته العلمانية قد اشتدت «وأخذ الشيخ محمد الغزالى يكتب فى الدعوة سلسلة من المقالات باسم «بين الهلال والصليب» يتحدث فيها عن «عصابة سلامة» التى تطالب بفصل الدين عن الدولة، وأدان فى كتابه «التعصب والتسامح بين المسيحية والاسلام، مبدأ الوحدة القومية الذى أبرزته ثورة ١٩١٩، وذكر أن تناسى المسلمين والأقباط لديانتيهما ووقوفهما صفا واحدا «كان أمرا غريبا على تقاليد البلاد وأن كثرة الموظفين الأقباط فى بعض الإدارات «إقصاء للإسلام وتغليب لغيره..»

ولكن سلامة موسى كان يضطر فى بعض الأحيان للسكوت عندما تدور المعارك

سلامة موسى يتوسط حفل القسم الثقافى بجمعية الشبان المسيحية ١٩٤٤



بين العلمانين ودعاة الدولة الدينية بسبب حرج موقفه كقبطى وبسبب تربص دعاة الدولة الدينية به وبأفكاره رغم أنه كان هو أول من دعا للاحتفال بمرور ألف عام على إنشاء الأزهر..

هذا الاحتفال الذى تم فعلا دون أن يدعى إليه سلامة مما سبب له ألما عميقا.

وكان عداء الإخوان المسلمين له قد بلغ حدا جعله فى نهاية الأربعينات خائفا من الاغتيال إما عن طريق السراى ومعاونيها وأذنابها، أو عن طريق التنظيم السرى للإخوان المسلمين.. وكتب سلامة موسى فى عام ١٩٥٠ مقدمة لكتاب الدكتور «زغيب ميخائيل «فرق تسد» جاء فيها «هذا كتاب أحب أن يقرأه إخوانى الأقباط، ثم ينسوه. وأحب أن يقرأه إخوانى المسلمين ثم يذكروه بل يتذاكروه فقد ملأ هذا الكتاب نفسى مرارة، حتى لقد أحسست وأنا أنتقل بين فصوله أنى أتذوق علقما لايغادر طعمه لسانى ولهذا أحب أن أنسى ماقرأت..» الى أن يقول: أن من الأحسن أن يعرف إخواننا المسلمون كل هذه الحقائق التى يذكرها الكتاب، فانها تهوية حسنة لابد منها كى نعود فنتنفس فى نقاء وصفاء وبينما السكوت على هذه المظالم كظم يؤذى الأقباط فى الحاضر والمسلمين فى المستقبل ويؤذى الوطن كله ويفككه فى كل وقت..»

إشتراكى.. ولكن

أما اشتراكية سلامة موسى النقابية والتى جسدها باعتباره أحد تيارين قادا الحزب الاشتراكى المصرى الأول.. الماركسى والنقابى.. فان الحزب فى نظره «لن يكون عدوا لكبار ملاك الأراضى والمصانع من المصريين الذين اشتهروا دائما برعايتهم لعمالهم وأنه سيكون صديقهم الذى يعاونهم على تحقيق أغراضهم التى يشاركهم الحزب الرغبة فى تحقيقها ويحالفهم فيها ضد ملاك الأراضى والمصانع الأجانب..»

أى أن اشتراكيته كانت نوعا من الدفاع عن الرأسمالية الوطنية ضد الاحتلال والنفوذ الاقتصادى الأجنبى وحين تحداه محمد حسين هيكل باشا أن يحدد له صورة الاشتراكية المصرية كما سيراها ريف مصر، وكان هيكل باشا نفسه زعيما لحزب من أحزاب كبار الملاك هو الأحرار الدستوريون» وهو أيضا مالك كبير رد عليه سلامة موسى فى الأهرام «أننا نتصور الملكية الزراعية وقد انتقلت الى الدولة، وأصبحت مصر مزرعة واحدة كبيرة تحركها الآلات الميكانيكية، وأن الصورة الحاضرة التى يزرع بموجبها خمسة ملايين فلاح عشرة ملايين فدان سوف تتغير، فلا يعمل بالزراعة الا نصف مليون فقط، بينما يعمل الباقون بالصناعة. وأن مجرد قيام هذا التغيير سوف يحقق الاشتراكية لمصر..»

أى أن إشتراكيته كانت سوف تتحقق تلقائيا بالتصنيع ومكينه الزراعة دون أن تمر بالصراع الطبقى أو الفعالية العمالية والشعبية المنظمة المكافحة انها إشتراكية تقوم على التراضى بين الطبقات... ويقول الدكتور رؤوف «تؤكد التقارير الانجليزية أن وزارة الداخلية فى مصر، كانت تراقب الحزب منذ تأسيسه عن كثب، وأنها قد أمهلته شهورا لتتبين وقائع الأمور وحصر أهدافه ومعاونيه، وأنه قد تأكد لها أن أعضاء الحزب والفروع كانوا مجموعة من المثقفين، وبعيدين عن التطرف أو تشجيع وتنظيم الاضرابات العمالية التى قام بها الفرع السكندرى بعد ذلك..!

وكتب سلامة للأهرام فى ٤ أغسطس معلنا «أن ما فعله فرع الاسكندرية يناقض ما اتفق عليه عند تأسس الحزب، من التأكيد على أنه حزب اشتراكى وليس شيوعيا، وأن سبله وأهدافه مصرية ومحلية، وليست شيوعية أو عالمية. وأضاف: أن السياسة الحكيمة التى اتبعها الحزب بالقاهرة قد أدت الى انضمام أعداد كبيرة من المحامين والأطباء والطلبة اليه، والى فتح فروع له فى الأقاليم. وأن الطريق الذى يجب أن يسير فيه الحزب يجب أن يمر بالطبقة المتوسطة، وحتى بالطبقة الثرية، وليس بالطبقة العمالية وحدها، لأن مصر لم تتميز بعد بطبقة عمالية مكافحة، وأما طريق الثورة فسيؤدى بمن يتبعه الى ماهو أسوأ من الفشل..» وحذر سلامة فى نهاية تحليلة من أن انشاء حزب شيوعى فى مصر سيجنح بالحركة الاشتراكية فيها الى العنف، وسيضع عقبات أمام الحركة الوطنية لاجلاء البريطانيين وسيسىء الى مستقبل الاشتراكية فى البلاد..!

سلامة موسى فى شتاء ١٩٥٣ وزيارة آثار مصر القديمة/ دندرة



النهضة.. والحملة الفرنسية

أما الطريق إلى هذه «الاشتراكية» فإنه يمر بالنهضة التى يقول سلامة اننا يجب أن نكون مالكين وصانعين لها وليس مجرد ضيوف أومستأجرين،» ولن نملك هذه الحضارة «الا إذا صنعنا بعقولنا، وصبغنا وسبكنا بأيدينا أدواتها وقوالبها..» والعرب كما يقول لم يكونوا زمن نهضتهم «مجرد نقلة لتراث الاغريق فهذا التراث كان فى أغلبه فلسفيا «ولكن العرب نقلوا لأوروبا شيئا جديدا هو التجربة التى هى صميم العلم حتى ان العلم فى أوروبا زمن نهضتها كان يوصف بأنه العلم العربى ويقول أيضا «أن النهضة ليست هى العودة للقديم، وقيمها ليست هى قيم القدماء وأنى أخشى أن ننتصر على المستعمرين ونطردهم، وعلى المستغلين ونخضعهم ثم نعجز عن أن نهزم القرون الوسطى فى حياتنا..»

وكان مفهومه للنهضة يكاد يتطابق مع مفهوم «طه حسين» لها أى أن نكون مثل الغربيين وأن نسعى للحاق بهم حتى أنه حين حذر العرب فى سنوات ١٩٣٤ -١٩٣ من «المجلة- الجديدة» من النشاط الذى يقوم به الصهاينة فى فلسطين وحذرهم من المستقبل الأسود الذى ينتظر فلسطين مالم يتلاف العرب الهزيمة المحققة بأن يتخذوا جميع الأسلحة التى يحاربهم بها اليهود على حد تعبيره، ويقصد بهذه الأسلحة تطوير الزراعة، وترقية الصناعات الزراعية، وتأليف الجمعيات لشراء الأرض اليهودية أو لاسعاف المزارعين الفلسطينيين حتى لايبيعوا أرضهم لليهود، وكذلك تحرير المرأة، وانشاء الصناعات الكبيرة

الحديثة..» ولكنه بعد أن وصف الدواء لداء الصهيونية الخبيث ولم يستمع اليه أحد، أخذ **يطالب بالاعتراف بإسرائيل والصلح معها وهو مادعته اليه نزعته العلمية الخالصة** بل أن هذه الدعوة للصلح مع اسرائيل يمكن أن نتتبع جذورا لها فى تفسيره للحملة الفرنسية على مصر التى رآها بداية نهضة و بينما تتجه الدراسات التاريخية الموضوعية الحديثة للكشف عن الدور الذى لعبته الحملة الفرنسية فى إجهاض النمو الرأسمالى الوليد فى مصر حينذاك.

الثورة .. وطه حسين

كان سلامة موسى بتراثة الغنى هذا ومعاركه الممتدة من أجل الاستقلال والتحديث والعدالة وتحرير المرأة جديرا بأن يصبح مفكر ثورة يوليو التى جاءت لتضع على جدول أعمالها بعد تخبط قصير ذلك البرنامج الذى طرحه سلامة موسى باستثناء قضيتين رئيسيتين، ويا لهما من قضيتين حاسمتين وماتزالان حتى هذه اللحظة الأولى هى حرية **الفكر والنشر دون قيود، والعلمانية وفصل الدين عن الدولة واعتباره شأنا شخصيا بين الانسان وربه.**

ولعل احجام ثورة يوليو عن حسم هاتين القضيتين المرتبطتين ارتباطا وثيقاً أن يكون سببا من أسباب إخفاقها الكامل فى ميدان الثورة الثقافية، وتفريخها للبيروقراطية ضيقة الأفق التى أهدرت كل شئ.

ويبقى السؤال لماذا دفعت ثورة يوليو بسلامة موسى جانبا؟ بل إنها خاصمته واصطدمت به كما يحكى إبنه.. اذ أنه «مما لاشك فيه أن أخبار اليوم الى جانب ثورة يوليو ١٩٥٢ كانتا رقيبتين قويتين على كتاباته؟ ويضيف: «وعندما فكرنا فى نشر كتابات «**إنتصارات انسان**» فى عام ١٩٦٠ شاملا الدعوات التى نادى بها سلامة فى حياته، ثم تحققت بعد ذلك مما عددناه إنتصارا له، مثل **الاشتراكية والتصنيع والأخذ بالعلوم**، و.. حذف الرقيب الحكومى حوالى نصف محتويات الكتاب وذكر لى شخصيا عندما ذهبت أحتج لديه انك لم تترك شيئا للثورة ولجمال عبد الناصر»

ثم «وأبرقت لعبد الناصر بما حدث ظانا أنه سيسمح لنا باصدار الكتاب كاملا ولكنه لم يأبه بالرد، وأصرت الرقابة على موقفها..» ويقول فى مكان آخر «ان عبد الناصر قد أدار ظهره لسلامه حتى وهو يتلقف دعواته».



سلامة موسى بالجريدة المسائية فبراير ١٩٤٩.. من اليمين محمد رشاد ثم حلمى غالى. أحمد الصاوى. محمد وجدى. أحمد نافع. توفيق مصطفى. أحمد على

وقد امتد تجاهل الثورة لسلامة حتى بعد وفاته «فلم يحصل على أى نوع من أنواع التكريم». وبخصوص التكريم يحكى الدكتور رؤوف واقعة بالغة القسوة تكشف لنا جانبا مظلما من شخصية «**طه حسين**» يقول «وقد نصحنا الناصحون أن نتقدم بطلب تقرير معاش إستثنائى لوالدتى. وقالوا إن المعاشات الاستثنائية تقرر للألوف فى كل عام. فتقدمنا بطلب **لجمال عبد الناصر** وزرنا **محمد حسنين هيكل** فى جريدة الأهرام لمساعدتنا، وقد وعدنا ولكنه لم يفعل شيئا هو الآخر. وزار صديق لسلامة هو «**حليم مترى**» **الدكتور طه حسين** (باشا) فى منزله وطلب منه أن يوصى على طلبنا، ولكن طه حسين أجابه:

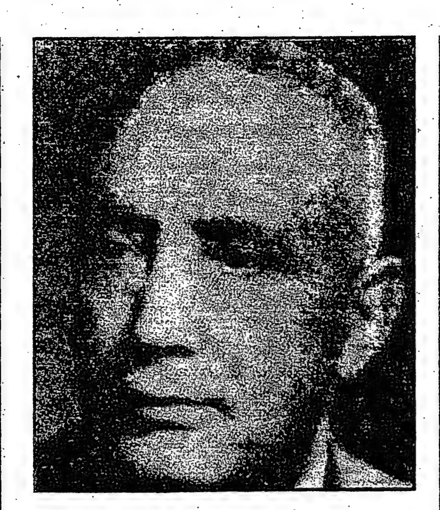
- **أن سلامة قد هاجمنى فى السنوات الأخيرة.** وذكره حليم مترى إن سلامة قد كتب عنك ومدحك كثيرا منذ كنت شيخا معمما فى عام ١٩١٤، ثم فتح لك صدر مجلاته وعاونك فى مجلاتك وحقيقى أنه هاجمك أخيرا. ولكنك تعرف سلامة جيدا.. وقد هاجم أفكار الكثيرين فى حياته. ولكنه أبدا لم يهاجم شخصك، لأنه كان يحبك ويقدرك. ولكن وجه طه تجهم، وتمتم فى بطء هاهو يدفع الثمن..» ويستكمل حكاية المعاش قائلا. «نصحنا آخرون فى عام ١٩٦٢ أن نلجأ إلى بعض صغار موظفى وزارة الثقافة وقد نجح هذا السعى، وتقرر لوالدتى حتى وفاتها عام ١٩٦٩ معاش إستثنائى قدره ثلاثون جنيها شهريا..»

مدرسة سلامة موسى

ويبقى سؤال.. كيف كان **سلامة موسى** يرى نفسه كمثقف مصرى؟ فى مقال له بعنوان التيارات الثقافية المعاصرة فى مصر: «إن فى مصر الآن ثلاث مجموعات من الكتاب تتألف الأولى من **التقليديين** الذين لايزالون يكتبون عن العرب كأنهم أعظم جنس فى تاريخ الانسان... وتتألف الثانية . من كتابنا المعاصرين **الذين تأثروا بالغرب** وتميل اتجاهاتهم الى المحافظة ومن هؤلاء **توفيق الحكيم**.. ولكن أعظم شخصية فى هذه المجموعة من الكتاب، وفى الأدب المصرى الحديث عامة هو **طه حسين**، فهو أفضل نتاج للجامعة المصرية.. وطه حسين جاد من دون أن يكون قاطعا. **أما المجموعة الثالثة** فتتألف من هؤلاء **الكتاب الذين لايهتمون على الأطلاق بالدراسات العربية القديمة**، ويعتبرونها مجالا للمؤرخين، **ويحصرون إهتماماتهم فى الحضارة الأوروبية.** وليسوا جميعا من أهل اليسار بالمعنى الأوروبى لهذه الكلمة وإنما هم تقدميون. أو بمعنى آخر هم أكثر تحررا فى مواضيع الدين والسلالة والاصلاح الاجتماعى. وهم يؤمنون بفصل الدين عن الدولة. ويطالبون بمساواة الجنسين، ليس فقط فيما يخص التعليم العالى وانما بفتح جميع

الفرص أمام النساء على أساس المساواة الكاملة بالرجال. وبين هؤلاء الكتاب اشتراكيون من النوع الفابى الذى يماثل ويلز وشو، ومعظم الكتاب الأقباط هم من هذا الطراز..».

ونستطيع أن نستخلص بوضوح أن **سلامة موسى** يضع نفسه ضمن هذه المجموعة الثالثة ولعلنا نضيف أنه أجرأ وأكثر من عبروا عنها شمولية فى النظر ودقة فى تحديد القضايا وتصور الحلول.. فهو الأستاذ الأول لجيل برز فيه **لويس عوض ومحمد مندور** كتلاميذ مخلصين. يقول عنه **لويس عوض** فى مذكراته «أوراق العمر».«**قاد سلامة موسى خطاى نحو الإشتراكية**.. كذك دلنى سلامة موسى على هـ. ج ويلز فقرأت منه رواية «آلة الزمن» ورواية «جزيرة الدكتور مورو»، وذلك الكتاب الضخم فى تاريخ العالم الاقتصادى موجز تاريخ العالم..» ثم يضيف «ووجدت سلامة موسى صريحا فى إشتراكيته، صريحا فى زندقته **بينما وجدت العقاد زنديقا يغطى زندقته بمقولاته الفلسفية**. فيؤله الشعراء ويسوى بين وحيهم ووحى الأنبياء ويجاهر بعدائه للإشتراكية، ويدعوته للفردية. كان العمالقة الثلاثة زنادقة كل على طريقته الخاصة، كانت زندقة العقاد من منطلق مثالى، وزندقة سلامة موسى من منطلق مادى، أما طه حسين فقد كانت آية زندقته كتابه «فى الشعر الجاهلى» الذى قال فيه صراحة أن قصة ابراهيم وإسماعيل وبناء الكعبة ليست لها حقيقة تاريخية، بل هى مناقضة للتاريخ» وهو يرد على الذين إتهموا سلامة موسى بالطائفية «**ولا أعتقد أن سلامة موسى كان مسيحيا إلا بالميلاد**» وليس معنى هذا أنه كانت له اختيارات أخرى فقد كانت جميع أديان التوحيد فى سلة واحدة. وكان يتكلم عن الثالوث الأوزيرى كما يتكلم عن الثالوث المسيحى. وكان عاجزا عجزا تاما عن الميتافيزيقا بسبب تكوينه العلمى، فكان ينظر الى كافة الأديان من وثنية وتوحيدية نظرة الى ظواهر أنثروبولوجية، أى مجرد فولكلور راق. وأعتقد أنه كان محدود الخيال، **متخففا من الرموز، كان لايعرف الا الخيال العلمى، أما الخيال الأدبى فلم يكن له عنده وجود..**» ومات سلامة موسى وقلبه مفعم بالمرارة فى ٤ **أغسطس سنة ١٩٥٨** وكان قبل وفاته بثلاثة أعوام ونصف العام قد كتب رسالة لابنه رؤوف الذى يدرس فى انجلترا قائلا صحتى عال العال. انها صحة حصان ولا أظن أنى أغادر هذا الكوكب قبل عام ١٩٧٠ أو ١٩٨٠..».



سلامة موسى فى الخمسينات

والحق أنه غادره بجسده بينما بقيت ثمار عقله التى دونها فيما يزيد على الخمسين كتابا حية تنتظر من يعيد إكتشافها وتقديمها للشباب.

وتقول الباحثة **إيمان السعيد** التى نالت درجة الماجستير من قسم اللغة العربية فى كلية الألسن مؤخرا عن فن المقالة الصحفية عند سلامة موسى والتى عرضها عاطف مصطفى فى عدد مارس ١٩٩٣ من مجلة «الهلال» - تقول:

«إن الدراسات التى وضعت عن سلامة موسى سواء كانت على شكل رسائل جامعية أو مقالات أو بحوث أو كتب قليلة جدا بالنسبة لقيمته الفكرية والصحفية ولانستطيع القول بأنها أنصفته.. ويضيف عاطف مصطفى «وعلى الرغم من اختلاف الرأى حول سلامة موسى، ونظرة البعض اليه باعتباره لايجوز للأقلام أن تتناوله وأن تعيد الى الأذهان الأفكار التى كان ينشرها ويبثها، فأن هذه الآراء فى تصور الباحثة لم تكن لتقف عقبة أمام البحث العلمى الذى يهدف فى المقام الأول الى العرض والتحليل والتقييم بصرف النظر عما إذا كان الدور الذى قام به سلامة موسى إيجابيا أو سلبيا..».

ولعل هذه الفقرة الأخيرة أن تبين لنا- ولو من طرف خفى- طبيعة التعتيم على فكر وإنتاج سلامة موسى لدرجة إستبعاده تقريبا من قائمة مفكرى التنوير واهمال الاحتفال به.

الحقيقة.. هى «التقنية»!

وفى هامش ختامى يقول الدكتور **رؤوف سلامة موسى** «سمحنا لأنفسنا فى هذا العمل (غير الأكاديمى) أن نهمل من الأعمال ماظنناه يقوم على السباب أكثر مما يقوم على النقد. ومن هذا قصيدة **لحبيب زحلاوى** يصور فيها سلامة «نائما فى كنيسته على بنس قصيرة»، وكتابات للدكتورة **بنت الشاطئ** تقارع فيها الهواء مثلما كان يفعل سرفانتس» وسباب الطبيب **مصطفى محمود** لسلامة بأنه «ملحد» و«زنديق»، وكذا أعمال للدكاترة والأساتذة **محمد عماره وأنور الجندى، وعماد الدين خليل.. وغيرهم..**

لكن الدكتور رءوف يتجاهل نقدا آخر بالغ الجدية، ولعله هو النقد الذى يستحق التوقف والدراسة.. لكل من **عفاف لطفى السيد، ورفعت السعيد وعبد الله العروى.. تقول الدكتورة عفاف لطفى السيد فى كتابها تجربة مصر الليبرالية:**

«.. على أن هناك الكثير مما هو متناقض فى كتابات سلامة موسى وأفعاله: فقد كان يريد أن يقتلع التقاليد من أصل جذورها ويحل محلها حضارة أوروبية، ومع ذلك فقد كان مفتونا بمصر الفرعونية والتقاليد الشعبية فى صعيد مصر. كان يشن حملة من أجل ضبط النسل فى الوقت الذى أنجبت له زوجته ثمانية أبناء، وكان يحط من أهمية الدين فى الوقت الذى أنشأ فيه صحيفة للطائفة القبطية، وكان يلقى على مدى عشرين عاما محاضرة أسبوعية فى جمعية الشبان المسيحيين. كل هذه التناقضات سرعان ماأظهرها له خصومه...»

ولعل الدكتورة عفاف نسيت أيضا أن «تذكر أنه وهو الداعية المتحمس لتحرير المرأة وتعليمها ومساواتها بالرجل قد اهتم بتعليم ولديه تعليما عاليا فى أوروبا بينما انهمك فى الإعداد «لتزويج بناته».

وإذا كانت ملاحظة عفاف لطفى السيد عن التناقض بين بعض أفكار الكاتب وممارساته الواقعية يمكن أن تنطبق على الغالبية العظمى من المفكرين الذين ينتمون لكافة التيارات والمدارس الفكرية، فأن انتقاد المفكر المغربى «**عبد الله العروى**» فى كتابه «**الايديولوجية العربية**» موجهة للظاهرة كلها باعتبار أن رجل العلم والصناعة أو كما أسماه **عبد الله العروى** داعية

التقنية والذى وجد فى سلامة موسى خير تجسيد له وأكمله- أن هذا الانتقاد هو موجه لما اعتبره العروى لحظة من لحظات الوعى العربى الحديث الذى ميز ثلاث لحظات منه تتعاقب كما تتعايش.. هو الوعى المشيخى- الدينى، والوعى السياسى الليبرالى والوعى القومى العلمى.

وتقول عفاف لطفى السيد أنه «فى وصول الخبراء الفنيين الى الحكم بعد ثورة ١٩٥٢ لعله يمكن للمرء أن يرى ماكان يحلم به سلامة موسى عن رجل العلم قد أصبح أمرا محققا، أما إلى أين يقود رجل العلم مصر، فالزمن كفيل بالإجابة عن ذلك..»

ولما كانت عفاف لطفى السيد شأنها شأن عبد الله العروى قد كتبت كتابها قبل هزيمة ١٩٦٧ فإنه بوسعنا أن نعرف الإجابة المرة..

ويعرف عبد الله العروى داعية التقنية هذا قائلا «هذا الرجل الذى يدعو للتقنية دعوة عبادة كثيرا مايكون حزبنا لطيف المعشر لكنه ذهنيا إرهابى. إنه يرفض مناقشة آرائه، ويزدرى العلم النزيه،، والغرب بالنسبة إليه لم يعد عديم الشفا فيه كما كان فى نظر الشيخ، بل هو يشعر إزاءه بألفة وكأنه بلده، وهو يتكلم بلغته ملتزما منطقه، وشيئا فشيئا يغيم فى ذهنه الماضى وقضاياه، ويكف عن التساؤل. «ماذا كانت عظمتنا؟ ولماذا انحططنا» أذ يرى أن هذه أسئلة لاطعم لها. بل هو يمضى هاتفا.. الحقيقة ستأتى غدا، الحقيقة هى التقنية، وهو يعتقد أنه تخطى الشيخ والسياسى الليبرالى، والواقع أنه تملك الغرب بقفزة قصيرة، ودونما جهد، متخففا من ماضيه بسهولة مبالغ فيها، وذلك لم يجعل الغرب أكثر وضوحا بالنسبة له، بل أن تاريخه هو الذى أصبح أقل شفافية. وفيما يفقد السياسى الليبرالى وقد خانته الأحداث رصيده أكثر فأكثر يقوم داعية التقنية بالإعداد ذهنيا لإقامة دولة جديدة، وحين يحل ذلك اليوم فإن داعية التقنية سوف ينادى بالنصر وسيقول شأن «سلامة موسى» عام ١٩٥٢..«هذا أجمل يوم من أيام حياتى»

ولعلنا قد عرفنا من النزعة البراجماتية التجريدية المتأصلة فى قيادة ثورة يوليو كيف أنها رغم خيارها البيروقراطى العام قد اختارت من بين هؤلاء أهل الثقة وفضلتهم على أهل الخبرة الذين طاردتهم مثلما فعلت مع سلامة موسى ومحمد مندور ولويس عوض.. ثم قمعها الوحشى للشيوعيين الذين كانوا أقرب القوى السياسية الجديدة لطرح يوليو التغييرى التقدمى

يضيف عبد الله العروى:

«إن الوعى الداعى للتقنية ببعض علم النفس وعلم الاجتماع التفاضليين، ويلغى حرية الاختيار، ويستخدم تشددا طويلا رشيقا، وهو يحمل فى ذاته ممهدات لحل عسكرى..»

ولعل هذا المقطع يفسر لنا سر افتنان «سلامة موسى فى فترة من حياته بالفاشية

ويواصل عبد الله العروى:

«أن هذا العقل الإيجابى الذى يوحد كل شئ فى المقولات المجردة أين تجده فى مجتمعاتنا؟ إنه لايوجد فى المساجد، ولا فى المدارس الداخلية، ولا فى المصانع حيث النقابات والنزاعات الفوقية والتكاسل الفلاحى وضعف الانتاج تحد من العقلانية..»

ووفقا لهذه النظرة التكنولوجية التى نرى أنها- أى التكنولوجيا محايدة فأن «برامج التأميم والاصلاح الزراعى والتصنيع هى مجرد وسائل تقنية خالية من المدلول الاجتماعى..».

أما د. رفعت السعيد» فقد نقد واحدة من أفكار «سلامة موسى» الرئيسية حين دخل فى صراع مع الحزب الاشتراكى - وهو أحد مؤسسيه- والقائلة بالتناقض بين الوطنية والأممية، أى بين الولاء للوطن والدفاع عن استقلاله والانتماء فى ذات الوقت لقضية الكادحين فى كل أرجاء العالم، والدفاع عن الثورة البلشفية التى أسقطت القيصرية ورأس المال معا.

وقد أورد رفعت السعيد فى كتابة تاريخ الحركة الاشتراكية فى مصر ١٩٠٠- ١٩٢٥ رد محمد عبد الله عنان المحامى وأحد مؤسسى الحزب الاشتراكى على «سلامة موسى» قائلا: وقد وقع مقاله.. «لقد دعونا إلى تأليف الحزب الاشتراكى منذ عام وأصدرنا إذ ذاك بيانا أو برنامجا ندعو اليه. وقد مضى عام ونحن نعمل فى دائرة الطرق السلمية الهادئة ولم نهمل قط مراعاة مايسود البلاد من ظروف خاصة.. وقد جاهرنا ولازلنا نجاهر بأننا لسنا من الثوريين (بمعنى دعاة عنف) وأنا من دعاه التطور الاجتماعى والسياسى نقرر ذلك، ولكننا نقرر أيضا أننا نعتنق المبادئ الاشتراكية الماركسية، وأنا لانعرف اشتراكية «وطنية» اللهم الا أن تكون تلك التى تلقاها الرفيق «سلامة موسى» عن الاشتراكية الرجعية الانجيزية التى عاش فى ظلالها. مدة من الزمن..»..

إن تساؤلات هؤلاء المفكرين حول سلامة موسى لاتجد ردا فى كتاب الدكتور رءوف الذى قدمنا له قراءة أولى ومايزال يحتاج لقراءات ثانية وثالثة لأنه من المحتمل أن يحيى التطور المقبل فى مصر دعوة لقراءة سلامة موسى من جديد وعلى نطاق واسع.

سلامة موسى وأسرته فى مصيف المندرة بالاسكندرية سبتمبر ١٩٣٨



إسلام لاكهانة

خليل عبدالكريم

الذى يصدع بكلمة الحق، خاصة فى وجه الحاكم، عليه أن يدفع ثمنا غاليا: قد يكون رقبته أو حريته أو قوته ومن يعول وقد يموت غريبا طريدا لايجد الثوب الذى يكفن فيه،لإنه صاحب رسالة لابد له أن يبلغها ولا يهمه مايحدث نتيجة ذلك.

من هذا الصنف النادر من البشر: الصحابى الجليل **جندب (وقيل يزيد) بن جنادة بن سفيان بن عبيد المشهور بـ (أبى ذر الغفارى)**.

سمعهم فى مضارب قبيلة غفار يتحدثون عن رجل خرج فى مكة يزعم أنه نبى فأرسل أخاه «أنيسا» ليستطلع له حقيقة الأمر، فانطلق ثم عاد بخبر لم يشف غليله، إذ قال له : إنه يأمر بالخير وينهى عن الشر، فسافر أبو ذر بنفسه وبعد معاناة قابل الرسول عليه الصلاة والسلام وطلب منه أن يعرض عليه مايدعو إليه ففعل، فأسلم فى الحال فكان من الرابع فى ترتيب السابقين الأولين ولذلك كثيرا ماكان يردد باعتزاز شديد **(لقد رأتنى ربع الإسلام)**، وأبى عليه مزاجه النفسى إلا أن يجهر بإسلامه، - لإن مبدأه أن من اقتنع بحقيقة فعليه أن يصرح بها ولايكتمها فى نفسه، وهو مبدأ سيظل ملازما له حتى وفاته وسيعرضه لمحن وخطوب كثيرة- فخرج إلى فناء الكعبة وعلى رءوس صناديد مكة أعلن دخوله فى دين محمد فهموا بالفتك به لولا أن **العباس بن عبد المطلب أنقذه بأن ذكّرهم** أن قوافلهم تمر بمضارب غفار قبيلة الرجل، ولو ناله أذى منهم فإن تجارتهم سوف تمنى بخسائر فادحة فكفوا أيديهم عنه.

وعاد إلى قبيلته ثم هاجر فيما بعد إلى المدينة،ولازم الرسول عليه السلام الذى قدر فيه شجاعته فى إبداء رأيه وصلابته فى الحق فقال عنه:

«ماتقل الغبراء ولاتظل الخضراء، من ذى لهجة أصدق ولا أوفى من أبى ذر شبيه عيسى بن مريم»، ومات عليه الصلاة والسلام وهو راض عنه أتم مايكون الرضى.

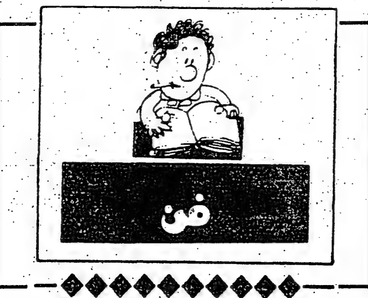
وبعد الفتوحات وماجلبته من أموال أسطورية أحدثت تغييرات جذرية فى بنية المجتمع تبدلت الأحوال عما كانت عليه فى عهد الرسول،وشيئا فشيئا أخذ الفرع الأموى من قريش يدير الأمور كما يدير الصولجان الكرة حسب تعبير زعيمهم أبى سفيان،حتى أمسك بيديه زمام السلطة فاستمر معاوية واليا على الشام وأصبح عثمان خليفة وكلاهما أموى، وكان أبو ذر سمع حديثا من نبى الله المعصوم « إذا بلغ البنيان سلعا (= جبلا بالمدينة)فاخرج منها » فرحل إلى الشام،وفى معتقدى أنه تناهت إلى سمعه أشياء عن معاوية فلم يطق الصبر والبقاء فى المدينة، فلما تحقق من الأمر بأن معاوية كان يعتبر المال: مال الله،لامال المسلمين،لتكون له الحرية المطلقة فى التصرف فيه،تصدى له وعارض سياسته المالية وأفهمه أن المال مال المسلمين... الخ، ولكن معاوية لم يطق معارضة أبى ذر خاصة وأن العامة أخذت تلتف حوله،فكتب إلى الخليفة عثمان الذى رد عليه طالبا منه إعادته إليه، وفى المدينة لم يكف أبو ذر عن نصح عثمان ولفت نظره وتذكيره بسيرة النبى وصاحبيه،ولم يتحمل عثمان لسان أبى ذر فنفاه إلى الربذة- وقيل أكثر من ذلك- والربذة فلاة من الأرض(مقطوعة) فى طريق المسافر إلى العراق- وفيها عاش غريبا طريدا هو وزوجته، وعندما حضرته الوفاة، جزعت زوجته لأنه لم يكن لديهما سوى ثوب واحد-(بعض الصحابة عند وفاته كُسّرما خلفه من ذهب وفضة بالفئوس ليقسم بين ورثته»- لكن أبا ذر صبرها وأكد لها أنه سيشهد موته ودفنه (عصابة من المؤمنين)كما أخبره حبيبه المصطفى عليه الصلاة والسلام وفعلا مرت جماعة فنادتهم الزوجة وأطلعتهم على حالهما فاسترجعوا (= إنا لله وإنا إليه راجعون)، وحتى وهو يلفظ أنفاسه الأخيرة لم يقبل أن يهادن أو يداهن السلطة إذ طلب من أولئك النفر ألا يكفنه:

أمير أو عريف أو نقيب أو (صاحب) بريد،وكان من بينهم فتى من الأنصار فقال: ياعم أنا لم أباشر أى عمل من هذه العمالات،فرد أبوذر:

إذن أنت الذى يتولى تكفينى- وأغمض عينيه ومات راضيا مرضيا.

وهكذا فإن من يريد أن يجهر بكلمة الحق خاصة فى وجه السلطة فعليه أن يدفع الثمن غاليا،مثلما فعل أبو ذر رضى الله عنه وجزاه عن المستضعفين والمحرومين الذين دافع عنهم خير الجزاء.

كم يبلغ ثمن كلمة الحق؟



فيلم «ليه يابنفسج» لرضوان الكاشف

شعب يصنع البهجة، ويغرق فى الحزن..

أحمد يوسف

«الحب- أعزك الله- أوله هزل وآخره جد، دقت معانيه لجلالتها عن أن توصف، فلا تُدرك حقيقتها إلا بالمعاناة،وليس بمنكر فى الديانة،ولابمحظور فى الشريعة،إذ القلوب بيد الله عز وجل..وكيف بمن طوى قلبه على أحرّ من جمر الغضى..وصرف نفسه كرها عما طمعت فيه.لحرى أن يسر غدا يوم البعث».

هكذا كتب ابن حزم الأندلسى فى كتابه«طوق الحمامة» منذ قرون خمسة،فبدا كما لو أنه يخرج على المألوف،فيبتعد عما عرفت الحضارة الإسلامية من كتب اللغة والفلسفة والفقه والشريعة وميادين العلوم الأخرى، ليخوض فى«الحب» ،وهو الموضوع الذى قد يثير الاستهجان والاعتراض والاتهام بالابتعاد عن الأمور الجادة،لكن الحقيقة أن ابن حزم استطاع أن يلمس الأوتار الحساسة الدفينة داخل الوجدان العربى،التى قد نخجل منها حينا ،ونصطنع السخرية منها أحيانا ،لكنها عميقة أصيلة عمق وأصالة الشعر العربى فى الحب، بقدر ماهى راسخة رسوخ قرون طويلة من آلام وآمال البحث عن مجتمع عادل.

وليس غريبا أن تكون عناوين بعض فصول كتاب ابن حزم عن «العازل»و«الواشي» و«الوصل» و«الهجر»و«الوفاء» «والبين» و«الضنى» هى نفسها المفردات التى ترددت -وماتزال- فى أغنياتنا العربية حتى اليوم -إلى حد السأم والسقم أحيانا- حتى أن شاعرا عملاقا مثل بيرم التونسى قد هجا تلك الأغنيات هجاء ساخرا مريرا ،لكنه فى الوقت ذاته لم يجد مفردات ومعان غيرها يستخدمها فى أغانيه عن الحب، لأنها فى جوهرها ليست مجرد أدوات فنية،وإنما هى تراث شعبى وقومى عريق، يحفظ ذاكرة هذا الشعب عبر عقود طويلة،وأجيال عديدة،يمكن للمدقق فيها أن يعثر على جوهر اللاوعى الجمعى،من خلال تجربة الحب،تلك الحاجة الإنسانية البسيطة،التى تبحث فى تجارب الحب المتوهجة الصادقة عن التحقق والإشباع،من خلال اتحاد «الأنا »و«الأخر» وتواصل الذات مع العالم،فتصطدم بجدران عالية صلبة من العوائق،فتنطوى منسحبة ملتفة حول ذاتها ، مستعذبة للألم،وتطلق على تجربتها اسم الحب العذرى أو الصوفى،فى نوع من التسامى على هذا العالم،وتمنى الروح بتأجيل تحقيق الحب- مثل كثير من الحاجات الإنسانية الأخرى- وكما يقول ابن حزم،إلى يوم البعث.

الحرمان من السياسة والحب

إن ذلك التعطش إلي الحياة إلي حد النشوة والفرح، والهروب منها فى وقت واحد إلى حد التقشف والعزوف عن الحياة أملا فى الحياة الأخرى،هما وجهان لعملة واحدة فى وجدان الشعب المصرى الحائر دوما بين مايستحق ومايسمحون له به، كالحيرة بين عذوبة الحب الصادق وعذاب الحرمان منه، وإنك لتستطيع أن تلمس أبعاد هذا «الحرمان» فى ميادين السياسة والحب على السواء.

ولقد اختارفيلم «ليه يابنفسج»أن يبحث عن هذه الأبعاد من خلال الحب، في تأمله لتلك الكلمات البسيطة التى كتبها بيرم التونسى ليغنيها صالح عبد الحى فى أغنية من ألحان السنباطى الرقيقة:

«ليه يابنفسج بتبهج،وانت زهر حزين،والعين تتابعك وطبعك محتشم ورزين!»

وقد تبدو هذه الكلمات للوهلة الأولى وكأنها كلمات ساذجة،لكنها فى جوهرها تطرح سؤالا عميقا عن ذلك الكائن الحزينالرزين لكنه القادر دوما على إثارة البهجة والنشوة.ألا يذكرك ذلك بسطور أخرى ،فى سياق آخر،لبيرم التونسى حول «العامل المصرى»:

«ليه أمشى حفيان وأنا منبت مراكيبكم؟ليه فرشى عريان وأنا منجد مراتبكم؟ ليه بيتى خربان وأنا نجار دواليبكم؟»

ألايبدو هذا «البنفسج» إذن هو الشعب المصرى ،الذى يحاول الفيلم أن يعيد عليه التساؤل مرة أخرى:«ليه يابنفسج»؟ لعله يبحث لنفسه عن إجابة.

من خلال الحب إذن يدخل الفيلم إلى عالم الحارة المصرية والمجتمع المصرى، وهو حب يعانى دوما من الحرمان وعدم التحقق، وهو التراث الوجدانى الذى فرض عليه فرضا ،ليس فقط من خلال ركام هائل من الأغنيات ،وإنما من خلال تاريخ طويل من القهر ،بكل صوره الإجتماعية والسياسية والاقتصادية والأخلاقية الزائفة،فكانت تلك الأغنيات ذاتها انعكاسا للقهر، تماماكما كانت معظم عناوين ومتون فصول كتاب ابن حزم تعبيرا عن مرارة الحياة فى ظل ظروف غير عادلة،وإن كانت من خلال حكايات عديدة تدور حول عذابات الحب.

واقعية الدراما والشخصيات

لعل أول مايدهشك فى فيلم «ليه يابنفسج» هو ابتعاده عن الحبكة الدرامية التقليدية التي عرفها الأغلب الأعم من الأفلام المصرية، بل أنه يمكنك القول أنه قد تعمد أن يهجر كل حبكة على الإطلاق،حتى أنك تستطيع أن تعيد توليف بعض مشاهده من دون أن يختل (البناء) تماما، كما تعمد الفيلم فى أغلب لقطاته ألا يحتوى على أى(تكوين) مفتعل يفصح عن نفسه،أو حركات مبهرة للكاميرا، وذلك جميعه هو ما قصد إليه مخرج الفيلم رضوان الكاشف،الذي اشترك أيضا فى كتابة القصة والسيناريو مع سامى السيوى، فى تجربتهما الأولى فى السينما الروائية،وفى محاولتهما لإضفاء طابع واقعى-بالمعنى الأرحب للكلمة- على عالم الفيلم ،حيث يكادان أن يختفيا ،فلا تشعر بوجودهما ،ليتركا الواقع الفيلمى ينساب أمامك فى تلقائية وعفوية وبساطة.

وفى الحقيقة إن نقطة البداية لديهما كانت بناء الشخصيات التى أطلقا عليها - ورده ذلك من ورائهما بعض النقاد- شخصيات هامشية وهو أمر لايؤكده واقع تلك الشخصيات،فى الحياة وفى الفيلم على السواء،وقد يكون مصطلح «هامشية» ينطبق إلى حد كبير على معظم شخصيات فيلم «أيس كريم فى جليم»،لكن معظم شخصيات «ليه يابنفسج» هى أنماط حية لقطاع هائل عريض من الناس القابعين عند قاعدة الهرم الاجتماعى ،يبحثون لأنفسهم عن فرصة للحياة،وإن اكتسبت بعض تلك الأنماط فى «ليه يابنفسج» ظلالا رمزية غامضة.

فى قلب هذه الدراما يسكن أحمد «فاروق الفيشاوى»إبن الحارة الذى يحلم بأن يغادرها دون عودة ،حيث الحلم بالحب الذي يراوده أحيانا فى شكل طيف فتاة جميلة غنية رآها ترقص ذات يوم فى أحد الفنادق الفخمة التى كان يعمل بها ،وحيث الحلم بالثراء الذى يجسده له صديق الطفولة القديم على بوبى «شوقي شامخ»،الذى هاجر منذ فترة طويلة ليحيا فى عالم المغامرات والمال.. لكن أحمد يحيا فى الحارة على مضض،يشارك أهلها أفراحهم وأحزانهم،ويقبل فى لحظة نشوة ثملة أن يقتطف ثمرة الحب مع سعاد «بثينة رشوان»الفتاة المراهقة التى تحبه بصدق،لكنها تصطدم فيما بعد بقراره أن يهجرها والحارة معا،كما يتكسب أحمد عيشه تارة بالعمل في فرقة لإحياء الأفراح مع صديقيه سيد «أشرف عبد الباقى» وعباس «نجاح الموجى»،وتارة أخرى بالعمل معهما على عربة «السمين»،ويقضى أوقات استرخائه مع حسنى عامل العرض فى دار السينما الشعبية، أو مع الشيخ عبد «حسن حسنى»،الضرير الذى يحلم بأن يصير مطربا مشهورا،أو فى الحانة حيث يقابل مسعود المربجى«سيد عبد الكريم»،والذى يدفن فى الخمر أحزانه لوفاة أطفاله صغارا الواحد بعد الآخر.

إن الحياة فى الفيلم، كما فى الواقع،تسير على وتيرة واحدة ،حتى تظهر نادية «لوسى»،سارقة الحمير التى تهرب من عيشتها وشريكها فواز،بعد أن وقعت فى هوى أحمد،وتحاول أن تنفذ إليه فتدخل إلى حياة الأصدقاء ليهيم بها عباس حبا





المخرج رضوان الكاشف

ويتزوجها ،لكنها تنتقم من هروب أحمد منها بأن تدفع عباس لسرقة عربة «السمين» والهرب معها ،فينفرط العقد، حين تختفى الفتاة الرقيقة سعاد بعد أن دخل الشك إلى قلبها فى خيانة أحمد لها ،ويكشف سيد عن أنه كان يحبها ويتهم أحمد بأنه السبب فى هروب الفتاة ،ويقرر أحمد أن يلحق بصديقه على بوبى دون عودة، ويقلع الشيخ عيد عن أحلامه بالفناء ،ويعود عباس ذليلا بعد أن هربت منه نادية عائدة إلى فواز ،ليظهر أحمد فى النهاية حاملا جثة على بوبى الذي قضى عليه شركاؤه وغرماؤه.

الحب بين الواقع والرمز

عشرات التفاصيل الصغيرة تتخلل هذه الشخصيات حتى الثانوية منها ،وقد لايبدو أن لها أهمية درامية واضحة ،لكن أهميتها الحقيقية هى أنها تلقى الضوء على أعماق هذه الشخصيات التى تعانى جميعا -دون استثناء- من الحب المجهض أو أن شئت الدقة الرغبة التى لاتتحقق أبدا فى حياة **أكثر جمالا وعدلا.**

فى أحد المشاهد ،يلتقط الفيلم شخصية فواز ،سارق الحمير الذي يصبغها ويعيد بيعها ،(ولك أن تصرف النظر عن واقعية وجود مثل هذه الشخصية في مدينة القاهرة. أو ذلك الوجود القوى للحانة أو تعاطى الخمر فى حياة كل الناس فى الحارة). إن فواز يعانى من هجران نادية له وزواجها من عباس ،فيتجرع الخمر حتى الثمالة ،ويتوجه إلى قلب الحارة ،ويظل يهدد ويتوعد ،مستعينا بجملة من التراث الشعبى لاتقنعك بشجاعته بقدر ما تشعر بآلامه: «**عد الجروح ياقلم**»الكنه فى لحظة المواجهة ،يخر ساجدا باكيا معلنا فى توسل أنه لايستطيع أن ينام منذ هجرته نادية ،وينسحب فى أسى.

ولن يكون غريبا أن يطوف سيد- وقد اختفت حبيبته سعاد عن الحارة- فى شوارع المدينة وكأنه يبحث عنها ،متأملا وجوه العشاق على شاطىء النيل ،واضعا على أذنيه سماعات بها أغنيات عبد الحليم حافظ ،مرددا هو الآخر بينه وبين نفسه« **عد الجروح ياقلم**».

إنه العشق المجهض ذاته الذي يجعل نادية ،تلك المرأة التى تعيش على ارتكاب الجرائم الصغيرة ،تحلم بأحمد ،ويجعل أحمد يحلم بفتاته الثرية الغامضة ،بينما يحلم عباس الصعلوك بناديه ،ويجعل الشيخ عيد يحلم بزوجته التى طلبت منه الطلاق لأنه لاينجب ،ويجعل سعاد تضيع فى زحام المدينة لأن أحمد لايضعها فى خططه. وهو العشق المجهض الذى يكتسب ثوبا رمزيا أخر مع أحلام على بوبى بالثراء غير المشروع ،ومع أحلام مسعود العربجى بأن يبقى له ولد على قيد الحياة.

إن تلك الظلال الرمزية الصريحة ،كما تراها فى شخصية على بوبى ،أو مسعود العربجى ،تمتد أيضا إلى شخصيات لاتراها فى الفيلم إلا من خلال لمسات رقيقة سريعة ،كان من الممكن أن تصبح بقدر أكبر من التأنى أكثر تأثيرا فى الدلالة التى يرمز إليها الفيلم ،بالتعبير عن الشعب المصرى كله ،مثل



شخصية حسنى عامل العرض في دار السينما ،الذى يحتفظ بصور فوتوغرافية لأهل الحارة وكأنه «الذاكرة البصرية لها» ،ومثل شخصية العمة فردوس ،صاحبة العشة التى يقيم فيها أحمد ورفاقه ،والتى أورثتها لأحمد كما أورثته عربة السمين التى يقتات منها ، وماتت بعد حياة حافلة أسبغت فيها فضائلها ،بل «كراماتها» ومعجزاتها أيضا على الحارة وأهلها جميعا ،حتى يكاد الكل أن يعتقد أنها أم الحارة ،مما يذكرك بشخصية «الخالة دميانة» في فيلم« للحب قصة أخيرة »لرأفت الميهى ،التى تبدو كما لو أنها أم أهل جزيرة الوراق دون استثناء ،فى إشارة إلى «مصر» أو الوجدان المصرى ،الذي يجمع بين الواقع والأسطورة ،الفرح والحزن ،السعادة والألم فى مزيج واحد ،وهو المزيج الواقعى الرمزى بين المتناقضات الذى سوف تراه أيضا فى العديد من المشاهد ،أو العلاقات بين الشخصيات ،ويعبر عن الواقع المصرى أصدق تعبير ،حيث يتحايل الصعلوك عباس لإقامة مأتم العمة فردوس بالنصب على أهل الحارة ،وتعود جذور اللص والمخبر كلاهما إلي طفولة واحدة .ويشتاق الجزار إلى عباس بعد غيابه وهو الذى لايتوقف عن سرقته أبدا ويرضى مسعود العربجى بكلب صغير يحتضنه وهو يبكى بديلا عن ابنه الصغير الذى مات ،ويدق أحمد الحزين لموت العمة على الطبلة منتشيا بالأحزان مستغرقا حتى يكاد أن يقع صريعا ،وترقص نادية وهى تبكى لتفرغ توترها من اكتشاف سعاد لمؤامرتها للاقتراب من أحمد ،بينما تصحو سعاد مؤرقة مسهدة بحبها فى منتصف الليل ،لتنهمك فى غسيل الثياب.

جوهرية الشخصية المصرية

ألايبدو «الحب» إذن فى «ليه يابنفسج» رمزا لكل أشواق هذا الوطن ،الوجدانية والسياسية ،تماما كما تبدو كلمات الأغنية ذاتها ؟إذا استطعت أن تغض الطرف عن بعض ماتفتقده التجربة السينمائية الأولى لصناع «ليه يابنفسج» ،بسبب طموحهم إلى تحقيق شكل سينمائي متفرد ،يخرج على قواعد الدراما التقليدية ،أفضى بهم أحيانا إلى استطرادات يمكن أن تسقطها ،مثل المونولوجست الذى أعار سترته لعباس فى ليلة فرحه ويريد أن يستردها أثناء «الزفة» .وإذا أمكنك أن تصرف النظر عن تعمد الإرتجال أحيانا حتى بدا أن نجاح الموجى أو أشرف عبد الباقى يقومان بنفس أدوارهما التقليدية فى أفلام سابقة ،إذا استطعت ذلك فأنت أمام عمل فنى رفيع ،قد يتسم أحيانا بالميل إلى النزعة الأدبية أكثر من النزعة السينمائية ،لكنه يريد أن يغوص بك فى جوهر الشخصية المصرية، وهو مايبدو فى تنفيذه «كما لو أن الكاميرا كانت« مع» الناس الذين تصورهم ،وليست «أمامهم» (فيما عدا مشاهد الأغنيات، التى جاء تنفيذها مفتعلا مصطنعا).

إنه جوهر الشخصية المصرية التى جمعت عبر عصور طويلة بين المتناقضات ،عبر عنها الفيلم من خلال استخدام المزج من لقطة التخفيف عن العمة فردوس المريضة بالغناء لها ،إلي لقطة السير فى جنازتها ،أو المزج بين لقطة رفض عباس لتحريض ناديه له على الرحيل وسرقة العربة إلى لقطة رحيلهما متسللين عند الفجر .وهى المتناقضات التى يعبر عنها ديكور الحارة ،ومقام الشيخ فى قلبها تماما ،يكاد أن يفصلها عن العالم الخارجى ،وإن كان الطريق إلى هذا العالم يمر إلى جواره ،لتتفرع بعده الحارة إلى حارتين ،فلاتدرى إن كان هو البداية أم النهاية، السبب أم النتيجة ،الباب المفتوح أم القضبان.

فى قمة أحزان الشيخ عيد وسيد، حملا متاعهما القليل ليمضيا اليوم في ضريح عبد الحليم حافظ. .يحدثانه عن شجونهما وكأنه «الولى» المعاصر الذى يلجأ إليه المقهورون ،ليس فقط لأنه عبر عن عذاباتهم العاطفية المجهضة التى تنزف ألما ،أو لأنهم يعيشون دائما قصص حب فاشلة ،وإنما لأن عبد الحليم حافظ يمثل أيضا بالنسبة لهم نموذجا للنجاح ،والصعود من الفقر إلى الثروة ،ومن الانزواء إلي الشهرة ،ولأنه يجسد التناقض المأساوى الذى لايلمس جوهر الشخصية المصرية ،عندما ينتهى طريق هذا النجاح بالموت.

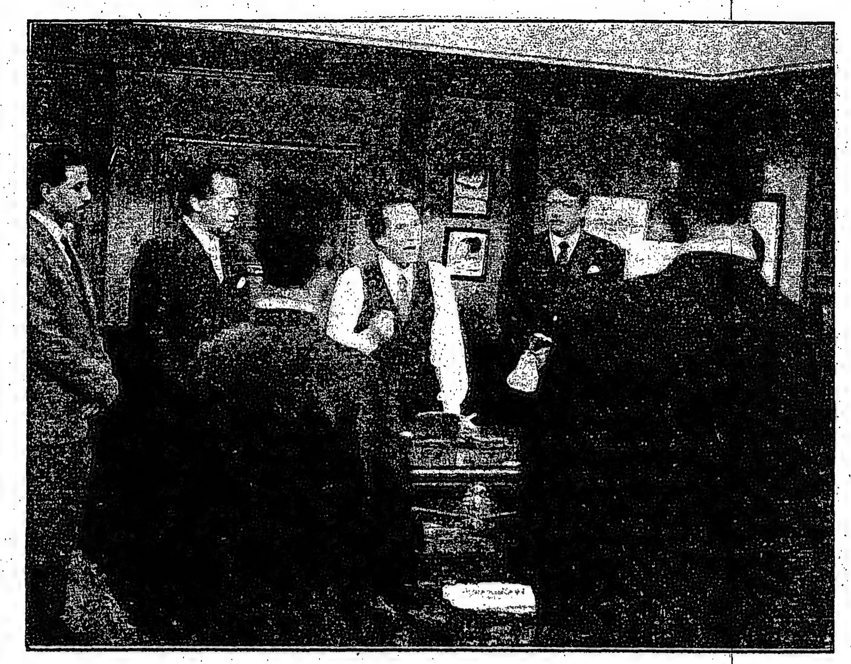
طريقان يقدمهما الفيلم فى نهايته لحل هذا التناقض ،على النحو الذى تختارهما الشخصية المصرية ،الأول يجسده الشيخ عيد ،الذي تحول من تمارين الغناء بصوته الأجش ،إلي الترنم بأدعية تطلب من الله أن يجنبه كل نقيضين: الوحدة والجماعة ،الفرحة والألم، اللقاء والفراق ،وكأنه يرضى بوسطية الموقف وفتور الحياة .

أما الطريق الثانى فهو ظهور الأصدقاء الثلاثة فى الصحراء الخاوية يعزفون لحن الزفة التقليدى ،الذى يثير البهجة ،رغم كل الأحزان.

وفيلم «ليه يابنفسج» ذاته يشبه الشخصية المصرية ،فهو يختار الوسطية أحيانا عندما يلجأ إلي بعض التوابل الجماهيرية المبهجة ،لكن الأكثر أهمية هو أنه يخفى تحت ذلك السطح المبهج حزنا دفينا عميقا ،مثل زهرة البنفسج ،أو مثل الشعب المصرى كله ،ومثل أغنية «ليه يابنفسج» وكثير من أغنيات الحب الأخرى ،وكتاب «طوق الحمامة» ،حيث يبدو الحديث عن الحب عند البعض ترفا ولغوا ،بينما هو حديث فى جوهر الحياة والسياسة ،وعن إشباع الحاجات الأساسية فى ظل مجتمع عادل ،وعن الدنيا الزائلة ،ويوم البعث ،وعن ذلك الصبر الطويل الذى تميز به الشعب المصرى وعبر عنه فى تراثه وفى حياته بالحلم الدائم دون تحقق ،والحزن المقيم رغم البهجة ،والحب المتوهج بلا وصال.

دموع صاحبة الجلالة بين الفن والحسابات الشخصية

رمضان كريم «ياعجب»



سعد كمال يخطب في المحررين

ماجدة موريس

هل هي شطارة فائقة و٢٤ قيراط حظ..أم انها غفلة إعلامية أختارية فيما يخص الأدب والأدباء ؟أم نوع من تصفية الحسابات السياسية ضد البعض..خاصة الصحفيون الشرفاء..من قبل وسائل الإعلام الأخرى..أم ربما كان اكتشافا متأخرا لعبقرية أدبية بعد فوات الأوان.

هذه الأسئلة وغيرها يطرحها ذلك المسلسل الذي عرضه التليفزيون في النصف الأول من رمضان بعد موجة دعاية مكثفة ،ليحتل نفس مكان (رأفت الهجان) على الخريطة،وفي حياة المشاهد،وليثير العجب أكثر من بطله المسمى عجب نفسه..والسبب أن (دموع صاحبة الجلالة) الرواية التي كتبها موسى صبري قبل رحيله بوقت قصير،لم تكن أبدا ضمن أفضل أو أهم الأعمال الأدبية التي تنطبق عليها شروط الأدب الصحيح،فأين هي من أعمال نجيب محفوظ ويوسف إدريس ويحيى حقي والشرقاوي والشاروني وغيرهم،ثم أعمال الأجيال التالية لهؤلاء، أين هي من مئات الروايات الهامة التي تمثل إضافة للإبداع الحقيقي في مصر، وتقف متراصة على رفوف المكتبات بينما يتاح لدموع صاحبة الجلالة وحدها النفاذ إلى الملايين من خلال إذاعة الشرق الأوسط في رمضان من العام الماضي ،ثم من خلال السينما في فيلم عرض منذ وقت قريب قبل أن يهل المسلسل الذي طرحه التليفزيون في قمة شهر المشاهدة وبدايته،حتى يحق لنا أن نقول أن تلك الرواية وبطلها (محفوظ عجب) كانا من أهم المؤثرات الفنية والإعلامية علينا لفترة عامين كاملين.

فشعبية التليفزيون،ومن قبله الإذاعة ،حاسمة في هذا الشأن، أما السينما فتطرح ثمارا متعددة من خلال دار العرض السينمائي ثم شرائط الفيديو.

ومن المؤسف أن تتاح كل الفرص،وتذلل كل العقبات أمام تلك الرواية،بينما توضع العقبات ،وتغلق الأبواب أمام عشرات الأعمال الأدبية الهامة وعلى مدى سنوات طويلة،فثلاثية نجيب محفوظ رفضت في التليفزيون المصري إلى أن انتجها القطاع الخاص بعد سنوات طويلة،وأعمال يوسف إدريس كلها مرفوضة ومسكوك عليها في إدراج مكاتب رقابة التليفزيون .

وعندما رحل د.إدريس،أثيرت المسألة أثناء البكاء عليه فأعلن التليفزيون عن إنتاج روايته (البيضاء) ثم انتهى كل شيء بمجرد مرور الأحزان الأولى .أما يحيى حقي بجلالة قدره الأدبي،فلم يستطع توفير قيراط حظ لأعماله لتنفذ من شاشة التليفزيون باستثناء عمل يتيم هو (صح النوم) قبرته الظروف الإنتاجية المحبطة والأهمال التام..ومن هنا يصبح «العجب» مضاعفا فماذا في (دموع صاحبة الجلالة)يخول لها هذا الانتشار الرهيب،خصوصا وقد رحل صاحبها بنفوذه،وتأثيره الواسع،قبل أن تقدم على هذا النحو.

ولم نسمع بعد عن مؤسسة تكونت للحفاظ على تراث موسى صبري وإدارته كما يحدث في الخارج..لكن الأمر على العموم ليس لغزا كبيرا حتى ندرك وجود تلك المؤسسة،بشكل معنوي ،لتقديم هذا الفكر وترويجه ببراعة في كل وسائط الإعلام والفن،بحيث لم يبق سوى المسرح وحده خاليا من «دموع صاحبة الجلالة»..وربما يكون العمل قد بدأ فعلا في إعدادها للمسرح ..لتكون بذلك قد أغلقت «دائرة وسائل الفن والانتشار حاملة معها رسالة بطلها محفوظ إلى الملايين،ودروسه الفذة في الثقافة والانتهازية والتضحية بالمبادىء من أجل المناصب،وبالآخرين من أجل الذات...

أي صحافة يفضلونها..

يتعامل المسلسل مع الصحافة ،ومع التاريخ ،ومع القوى السياسية المختلفة في المجتمع المصري من خلال عيون بطله **محفوظ عجب**الذي قام بدوره **فاروق الفيشاوي** فأضاف لصورة الصحفي هزالا وخفة بجانب سمات الشخصية نفسها ،وبرغم نجاح كاتب السيناريو **عاطف بشاي** في إضافة بناء درامي جذاب بين البطل والعوالم التي اخترقها والمؤسسات الكبرى،إلا أنه غلب بطله على حساب صورة تلك المؤسسات وأعطاه قوة إضافية ،غير منطقية ،مهما كانت انتهازيته صاعقة..

فالمسلسل يطرح عالم الصحافة من خلال مفردات محفوظ نفسه،الوافد الجديد على **(جريدة الأسرار)** ،وليس من خلال كون **(صاحبة الجلالة)** كيان متين وعالم أرسيت قواعده منذ زمن وله فنونه ومدارسه وقيمه وميثاق شرفه وفرسانه..فنحن نتعرف على **لطفي عبد العظيم** -صاحب (الأسرار) ورئيس تحريرها- منذ اللحظة التي يدخل فيها **محفوظ** إليه ليبدأ رحلة صعوده السريعة الفذة من متسول على باب الجريدة إلى متمرن ضائع وسط الأروقة والمحررين،بلا مقعد وبضربة صدفة يتاح له الإطلاع على خصومة أحد الوزراء ورئيس الوزراء، حيث كانت أخته تعمل مربية لدى شقيق الوزير ،وبالتالي ينفذ محفوظ لعائلة الوزير،كخادم،ليحصل على وثيقة تدين رئيس الوزراء وزوجته، ويثبت كفاءته حتى وأن لم تنشر الوثيقة لحسابات أخرى تخص رئيس التحرير،ليست المصلحة العليا أو الوطن من بينها .بعد ذلك يقفز محفوظ قفزات فجائية، كالطفل المعجزة،بفضل مراقبته على النفاق وتفننه في الانحناء وأدعاء الفقر والمسكنة،وأيضا الاستسلام الكامل لذوى النفوذ من الباشا شديد إلى رئيس القلم السياسي إلى كل صاحب منصب ومال..

فهل كانت صدفة أن يختاره كل هؤلاء عميلا لهم؟ الإجابة لايقدمها المسلسل إلا من خلال**(حقد الفقراء)**،حيث نشأ محفوظ فقيرا لأب جندي مات في مظاهرة ووقعت الحكومة لأسرته ٦٠ جنيها تعويضا وهو ماجعل محفوظ يحقد ويحقد ويحقد،برغم كل الفرص والفلوس ..وهو أمر يجافي المنطق والتاريخ ..**فلا الحقد قاصر على الفقراء ،ولا الفقر سببا لكل هذه الشرور ،ولهذه السمات الشخصية الوضيعة التي تبتلع شراهتها المال والنفوذ كل شيء أخر من الكرامة للوطنية**، محفوظ عجب أختار أن يخرج من الفقر بهذا الاسلوب،واختار أدوات صعوده الميمون،واستعملها ببراعة.. لكن الأمر الغريب هو أن هذا الإسلوب والصعود ،بدا وكأنه الطريق الوحيد للمجد في عالم الصحافة،فهو لم يجد مقاومة ولم يوجد له نظير نشط وفعال على هذا النحو،لكنه شريف وصاحب مبادىء،وإنما غريم- على حب **آمال صدقي**- ابن باشا شيوعي متمرد بدا وجوده إضافة إيجابية لصالح **محفوظ عجب** نفسه؟.

حسابات مع الصحافة

نعود إلى عالم الصحافة،وعالم **موسي صبري** في الرواية،وهذا الاختيار لتلك الشخصية من بين مئات العاملين في بلاط صاحبة الجلالة، ومعظمهم من الشرفاء الذين عانوا كثيرا ،وعاشوا بضمير حي، وكرامة مرفوعة،وذاقوا مرارة التشريد من أجل حرية الكلمة،ورفضوا التعامل مع الأجهزة ،والعمالة لأحد..هؤلاء جميعا لم يجد فيهم صاحب الرواية نموذجا يستحق التقديم،وبالتالي أنعكس هذا على صاحب المسلسل الإذاعي،والفيلم السينمائي، ثم المسلسل التليفزيوني،في عملية خديعة كبرى للرأى العام حول الصحافة كمهنة ورسالة.وفي مقال له بمجلة أكتوبر يوم ١٤ مارس الماضي(ص٢٥) قال **د.عبد العظيم رمضان**،الذي تولى مراجعة المادة التاريخية للمسلسل كما هو ثابت في التيترات مايلي:

على أنه من الواضح أن المؤلف كان يريد تسوية حسابه مع محفوظ عجب،وأقصد بذلك الشخصية التي يمثلها محفوظ عجب وهو الصحفي الشهير الذي كان قريبا من ثورة يوليو..الخ.

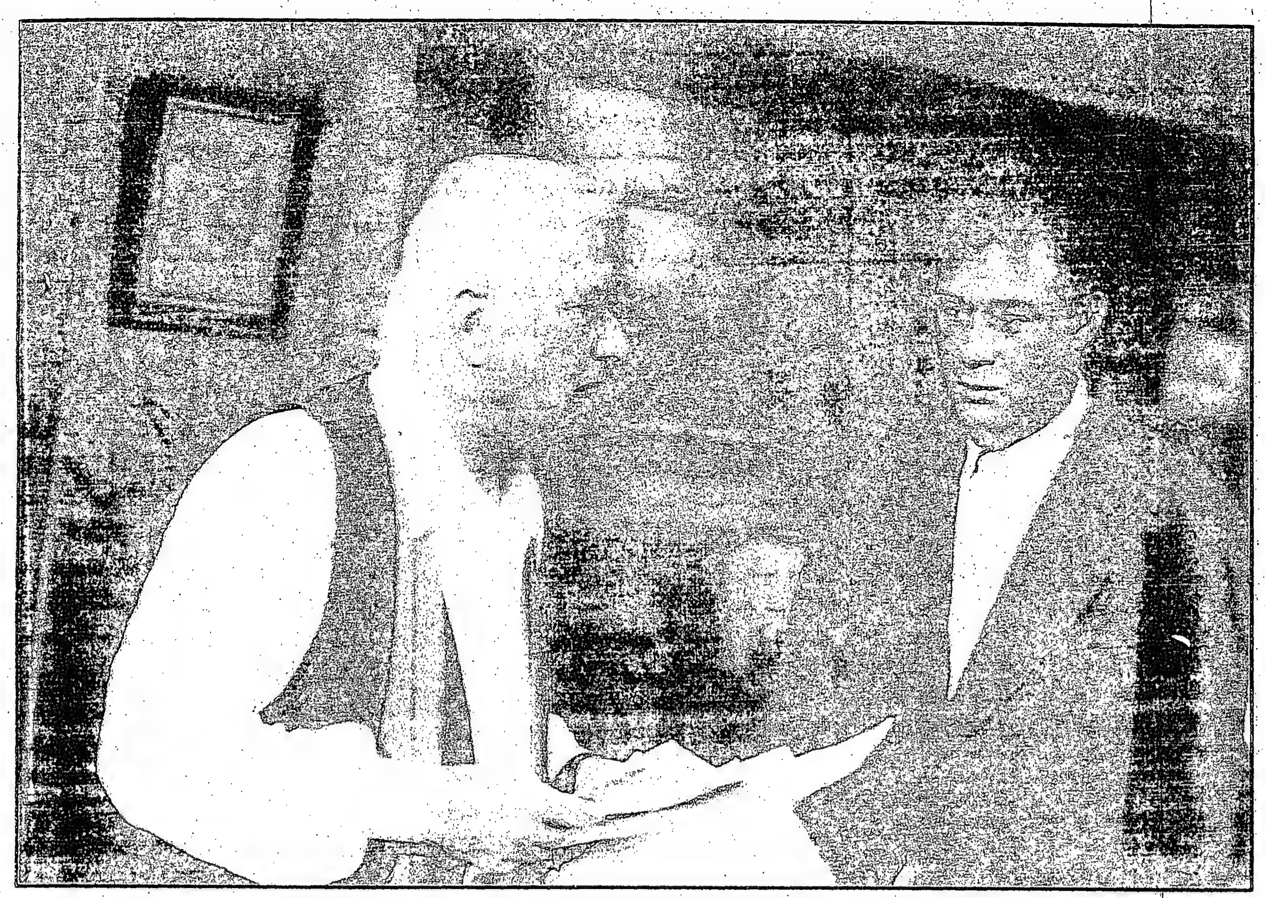
ومعنى هذا أن الرواية كتبت بدافع من تصفية حساب شخصي بين صحفي وصحفي،وضاع فيها بقية الصحفيين،أو غابوا عن عمل فاق رواجه كل حدود ليصبح محفوظ عجب بسماته هو بطل الساعة،ونجم الموسم،ونموذج الصحفي الناجح..

وحسابات مع خصومه

من ناحية أخرى، فقد لجأ مؤلف الرواية إلى الانتقام من خصومه السياسيين،بغض النظر عن الحقيقة والتاريخ والوثائق الثابتة، **فألصق بالشيوعيين تهمة اللجوء للاغتيالات وأبعدها عن صناعها الحقيقيين**،واتهم آخرين من غير الشيوعيين أيضا..فبدا المناضلون في المسلسل على هذا النحو الكريه من خلال شخصية سعد كمال(التي قدمها **سناء شافع**) وأدارها المخرج **يحيى العلمي** بشكل مزعج للغاية،

اعتقال امال صدقي بعد أن وش بها محفوظ





محفوظ عجب فى البداية

وحيث يبدو نضال أبناء الباشوات (والتركيز عليهم وحدهم) مدعاة للحقد وليس التفهم أو التعاطف .ويبدو الاغتيال والتصفية الجسدية مطروحا فى اجتماعاتهم باستمرار-برغم رفض بنت الأصول آمال صدقى له- وحتى عندما يصبح سعد كمال على حق، فى المسلسل من خلال وصفه الدقيق لمحفوظ عجب، سياسيا وأخلاقيا - عقب الخروج من المعتقل- فإن هذا الكلام المهم لايصل إلى المشاهد بسبب أسلوب الأداء الهيستيرى وبحيث يبدو هذا المناضل الشريف وكأنه مجنون على العكس من محفوظ الهادىء المبتسم،خفيف الظل وساحر النساء ،(مع أن الفيشاوى بالغ أيضا وتشنج).

ومن الغريب أن أستاذ التاريخ الذي راجع المسلسل يعود ويعترف - فى نفس المقال- بهذا التجنى من موسى صبرى على قوى سياسية متعددة، واتهامها بماليس فيها ،وتمزيق التاريخ ....فيقول

« كذلك كان موسي صبرى يريد تصفية حسابه مع الشيوعيين الذى أسند إليهم فى المسلسل الاعتداء على مصطفى النحاس باشا ،مع ماهو ثابت تاريخيا من أن الاعتداء قام به القصر وأداته حسين توفيق. »ثم يعترف أيضا بأن موسى صبرى صفى حسابه مع الوفد وأتهمه بما ليس فيه ثم يعود للقول فى نفس المقال:

« وبالنسبة لى كمؤرخ ،ومسئول عن المادة التاريخية .فى المسلسل،فقد كان يهمنى تصحيح الوقائع التاريخية التى تتعلق بتربية الوجدان الوطنى أو تؤثر سلبا أو إيجابا على الأدوار السياسية الحقيقية للقوى السياسية التى تعرضت لها القصة فى تلك الفترة وهى الوفد والقصر والشيوعيين والجيش والثورة ،وإعادة التوازن لبعض العبارات مع غض النظر عن التفصيلات التى يتصرف فيها المؤلف وفقا لحبكته الروائية ،ورؤيته التى يمزج فيها الواقع بالخيال..والحق بالباطل»

عجبى ألا يعتبر اتهام قوة سياسية- بتدبير الاغتيالات مؤثرا سلبيا على دورها واغتيالا للتاريخ- إن معنى أن الدكتور المراجع ترك المؤلف يضلل الملايين من المشاهدين للمسلسل عمدا بما يؤثر على تربية الوجدان الوطنى ،وبما يؤثر سلبا على الدور السياسى لكل من الوفد والقصر والشيوعيين فليس هذا طاقية ذاك.. فما الذي فعله إذن سيادته سوى مباركة التضليل التاريخى؟.. وما المقصود من تمريره وضع القنابل فى يد الشيوعيين،فى المسلسل فى الوقت الذى تستخدم فيه القنابل فى الواقع الآن،بيد قوى أخرى مختلفة تماما.. وأليس فى هذا محاولة لتعميم أسلوب القنابل والاغتيالات!!

فإذا كان موسى صبرى يصفى حساباته مع خصومه، كما قال دكتور التاريخ فلماذا يشارك سيادته فى تصفية الحسابات فى وقت ملىء بالبارود..بل ويجد فى نفسه الشجاعة لكى يثنى بشده على إبداع المخرج العبقرى للمسلسل..بكل أخطائه التاريخية..

علم

د. سمير حنا صادق

تليفزيون مصر.. والعشابون الجدد

على الشاشة الصغيرة ظهر محل العطارة وقد جلست المذيعة في جانب منه تحاول - كالتلميذة النابهة- أن تطبع على وجهها علامات الذكاء والتفهم. .بيدها اليسرى مجموعة من الأوراق وبيدها اليمنى قلم حبر جاف تدون به ما يمليه عليها المعلم (بكسر الميم) من علم وحكمة .

كلما وصف المعلم خلطة استزادته السيدة المذيعة فأضاف:مرة«شمر» وأخرى «عين العفريت» وثالثة «حلف بر» إلى آخر خفايا ذلك الكنز الملىء بأسرار الصحة والمرض.وكلما فرغ المعلم من «روشتة» سألته- لكى تتأكد من مدى الموضوعية العلمية للكلام- عما إذا كان «متأكدا» من الفاعلية.فأكد لها الفاعلية بيقين لاشك فيه: فهذه الخلطة «مفيدة» أكيد للكبد،وهذه الأخرى «مقوية» لاريب فيها للصدر، وتلك الثالثة «تشفى» كالسحر الكلى أما الرابعة فلها فاعلية مائة فى المائة فى «ترويق الدم».

ومن منطلق أن الأدوية الكيميائية هى مواد سامة تتسبب فى السرطان،أدخلها الغرب علينا لأغراض فى نفسه،وهى غريبة عن طبيعتنا وليست من تراثنا وأصولنا،وأن هذه الأعشاب قد عرفها الإنسان منذ القدم وجربها،وأنها خلقت لخدمتنا وأن العودة إليها تمثل العودة للحق والرجوع إلى الطبيعة ففيها شفاء لكل الأمراض..من هذا المنطلق تتنقل السيدة المذيعة من عطار إلى عطار يوما بعد يوم لتساهم بهذا الجهاز الإعلامى الخطير فى نشر أحد روافد الردة الفكرية والنكسة الحضارية، تلك الموجة الجديدة التى تسمى«طب الأعشاب».

وبداية ،فلاجدال أن الحياة بأوجهها المختلفة قد بدأت قبل العلم بل إن التكنولوجيا قد سبقته:فهناك من القردة من تستعمل وسائل تكنولوجية بدائية كأفرع الشجر مثلا فى استخراج العسل من الشقوق وفى الدفاع وفى الهجوم.كذلك فقد بدأ العلاج والتطبيب قبل خضوع الطب للقواعد الصلبة للمنهج العملى.فاستعملت الملينات ومزيلات الألم والنباتات المدرة للبول والخافضة للحرارة بل وقد أجرى الفراعنة بعض العمليات الجراحية كالتربنة والبتر. الخ. وإن كان ذلك الطب قد فشل فشلا ذريعا فى التحكم فى الأوبئة كالجدرى والطاعون وإسهال الأطفال والحصبة والسل..الخ.

ولكن الثورة العلمية فى القرن الأخير قد أدت إلى أسلوب آخر في الحياة، أدى إلى نشوء الصناعة والزراعة المتطورة واختراع أجهزة أدت إلى ثورة فى الاتصالات مكنت تلك السيدة المذيعة من أن تنشر تعليمات المعلم صاحب محل العطارة على ملايين الناس،ومثلما خضعت كل أوجه الحياة فى العالم المتقدم إلى المنهج العلمى العقلانى التجريبى فقد وضعت وسائل العلاج تحت الدراسة الدقيقة الجادة لهذا المنهج وأصبحت المطالبة بالعودة للأعشاب كالمطالبة بالجمل كوسيلة للانتقال.

ورغم وضوح القضية وعبثية الجدال حولها فإن هناك بعض المظاهر الخاصة بها التى قد تساعدنا على تحسس مدى خطورة ما يسقطنا فيه التليفزيون المصرى من التخلف والجهل.

بداية فإن طريقة الكام عن العلاج والطب والمرض التى يمارسها مثل هذا البرنامج قد اختفت منذ عشرات السنين: فليس هناك دواء «مفيد» للكبد وليس هناك علاج «مقو» للصدر وليست هناك طريقة واحدة «أكيدة لشفاء كل أمراض الكلى» ولايفهم كاتب هذه السطور وقد مارس الطب مايقرب من نصف قرن ماذا يعنى «ترويق الدم».إن كل هذه الأعضاء التى تتحدث عنها السيدة المذيعة تتكون من أنسجة مختلفة وكل نسيج يتكون من خلايا عديدة وكل خلية تقوم بوظائف متباينة والمرض قد ينتج عن تحطيم خلية ما أو إصابتها بميكروب أو طفيلى أو ازدياد فى نشاطها أو كسل فيه.ولكل من هذه الأخطاء فى الأداء علاجات مختلفة دوائية وغير دوائية ،ومن غير المعقول أن يشرب المرء جرعة من خليط من الأعشاب فتتوجه مباشرة إلى الكبد أو إلى الكلى لترمم الخلايا المحطمة وتهدىء الخلايا النشطة وتنشط الخلايا النائمة وأن يكون فعلها علاوة على ذلك أكيدا لاريب فيه.

ويزيد من خطورة الأمر أن الجانب الأكبر من الكيماويات العقاقيرية الموجودة فى النبات لم توجد فيه لخدمة الإنسان،رغم نبل الفكرة وجمال الحلم،بل هى وجدت إما لأداء وظيفة فى النبات نفسه،أو،وهو الأخطر ،لحماية النبات من الحيوانات التى تأكله بسموميتها،صحيح أن بعض هذه السموم يمكن أن يكون لها فاعلية فى العلاج ولكن لابد من إخضاع استعمالها للدراسة العلمية الدقيقة.

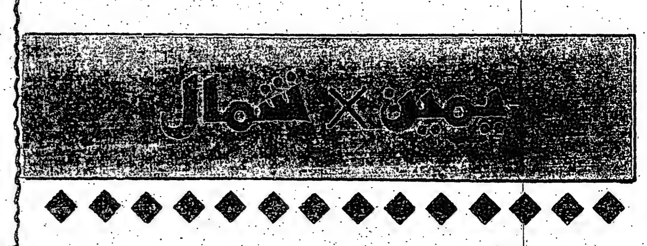
إن هناك جانبا كبيرا مما نتعاطاه من أدوية قد بدأ بأصول حيوية(وليس عشبية فقط) فالأسبرين وعلاجات الملاريا قد حضرت من لحاء الأشجار والكثير من المضادات الحيوية فصلت من الطحالب والأنسولين يحضر من بنكرياس الخنازير،ولكن هذه المواد الفعالة قد فصلت من أصولها الحيوية ودرست تركيباتها الكيماوية وعرف العلماء كيف تمتص من الجهاز الهضمى وكيف تقاس فى الدم وكيف تفرز وفاعليتها على الأنسجة المختلفة وتفاعلها مع الأدوية الأخرى إلى آخر هذه القائمة الطويلة الضخمة من الدراسات التى تنتهى عادة بتخليقها صناعيا وإدخال بعض التعديلات على جزيئاتها ليتحسن أداؤها والتى تتكلف آلاف الملايين من ساعات العمل والجنيهات..كل هذ لتقذف بها السيدة المذيعة في صفيحة القمامة لتستعمل العرقسوس وحلف البر.. وعلى ذكر العرقسوس فيا سيدتى الفاضلة إن العرقسوس الذى تنادين باستعماله فى علاج المعدة قد تؤدى بعض خواصه الأخرى إلى ارتفاع ضغط الدم وانفجار شرايين المخ والاستسقاء فى بعض من يتعاطونه لمدد طويلة.

تبقى نقطة أخيرة:

لماذا كل هذا العداء للعلم؟

لماذا يضيف التليفزيون المصرى رافدا وراء رافد إلى نهر الجهل والدجل الذى يكاد يغرقنا جميعا ويدعم بذلك الجذور الفكرية الشيطانية للإرهاب والتطرف؟.

اللهم فلتتغمدنا برحمتك.



جريمة قتل الآمنين

عندما فتح عمر بن الخطاب بيت المقدس أوصى القادة بعدم الاعتداء على حرمات الناس وألا يهدموا كنيسة. ودعوة الناس الى الاسلام بالحسنى. أما قتل ضابط وابنه وتفجير مقهى يرتاده مواطنون آمنون فهو هدم للاسلام- كما أن ضرب السياح تدمير للاقتصاد المصرى- الذى مازال أصلا فى عنق الزجاجة- ويؤدى مع نقص السياحة الى طرد العديد من العاملين بعقود مؤقتة بالفنادق والبواخر وشركات السياحة توفيرا لنفقاتهم وحيث أنه لاضرورة لعملهم. أن المتشددين يقتلون الأبرياء. والمختلفين معهم فى الرأى، رغم أن اختلاف الآراء رحمة، وهؤلاء أغلبهم من الفاشلين الهائمين فى الشوارع بلاقيم تربوية أو دينية... ولهذا فانهم يرفضون الحوار ولعدم قدرتهم عليه أو امتلاكهم لمنطق أو فكر يبرز أعمالهم.

صلاح عابدين- القاهرة

المتآمرون

من الذى دفع هؤلاء الذين يتآمرون على أرواح شعب مصر؟ هناك اجابات عديدة ولكن الاجابة الأساسية هى غياب الوعى الدينى والاجتماعى، فالوعى الدينى الصحيح هو طريق النجاة من الارهاب. والارهابيون يتخذون من الاسلام شعارا لهم ووسيلة -لتعزير الآخرين، ولكن الاسلام يدل على السلام، فهل من السلام كل مايفعلونه؟ الاسلام برئ منهم ومن أعمالهم التى تقود المجتمع الى بحار الدماء.

محمد أحمد فايد دلاور- جيزة

يمين فى شمال: هؤلاء الارهابيون نتاج لسياسات تدمير المجتمع وهم أيضا اضافة- لعوامل تدميره.. فهذه السياسات تدفع ملايين الشباب الى جيوش العاطلين وتترك ملايين الاسر بلا رعاية أو خدمات فى الأحياء العشوائية والقرى والنجوع، وتغيب فى الاحياء العشوائية والقرى والنجوع، وتغيب الوعى وتقيد الحوار الديمقراطى والابداع الفكرى وبالتالى تدفع بالمجتمع فريسة سهلة للارهاب المتستر بالاسلام.

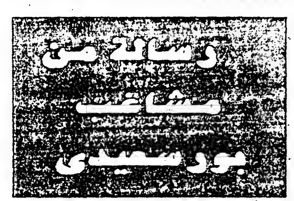
واسعة..!!

أقترح للاصلاح:

* تشكيل حكومة ائتلافية تطبق التصورات الاشتراكية العلمية وتنحية الحكومة ذات الاتجاه البرجوازى والمحافظ.
* الاهتمام بالجانب الفنى لأصول الاقتصاد السياسى.
* احتكار الدولة لسلعة أو سلعتين تصديريتين ومن خلالهما الارتقاء بالقطاعات الاقتصادية كافة.
* الاهتمام الجاد بقناة السويس والسياحة والبترول والعمل على كون الدفع بالعملة المحلية كمرحلة متقدمة.
* دمج وزارات المالية والتجارة والتخطيط فى وزارة الاقتصاد وإصلاحها إداريا وحركيا.
* تشكيل لجنة ذات علم وخبرة بالشئون الاشتراكية من الأساتذة والأحزاب ذات النهج الاشتراكى تلحق برئاسة الجمهورية وتسدى المشورة ،ولها حجية فيما يطرأ من متغيرات.

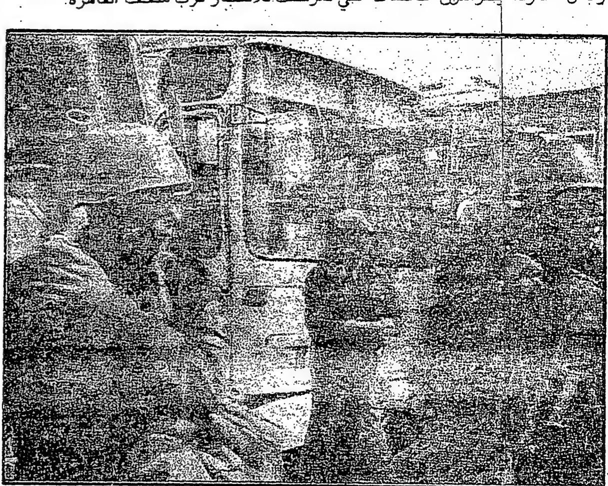
محمد عادل زكى

يمين فى شمال: نشاركك الحلم فى بعض اقتراحاتك ولكن.. ألا ترى أنها واسعة شوية؟!



للمرة الثانية تصلنا رسالة من صديق بورسعيدى دون توقيع اسمه. وللمرة الثانية تتضمن رسالته انتقادات «للأهالى» .وللمرة الثانية نكرر أننا فى انتظار رسائله القادمة موقعه باسمه ككل محررى يمين× شمال،ونكرر أن عنوان «الأهالى» ٢٣ شارع عبد الخالق ثروت- القاهرة- أمابقية الرسالة الموجهة إلى الأستاذ صلاح عيسى والمنتهية بسؤال إليه، فننشر مضمونها- ماعدا الملاحظات على «الأهالى» مع إجابة الأستاذ صلاح على سؤال الصديق المشاغب البورسعيدى. وتعليق قصير من محرر يمين ×

رجال الشرطة يحرسون الباصات التي تعرضت للانفجار قرب متحف القاهرة.



شمال.

اقتراحات

تضمنت رسالة الصديق المشاغب الاقتراحات التالية:

* زيادة السعر وإذا كانت إدارة التحرير قد خفضت أعداد المطبوع توفيرا للتكاليف ،أو مراجعة التوزيع إذا كان هو السبب فى عدم وجود المجلة عند الباعة القريبين من أماكن التجمعات ببور سعيد.

* عودة المجلة إلى الندوات الشهرية وانتظامها ليستفيد القراء من الحوار الذى يدور بين مفكرين وكتاب وسياسيين محل ثقة وسط هذا التعتيم الإعلامى مثل **محمود أمين العالم** ود. **رفعت السعيد** و**لطفى الخولى** ود. **عبد العظيم أنيس** والمشاغب الظريف- على حد تعبير المشاغب البورسعيدى- وفريده النقاش وأمينه شفيق. ويمكن تكرار الندوة ربع أو نصف سنويا.

* التوسع فى متابعة أخبار الحزب الشيوعى المصرى ونشر برنامجه كاملا. أو التوقف عن الكتابة المبتسرة عنه حتى يصل بشكل صحيح للقراء وإلا فلا.

وتنتهى الرسالة بسؤال للأستاذ **محمود أمين العالم** « لماذا يبخل علينا بالكتابة بشكل منتظم وقد أصبح متيسرا مجلة جادة جيدة سيكتب فيها دون تدخل من أحد؟.

وسؤال للأستاذ صلاح عيسى.. ياصديقى وبشكل أخوى وشخصى جدا.. لماذا الوفد ياأخى.. لماذا؟.

الصحيفة والكاتب..

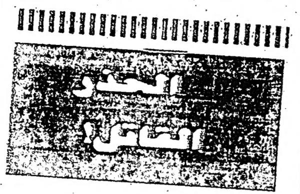
الأستاذ **صلاح عيسى** يقول للصديق البورسعيدى ردا على سؤاله (أنه يكتب كذلك فى «الجمهورية» وهى الجريدة التى يعمل فيها محررا ،وهولايظن أن الكتابة فى «الوفد» أسوأ من الكتابة فى «الجمهورية» أو «الأهرام» وهو مايفعله كثيرون من الكتاب التقدميين الذين يعملون فى تلك الصحف، وهم ملتزمون بالكتابة لها، و« الوفد» على الأقل جريدة معارضة ذات توجهات ديمقراطية ،والكاتب مسئول عما يكتبه لاعن مجمل توجهات أى صحيفة يكتب فيها ،بدليل أنك أنت نفسك غير راض عن توجهات بعض الصحف رغم أنها تقدمية ويسارية.)

يمين فى شمال:

نشارك ياصديقنا المشاغب البورسعيدى فى توجيه السؤال للأستاذ **محمود أمين العالم** عن عدم كتابته «لليسار» خاصة وأنه أحد مستشاريها أيضا. أما عن رأيك فيما نشر عن الحزب الشيوعى المصرى، فنحن ننشر ما يصلنا ونرى أهمية لنشره بالنسبة للقارىء فى حدود المساحة المحدودة المتاحة لنا شهريا والتى تعهدنا منذ العدد الأول أن تحمل هموم كل المستضعفين فى الأرض، فى مصر والوطن العربى والعالم، وهى هموم كثيرة تضيق بها المساحة والصدور.. كما أنه لايمكن لأى صحيفة نشر برنامج حزب ما كاملا إلا إذا كان ذلك فى كتاب وهذه ليست مهمة مجلة « اليسار».

محمود أمين العالم





فى عدد يناير الماضى طالعنا مقال **الأستاذ صلاح عيسى** بعنوان « **متى تدفن المرحومة أم المعارك**» وفوجئنا بالمقال يذاع نصه فى ٩ فبراير عبر إذاعة صوت إسرائيل ومن الواضح أن راديو إسرائيل استغل بعض النقاط الواردة فيه لكى يعزفوا نغمتهم المعهودة ضد العراق ولكى يثبطوا الروح المعنوية لدى المواطنين مع أنهم « مش ناقصهم» تثبيط،إننى لم أكتب لكم لأهاجم الأخ صلاح عيسى الذى لايشك أحد فى وطنيته وإخلاصه،ولكننى أطالب أولا الخوة المستمعين لراديو إسرائيل بتوخى الحذر وعدم الأخذ بظواهر الأمور وأرجو من الإخوة كتاب «اليسار» أن يحسنوا انتقاء الكلمات والتعابير حتى لايحدث هذا اللبس وحتى لاتكون مقالاتهم سلاحا فى أيدى الإعلام المعادى فتؤدى تلك المقالات عكس دورها.

محمد يحيى أبو الروس-نابلس- الضفة الغربية

يمين فى شمال: شكرا للأخ محمد على رسالته وحرصه على صورة «اليسار» وكتابها..لكننا نرى:

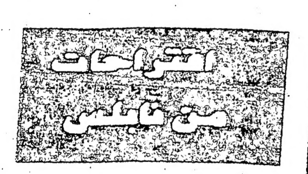
* أن مقال الأستاذ **صلاح عيسى** كان مضمونه الدعوة لتجاوز سلبيات النظام العراقى

صلاح عيسى

والتحرك العربى لتوحيد الصف..وهو مالا يتفق مع رغبة أو أهداف العدو الإسرائيلى.

* إننا لايمكن أن نتخلى عن كتابة الحقيقة أو المناورة حولها أو الحذر فى انتقاء الألفاظ والتعابير بدعوى أنها يمكن أن تستغل من اسرائيل أو غير إسرائيل وإلا توقف الكاتب نهائيا .ولايمكن أن يكون الدافع لانتقاء الكلمة والتعبير شيئا آخر فى مفهومنا غير ما يخدم الفكرة بشكل أفضل ويعبر عن الحقيقة كما يراها عقل وضمير الكاتب.

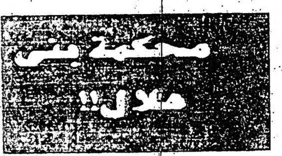
* إن قارىء اليسار ،والمستمع العربى لراديو إسرائيل يمكنه استخلاص جوهر مايقرأ ويسمع بدقة إلا إذا كانت له مصلحة أخرى غير المصلحة الوطنية وهذا النوع قليل جدا فى بحر الشعب العربى.



اقتراح لمواجهة الأعباء المالية خفض عدد صفحات المجلة عند الضرورة،بدلا من رفع سعر النسخة فلن يكون بمقدور المستضعفين فى الأرض تحمل زيادة السعر،خاصة وأن التجار عندنا- فى نابلس- رفعوا سعرها فعلا بمجرد أن شموا رائحة رفع السعر .كما اقترح الإكثار من الكاريكاتير لأنه جاذب هام لقراء المجلة.

وبالمناسبة نلاحظ انخفاض رسومات الكاريكاتير فى الأعداد الأخيرة.

أبو الروس- نابلس



* لاحظت فى العدد ٣٦ نشر إعلان لهيئة مشبوهة تديرها سيدة غنية أموالها جزء مما يصرفه أخواتها فى كباريهات أوروبا، وهى لا تختلف عنهم كثيرا فى شرائها لذمم المثقفين.

* يصل المراغة خمس نسخ شهريا من «اليسار» يباع منها عددان أحدهما أشتريه أنا وترجع الكمية الباقية، ولو زاد الثمن عن جنيه فلن استطيع شراء هذه النسخة، فأجرى ثابت ومسئولياتى المالية تزيد.

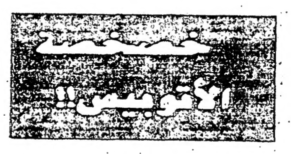
* إن أشخاصا بعينهم وفى كل عدد يراسلون يمين × شمال بل إنى أشك أن بعض الأسماء مستعارة ولاوجود لها بل تم اختراعها وبنظام وخطة معينة لنشر أشياء بعينها فى كل عدد. على كل حال أنتم أحرار فيما تفعلون وهذه مجلتكم.

أحمد على سليمان- سوهاج بنى هلال
أمين شباب التجمع بسوهاج

يمين فى شمال نشرنا رسالتك (رغم مافيها من تجاوزات) وإطلاق لأحكام ليست من حقك كاتهام مؤسسة ما نشرنا لها إعلانا بأنها مشبوهة ولاندرى كيف؟. هل أدينت قضائيا هذه المؤسسة بتهمة التجسس مثلا أو التعامل مع العدو الصهيونى أو الدعارة؟! وهل انفاق أصحاب هذه المؤسسة يحول دون نشر إعلان عنها. فلمن إذن ننشر إعلانات. إن كان يمكنك ياأخ أحمد جلب إعلانات لضمان استمرار المجلة من فقراء المراغة بما يغنينا عن إعلانات الأثرياء فمرحبا!!

أما اقتراحك بتثبيت السعر فبحكم ارتفاع تكاليف الطباعة، وموارد المجلة المالية التى يشكل الأساس فيها إعلانات «الأثرياء» كأى مطبوع صحفى فى العالم، وتبرعات الأصدقاء، واشتراكاتهم وهم الذين يعتبرون أن هذه المجلة مجلتهم، ويحرصون على انتظامها فى الصدور.

* ألا ترى أنك تتجاوز كثيرا، وأنت قاعد تحت «الشجر» فى «بنى هلال» باتهام يمين × شمال بتأليف رسائل لقول أشياء معينة.. لو كان ذلك كذلك لما نشرنا رسالتك أصلا.. لكننا التزمنا بنشرها- فى حدود الأدب كلما أمكن- تطبيقا لشعارنا (يمين ×شمال).



سياسة جديدة تتبعها هيئة النقل العام بالقاهرة لزيادة سعر تذكرة الأتوبيس المدعوم فئة العشرة قروش، تتمثل فى التقليل التدريجى للأتوبيسات المدعومة العاملة على الخطوط وتشغيل أتوبيسات أخرى على نفس الخطوط بأرقام جديدة وسعر جديد ٢٥ قرشا للتذكرة وأخرى بسعر ٤٠ قرشا.

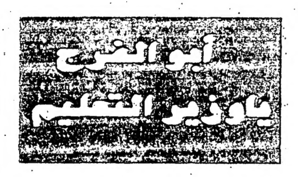
سليمان متولى



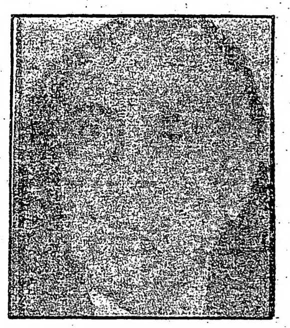
يحدث ذلك مثلا فى أتوبيس ٩ عمرانية - رمسيس الذى يتلاشى تدريجيا ليحل محله أتوبيس آخر لمسافة أطول وبسعر ربع جنيه. وبدلا من زيادة السيارات التى تخدم محدودى الدخل يزيد اعتصارهم برفع سعر التذكرة بالتحايل بنسبة ١٥٠٪ مرة واحدة - ناهيك عن المعاناة اليومية للمواطنين نتيجة الإهمال وبسبب السائقين القرفانين بدورهم من صعوبات الطريق مما يدفعهم كثيرا لتغيير المسار وإجبار المواطنين على الانتظار طويلا فى الشارع لأتوبيس لم يغير مساره..

وأحيانا يتم ترك الأتوبيس وركابه فى الشارع بلا سائق أو محصل لأنهما يحضران أطعمة أو مشروبات وسط الطريق.. أرحمونا عسى الرحمن أن يرحمكم!

محمد توفيق -القاهرة.



مدرسة أبو الفرج الابتدائية- إدارة غرب القاهرة التعليمية- ٨٤ شارع ٢٦ يوليو- بولاق أبو العلا- بعد زلزال أكتوبر الماضى بدأت إصلاحات وترميميات بها، وتم نقل أولادنا الصغار إلى مدرسة النيل وسط وكالة البلح.. وحتى الآن لم تنته الترميمات فى مدرستهم الأهلية مما يرهقنا ويرهقهم فى الذهاب والعودة من



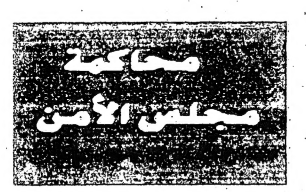
د. حسين كامل بهاء الدين

المدرسة. نرجو التحقيق فى تأخر الإصلاح.

أولياء أمور مدرسة أبو الفرج
عنهم سيد مناع
كمال الدين محرم



* هذا المقال كان كلمة العدد الأول من مجلة حائط باسم «النداء» فى كلية التجارة جامعة طنطا، وأصرت إدارة الكلية على منعه كى تسمح بتعليق المجلة- يمين ×شمال تنشر المقال إيمانا بحق كل مواطن الدستورى والإنسانى فى التعبير عن رأيه.



لقد ودعنا منذ أيام قليلة عام ١٩٩٢ بكل أحزانه ومآسيه.. ولكن هل ودعنا معه- نحن العرب- كل الأخطاء والخطايا التى قادتنا وتقودنا دوما إلى الحزن والآسى والذي لايأتي - فى كل مرة- إلا بعد فوات الأوان؟! لانعتقد ذلك.. للأسف، فمازالت المؤشرات الأولية

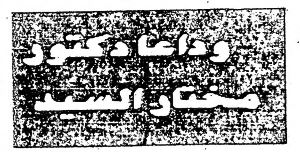
للعام الجديد تؤكد أن شعارنا لايزال يعلن « يبقى الحال على ماهو عليه» والغريب أن هناك إصرارا على إكمال هذه العبارة القانونية، وبأنه على المتضرر- أى نحن العرب- اللجوء إلى القانون.. ولكن أى قانون؟!

قانون مجلس الأمن الذى لم يمنع حربا فى يوم من الأيام. ولم ينصر شعبا شرد من أرضه منذ أكثر من أربعين عاما.. قانون مجلس الأمن الذى يقف متفرجا أمام الانتهاكات البشعة لحقوق الإنسان فى الكثير من بقاع الأرض فى البوسنة والهرسك، فى فسلطين ولبنان وغيرها.

لقد أصبح مجلس الأمن أداة طيعة فى يد قوة واحدة مهيمنة على العالم بعد الانهيار المفاجئ للاتحاد السوفيتى تلك القوى التى أرغمت مجلس الأمن فى الماضى القريب على استخدام المادة السابعة من ميثاق الأمم المتحدة لتدمير العراق، والتلويح بنفس المادة للعدوان على ليبيا فى الوقت الذى لايجرؤ فيه أحد على المطالبة بتطبيق هذه المادة على إسرائيل والتى كانت آخر جرائمها فى العام المنصرم طرد أكثر من أربعمائة فلسطينى من وطنهم.. وقد يظن البعض أن عام ١٩٩٢ قد انقضى على «حسنه» لمجلس الأمن والمتمثلة بتدخل قوات الأمم المتحدة لإنقاذ الصومال ولكن نظرة واحدة متعمقة فى هذا الموقف سنكتشف بعدها أن التدخل فى الصومال لاعلاقة له بدواعى إنسانية كما يروج البعض بل إن هناك محاولات حثيثة لتطويق الوطن العربى بالسيطرة على جنوبه الأفريقى.

وإلا لماذا- بالله عليكم- هذا الحماس الزائد من قبل أمريكا للتدخل فى الصومال وإرسال ٣٠ ألف جندى إلى هناك. فى الوقت الذى يشهد فيه العالم انتهاكات أخرى صارخة وخطيرة فى مناطق عدة من العالم؟ نرجو أخيرا ونحن نستقبل عام ١٩٩٣ أن نغير نظرة العالم لنا بأننا - نحن العرب - لاننصر أعداءنا، ولاننفع أصدقاءنا».

حامد ياسين
الدلنجات- بحيرة



كان طبيبا وانسانا مناضلا شريفا- كان طبيبا للفقراء وعيادته مفتوحة دائما لعلاجهم كما كان طبيبا سياسيا. العزاء إلى الأهل والأصدقاء والزملاء.

حسين حسن
«شبيلوف إمبابه»

الصديق حسن بدوى

شكرا على الرد فى اليسار وشكرا للأستاذ د. رفعت السعيد على أرشيف اليسار الذى تضمن المناضل الضابط الشيوعى محمود المناسترلى. وشكرا على خطابكم لى وكنت أتمنى أن أحضر إلى المجلة ولكن المرض منعنى وفى حالة تحسن صحتى سأحضر إليكم، أما عن نفسى فأنا عامل مناضل مصرى ومن مواليد ١٩٢٤/١٠/٢٤ على المعاش وليس عندى مانع من مقابلة الأصدقاء حيث أننى موجود بصفة دائمة بالمنزل.

«شبيلوف»

** شكرا على رسالتك الرقيقة، ونتمنى لك كل الصحة وطول العمر ونعدكم بالزيارة فى أقرب فرصة ممكنة.

حسن بدوى

الشمولية أنواع

الاشك أن توقف «اليسار» أن حدث، سيكون ضربة للديمقراطية، فقدرة الحكومة على إصدار عشرات المجلات الأسبوعية والشهرية، وبعضها (ملون) والتى تقل فى مضمونها وقيمتها عن «اليسار» وعجز المعارضة عن الاستمرار فى إصدار مجلة شهرية واحدة يوضح لنا الفرق الهائل بين إمكانيات الحزب الحكومة و المعارضة. ولما كانت الديمقراطية الصحيحة تتطلب تقارب القوى والإمكانيات بين الأحزاب، الأمر الذى يؤدى إلى تداول السلطة فإن الفرق الكبير بين امكانيات الحزب الحاكم وأحزاب المعارضة يؤدى إلى ديمقراطية شكلية، ففى نظام الحزب الواحد يستمر الحزب فى الحكم على الدوام، وكذلك الحال فى نظام تعدد الأحزاب الشكلي بسبب احتكار الحزب الحاكم لكل الإمكانيات.

سامح وديع عياد
حدائق القبة

** الصديق ماهر عطا- البحيرة-**

نعتذر عن عدم نشر رسالتك بشأن الأمم المتحدة لأنها مكررة فى كتابات عديدة وأصبحت بديهية معروفة لدى القارىء المصرى والعربى أنها تكيل بمكيالين.. ننتظر أفكارا جديدة فى رسائلك القادمة.

** الصديق محمد حجازى- المحلة الكبرى-

تحية لك من الأساتذين صلاح عيسى وفريده النقاش ومن حسن بدوى ومصباح قطب ردا على تحيتك لهم فى رسالتك حول فكرة ترشيح نفسك لرئاسة الجمهورية.. وأنصحك بالعدول عن الفكرة لأنك ممكن تتورط وتنجح ماتلاقيش غير خرابة!! ونأمل أفكارا أكثر جنانا فى رسائلك القادمة...

** الصديق مصطفى النجار- دمنكة- دسوق-

رسالتك طويلة جدا، وسطور قليلة منها بخط جاف واضح، ومعظمها بالكربون وغير واضحة.. انت غاوى تعذبنا.. مش كفاية شيخ العرب؟! انتظر رسائل أكثر تركيز أو وضوحا ومن غير كربون لأنهم بطلوه من زمان!!

** الصديق سيد عبد الراضى عبد الرحيم- بوق - القوصية- أسيوط-

الحوالات ترسل على العنوان التالى: مجلة «اليسار» ١٢٦ شارع السودان- إمبابه- الجيزة- وباسم رئيس التحرير وهو ثلاثيا حسين محمد عبد الرازق، - كما طلب موظف البريد لديكم- وقيمة الحوالة للأعداد التى طلبتها ١٢.٥٠ جنيها، أثنى عشر جنيها ونصف فقط لاغير.

لوسى... وأخواتها

مشاغبات

سلّى المصريون صيامهم فى شهر رمضان بنتف فروة حكومتهم، وتبادل آخر ماجمعوه من أخبار أو ما ألفوه من شائعات حول حكاية لوسى أرتين وأخواتها، بعد أن تبين لهم أنها أكثر إثارة وتشويقا من برامج رمضان التليفزيونية، وأدعى للشماتة من العمليات التى يقوم بها الإرهابيون، وأكثر فكاهة من قانون النقابات الموحد!

ومع أن الحكاية، من حيث الموضوع والتفاصيل من النوع الذى لايجوز تعاطيه فى شهر رمضان، إلا أن المصريين درجوا على الاعتقاد بأن نتف فروة حكومتهم، ليس من مبطلات الصيام، بل من شروطه!

ولا أحد- حتى الآن- يعرف التفاصيل الدقيقة للحكاية، لأن الحكومة التزمت الصمت التام تجاه الموضوع، وأدركها- كشهرزاد- الصباح، فسكتت عن الكلام المباح فى مسألة لوسى أرتين وأخواتها وندمائها من كبار المسئولين، وعذرها فى ذلك أنها - أولا- حكومة دستورية تحترم مبدأ الفصل بين السلطات ، وتوقر السلطة القضائية، وبما أن حكاية لوسى وندمائها ماتزال بين يدى النيابة، فإنها لن تجيب على أى سؤال ولن تسمح بمناقشة أى استجواب بشأنها أمام نواب الأمة،ثم أنها- ثانيا- حكومة أخلاقية، لاتريد أن تبطل صيامها بالخوض فى سير الناس أو الحديث عن سلوكهم الشخصى، لأن ذلك من الأمور التى لاتجوز مناقشتها فى مجالس الشعب بحكم أنها من اختصاصات مجالس الأنس، التى لاتعترف بها الحكومة ، لعدم تواؤمها مع أخلاق القرية، أو تقاليد العزبة التى ورثتها عن المرحوم والدها»والمعروفه شعبيا باسم جمهورية مصر المحمية بالحرامية والفاسدين ولاعبى الثلاث ورقات فى صالون السيدة «لوسى أرتين»!

والشئ المؤكد أن أحدا من المصريين لم يصدق ادعاءات الحكومة بأنها تحترم الفصل بين السلطات، إذ الثابت تاريخيا أن هذه الحكومة كأسلافها من النوع الحريص على دمج كل السلطات فى ذاته المصونة، والمعروف للجميع أنها لاتتعفف عن إدانة متهم، إذا كان من خصومها، ولاتتورع عن شرشحته تحت القبة، وفوق القبة وعلى صفحات الصحف، ولعن سنسفيل جدوده، والتشهير به وبأمه وبأبيه والذين وضعوا تقاويه اذا كان من معارضيها بصرف النظر عن أن الموضوع منظور أمام القضاء أو مجرد إشاعات سارية فى الفضاء، لكن ذريعة الفصل بين السلطات، لاتظهر فقط إلا عندما تكون الحكومة هى المتهمة، وكبار المسئولين فيها هم الذين تتناولهم الإشاعات والتحقيقات، آنذاك تدعى الحكومة الورع، وتتظاهر بالصيام وتلتزم الصمت التام، حتى تستطيع أن تدارى الفضيحة التى كشفت بالصدفة المحضه وتكفى على الخبر ماجور.

وماحدث هو أن المصريين قد انتهزوا فرصة قضية لوسى واخواتها، وسياسة الستر على الفضيحة التى اتبعتها الحكومة، لكى يقولوا - عن طريق الاشاعات- رأيهم الحقيقى فى حكومتهم، باعتبارها حكومة فاسدة، من الألف إلى الياء، ومن شوشتها إلى قدميها، فإذا بهذه الاشاعات لاتترك - إلا فيماندر- مسئولا، دون أن تقوده إلى صالون لوسى، وتنسب إليه أقوالا وأفعالا. وتصرفات يندى لها الجبين، وكأن لدى المصريين رغبة خفية فى السخرية من حكامهم، والانتقاص من قدرهم، وتصويرهم فى صورة الرجال الجوف المحشوين بالقش، الذين لايملكون قدرة على مقاومة نظام لوسى أرتين الأقليمى، فما بالك بالنظام العالمى الجديد؟!

والفضيحة الحقيقية التى تفجرها قضية لوسى وأخواتها، ليست فى التفاصيل المسلية التى ظل المصريون يؤلفونها ويتناقلونها ، والتى لوطبقنا عليها رأى الحنابلة فى مبطلات الصيام، لأبطلت صيام نصفهم على الأقل، ولكن هذه الفضيحة تكمن فى السبب المباشر الذى أدى إلى تفجيرها، فلولا أن «القعدة الطرية» فى صالون «لوسى» قد أغرت هؤلاء المسئولين الكبار من أخوات لوسى وندمائها، بأن يفضفضوا الهم الجاثم على صدورهم، فيتحدثوا فى السياسة، ويدلوا بآراء غير التى يعلنونها، وتنشرها الصحف على لسانهم،ويتناولون هذا وذاك من رؤسائهم وزملائهم بالتنديد والاعتراض، والشتائم، لما كانت هناك فضيحة، ولظل هؤلاء المسئولين يتمتعون بمناصبهم، ويستمتعون بالقعدة الطرية فى صالون الست لوسى، ولما حاسبهم أحد على استغلال نفوذهم فى الاستجابة لطلباتها غير القانونية، ابتداء من مضاعفة النفقة المحكوم بها لها على طليقها بنسبة ٨٠٠٪ الى ضربه وتحطم صدره، إلى الحجز على ممتلكات والده للحصول على متجمد نفقة قدره نصف مليون جنيه لم تحصل عليها جاكلين أوناسيس ذات نفسها وانتهاء بمنحها رخصة سلاح فى اليوم التالى لطلبها باعتبارها من الذين يستهدفهم الإرهابيون لأفكارها التنويرية التى تضىء القعدة الطرية!

الفضيحة الحقيقة ، هى أن أحدا لم يغضب للفساد فى ذاته، لأنه- فى عرف الحكومة- مشروع، أما غير المشروع فهو أن تكتشف الحكومة أن بين كبار موظفيها أحدا يظهر غير مايبطن،ويفضفض عن نفسه بما يكشف أنه من غير الموالين، حتى لو كان يفعل ذلك فى الحمام!

ولو أن الغضب للفساد هو سبب فضيحة لوسى وأخواتها لتساءل الجميع عن الثغرات التى يتسلل منها الفساد ولاكتشفوا على الفور أنه ينفذ من السلطة التى يمارسها صاحبها بلا مسئولية، ومن اتباع تعليمات المستوى الأعلى بصرف النظر عن مدى قانونيتها، وأنه ينمو من سياسة اعتبار «الولاء» - وليس الطهارة- هو مؤهل الصعود إلى الدرجات العليا!

تلك هى فضيحة لوسى واخوتها التى لا يبطل الحديث عنها أى صيام.. وإن كان يبطل كل نظام!

صلاح عيسى